في رحاب أهل البيت عليهم السلام

فضيلة الأستاذ المجاهد
عبد الوهاب حسين

الطبعة الأولى

لجنة الوفاء للشهداء
تجمع من طلبة العلوم الدينية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم الى قيام يوم الدين...

أما بعد...

فهذا الكتاب –عزيزي القارئ– هو عبارة عن محاضرات لفضيلة الاستاذ المجاهد عبد الوهاب حسين حفظه الله ألقاها في مناسبات أهل البيت عليهم السلام المختلفة من ذكرى مواليد واستشهاد...

ولذلك سيلاحظ القارئ أن المحاضرات مُعدة للإلقاء العام بما يتناسب وهذا الإلقاء، ورغم ذلك فإن هذه المحاضرات لم تفقد رصانتها وعمقها وجانبها التحليلي التأصيلي لحياة وسيرة أهل البيت عليهم السلام ، وهذا ما تمتاز به بشكل عام هذه المحاضرات لفضيلة الاستاذ، حيث لم يستغرق الباحث في سرد السيرة التاريخية بعيدا عن استخلاص العبر والدروس.

ونحن في لجنة الوفاء للشهداء (جمع من طلبة العلوم الدينية) إذ نقدم هذا الكتاب، نرجو أن نكون قد أضفنا نتاجا معرفيا وجهدا علميا للمكتبة الإسلامية عموما وللشباب الطامح خصوصا.

راجين من الله تعالى أن يقبل منا هذا العمل، والاستمرار في خدمة الجانب المعرفي وخدمة تلك الدماء الزكية التي سقطت عبر التاريخ للحفاظ على هذا الدين حتى وصل لأيدينا أمانة نوصلها للأجيال القادمة...

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يفرج عن فضيلة الاستاذ من سجون الظلم والعدوان، وأن يقر أعيننا به بين أحضان مجتمعه ومحبيه...

لجنة الوفاء للشهداء (جمع من طلبة العلوم الدينية)

٢١ جمادى الثاني ١٤٣٤هـ

الموافق ٢/ ٥/ ٢٠١٣م

في رحاب أهل البيت عليهم السلام

الهوية

محمد رسول الرحمة[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صل على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرق بيننا وبين محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة طرفة عين أبدا يا كريم.

اللهم معهم... معهم لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة: أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية: أرفع أسمى التهاني وأطيبها إلى مقام صاحب العصر والزمان

---

١. بمناسبة مولد الرسول الأعظم الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه في المأتم الشمالي ـ قرية كرزكان، بتاريخ: مساء الخميس ـ ليلة الجمعة: ١٦/ ربيع الأول/ ١٤٢٨هـ. الموافق: ٥/ أبريل ـ نيسان/ ٢٠٠٧م.

(أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها وإلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإليكم أيها الأحبة الأعزاء بمناسبة مولد النور ونبي الرحمة.

قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[1].

الخطاب في الآية الشريفة المباركة موجه للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وفيه تأكيد على أن رسالته قائمة على أساس الرحمة، فهي عامة للناس كافة على امتداد الزمن إلى نهاية الدنيا، ليأخذ بأيديهم بحسب قابليتهم إلى الهدى والأمن والطمأنينة والاستقرار والسعادة والكمال المقدر لهم في هذه الحياة، وأنها شاملة لأصول القواعد الفكرية والتشريعية والأخلاقية التي يحتاجها الإنسان في حياته على وجه الأرض، وأنها قادرة على تلبية متطلبات الحياة وإشباع حاجات الإنسان المتجددة فيها.

أيها الأحبة الأعزاء: سوف أجعل الحديث حول الآية الشريفة المباركة في هذه الليلة العظيمة على ثلاثة محاور أساسية..

---

١. سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

المحور الأول ـ بحث حول الرحمة

وفيه نقاط عديدة..

النقطة الأولى ـ تعريف الرحمة

الرحمة في اللغة: رقة في القلب تستلزم التفضل والإحسان.

وفي الاصطلاح: انعطاف في النفس يقتضي العناية بالناس، وإفاضة الخير عليهم، والإحسان إليهم، ومواساتهم في أحزانهم وأفراحهم، والتخفيف من آلامهم ومعاناتهم في الحياة، والعفو عن إساءتهم والصفح عن أخطائهم، والامتناع عن الإيقاع والإضرار بهم والإساءة إليهم، والسعي لسعادتهم في الدنيا والآخرة، وكل ذلك يقوم على أساس المحبة الصادقة لهم.

وتطلق الرحمة في اللغة على الإيمان والرزق والعفو والعافية والمودة والنصر وعلى الرسل والكتب السماوية وغير ذلك من مظاهر الخير للدنيا والآخرة، فيقال للإيمان رحمة، وللرزق رحمة، وللعفو رحمة، وللعافية رحمة، وللمودة رحمة، وللنصر رحمة، وللرسول رحمة، وللكتاب رحمة، ويقال لكل ما من شأنه أن يكون سببا للحصول على الخير في الدنيا والآخرة رحمة، وتعتبر الرحمة فضيلة أخلاقية إسلامية عظيمة، يجب أن يتمتع بها كل إنسان

مؤمن صحيح الإيمان.

النقطة الثانية ـ رحمة الله سبحانه وتعالى

لا يجوز تصور الرقة في حق الله سبحانه وتعالى لأنه ليس محلا للحوادث والانفعال، فهو منزه عن الرقة والانفعال، فالرحمة منه سبحانه وتعالى تعني مجرد الإحسان إلى عباده والتفضل عليهم وإيصال الخير والثواب لمن يشاء منهم ودفع الضرر عنهم من دون رقة وانفعال.

والخلاصة: الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة في القلب وانعطاف في النفس.

النقطة الثالثة ـ اختلاف الرحمة لدى الأشخاص

ويختلف الشعور بالرحمة لدى الأشخاص باختلاف المثل العليا التي يؤمنون بها، فإذا كانت المثل العليا التي يؤمن بها الشخص مبنية على التصورات المادية للحياة، فإن الشعور بالرحمة لديه لا يخرج عن دائرة المنفعة المادية التي يحصل عليها أو يقدمها لمن يستحقها بوجهة نظره، وتكون ضيقة وسطحية ومتقطعة، وأما إذا كانت المثل العليا التي يؤمن بها الشخص مبنية على التصورات الروحية والمعنوية للحياة، فإن الشعور بالرحمة لديه تكون دائرته أوسع وأغزر وأثبت، وعليه فإن حالة الرحمة

الأكمل لدى الإنسان تكون لدى الأنبياء والأوصياء وعباد الله الصالحين، وفي مقدمة هؤلاء جميعا الرسول الأعظم الأكرم ﷺ لأنه أفضل الأنبياء وأكملهم، ومقدار الرحمة يتناسب دائما مع مقدار الكمال في النفس، فكلما كان الإنسان أكمل كان أكثر رحمة بالناس.

النقطة الرابعة ـ الرحمن الرحيم

لقد سمّى الله سبحانه وتعالى نفسه الرحمن الرحيم..

أما الرحمن

فصيغة (فعلان) تدل على سعة الرحمة وكثرتها ببذل جلائل النعم للعباد، فهو البالغ في الرحمة غايتها التي يقصر عنها كل من سواه، ولا غاية بعدها في الرحمة، ولا نظير لها ولا مثيل لدى الخلق، فهو صاحب الرحمة العامة التي وسعت الخلق جميعا بإيجادهم وإمدادهم بالبقاء، فلا يمكن استمرارهم في الوجود بدون مدده، والشاملة لجميع النعم من الرزق وتوفير أسباب الهداية وتحقيق السعادة لكل بحسب استعداده وقابليته وضمان مصالحهم، ويصيب بها جميع عباده: المؤمن والكافر، الصالح والطالح، من يستحق ومن لا يستحق، في الدنيا والآخرة، فينال المؤمن والكافر نعم الدنيا، وينال المؤمنون وحدهم نعم الآخرة. ويعتبر (الرحمن)

من الأسماء الخاصة بالله سبحانه وتعالى، حيث إن معناه لا يصح إلا له، فهو وحده الذي وسع كل شيء رحمة، فلا يسمى به غيره بخلاف اسم (الرحيم) الذي يستعمل في غيره.

وأما الرحيم

فصيغة (فعيل) تدل على اللطف والثبات والبقاء في بذل دقائق النعم لعباده المؤمنين، فهو دائم الرحمة بهم، وأن رحمته لهم ثابتة باقية لا تزول ولا تتغير، فهو يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا، ولا يعاقبهم في الآخرة، ويسكنهم الجنة خالدين في نعيمها الباقي أبدا من دون تغير أو انقطاع.

يقول العلامة الطباطبائي: «فهناك رحمة إلهية عامة يتنعم بها المؤمن والكافر والبر والفاجر وذو الشعور وغير ذي الشعور فيوجدون بها ويرزقون بها في أول وجودهم ثم في مسيرة الوجود ما داموا سالكين سبيل البقاء، ورحمة إلهية خاصة وهي العطية الهنيئة التي يجود بها الله سبحانه في مقابل الإيمان والعبودية، وتختص لا محالة بالمؤمنين الصالحين من عباده من حياة طيبة نورانية في الدنيا، وجنة ورضوان في الآخرة ولا نصيب فيها للكافرين والمجرمين»[1]. وقيل: إن الله سبحانه وتعالى هو رحمن الدنيا

---

١. الميزان: ج٩ ص٢٧٤.

ورحيم الآخرة؛ وذلك لأن رحمته في الدنيا تعم المؤمنين والكافرين وفي الآخرة تختص بالمؤمنين دون غيرهم.

ولكي يتحقق مضمون الآية الشريفة المباركة يجب أن يتوافر شرطان:

الشرط الأول

أن تكون صفة الرحمة متحققة في الرسالة وثابتة فيها، والحديث فيه يمثل المحور الثاني.

الشرط الثاني

أن تكون صفة الرحمة متحققة في شخصية الرسول وثابتة فيها، والحديث فيه يمثل المحور الثالث.

المحور الثاني ـ صفة الرحمة في الرسالة

نحن نعلم بأن الإنسان في حاجة فطرية إلى أن يهديه الله جلّ جلاله إلى سعادته التي خلقه من أجل الوصول إليها وتحقيق كماله المطلوب منه في الحياة الدنيا، ولهذه الغاية المقدسة العظيمة أرسل الله جلّ جلاله الرسل وأنزل الكتب من السماء إلى الأرض،

وهنا تبرز مسألتان تتعلقان بالرحمة..

المسألة الأولى

أن الله جل جلاله ما كان ليرسل الرسل وينزل الكتب لولا الرحمة التي كتبها على نفسه، فأصل الرسالة مبني على الرحمة الربانية، وقد سمى الله سبحانه وتعالى نفسه الرحمن الرحيم، وقد شرحت في المحور الأول بعض ما يختص برحمته بما يناسب المقام في هذا الحديث. وتعتبر الرسالات والكتب السماوية والإيمان أكبر نعمة أنعمها الله جل جلاله برحمته على الناس، فلا تقاس بها جميع النعم المادية من المأكل والمشرب والمنكح والمسكن والمركب وغيرها، فالنعم التي تحصل بها حياة القلوب والأرواح أعظم وأهم من النعم التي تحصل بها حياة الأبدان.

المسألة الثانية

من المنطقي والطبيعي أن تحمل الرسالة صفة الرحمة، لأنها من لدن رؤوف رحيم، ولا يمكن أن تخالف الرحمة في شيء، فكل ما في الرسالة هو رحمة للعالمين.

قال الله تعالى في بيان خصائص الرسالة ومظاهر الرحمة فيها: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

وَالإِنْجِيلِ

١ ـ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ

٢ ـ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ

٣ ـ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١]).

فدعوة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ تقوم على ثلاث قواعد أساسية هي مظاهر الرحمة فيها

القاعدة الأولى ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فهي تأمر شرعا بما تعرفه العقول الرشيدة وتعترف به، وبما تقبله الطباع السليمة وبما ينسجم مع المبادئ والقيم الروحية والمعنوية العالية ويصب في مصلحة الإنسان ويحقق له السعادة والراحة في الدنيا والآخرة، وتنهى شرعا عن كل ما ترفضه العقول الرشيدة وتأباه الطباع السليمة وعن كل ما

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

يخالف المبادئ والقيم الروحية العالية ويضر بمصلحة الإنسان ويؤدي إلى شقائه وتعاسته في الدنيا والآخرة. كما تضبط حركة المجتمع في دائرة القواعد الشرعية في جميع المجالات وعلى الأصعدة والمستويات كافة، بحيث تضمن استقامة المجتمع وعدم انحرافه عن الصراط السوي، وذلك من خلال الرقابة الاجتماعية الإيمانية الشاملة التي تفرضها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المؤمنين.

والخلاصة

إن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعني مطابقة الرسالة كل المطابقة للعقل الرشيد والفطرة السليمة، وضمان الاستقامة على الصراط المستقيم والنهج القويم في الحياة.

القاعدة الثانية ـ تحليل الطيبات وتحريم الخبائث

فكل ما هو طيب ونافع للإنسان فهو حلال شرعا، وكل ما هو خبيث ومضر للإنسان فهو حرام شرعا، فالدعوة لا تسمح للدولة مثلا بأن تتاجر بالأجساد والخمور من أجل تشجيع السياحة وتنمية الاقتصاد؛ لأن ذلك في جوهره مضر للإنسان، والإسلام لا يمنح الإنسان حرية الإضرار بجسده وروحه والإساءة إلى ذوقه وأخلاقه ولا يسمح بذلك، وهو عمل

غير إنساني قطعا، والمطالبة به والسير فيه يدل على الجهل والضلال.

القاعدة الثالثة ـ إزالة كل ما يعيق حركة الإنسان وتقدمه

فالدعوة تقوم على أساس اليسر والتسامح وعدم التكليف فوق الوسع والطاقة، والحرص على تقدم الإنسان وتطوره في جميع مجالات الحياة، فليس في الرسالة حكم يصعب على الإنسان القيام به، وهي تزيل من خلال التشريع كل ما يعيق حركة الإنسان الحضارية وكل ما يكبل عقله وانطلاقته الرشيدة في الحياة وكل ما يمنع تقدمه وتطوره في الحياة على جميع الأصعدة مع مراعاة القاعدتين: الأولى والثانية، فالدعوة ترفض مثلا الظلم والاستبداد والاستسلام لقوى الاستكبار العالمي والتضليل الإعلامي والاتباع الأعمى للقيادات والطبقية الفاحشة في المجتمع والفحشاء والفساد في الدولة والتمييز على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة أو ما شابه ذلك؛ لأن ذلك كله مخالف لكرامة الإنسان ويعيق تقدمه وتطوره في الحياة.

فالرسول الأعظم الأكرم ﷺ هو بحق وحقيقة: مفتاح الخير، وباب الرحمة، وصانع الحضارة الإنسانية، ومصدر الأمن والاستقرار والطمأنينة في نفس الإنسان، والمحقق لسعادته وراحته في الدنيا والآخرة. فهو أفضل من أمر بالعلم والمعرفة والفضيلة، وضمن حرية التفكير والانطلاقة

الرشيدة في الحياة، والاستمتاع بالطيبات من الرزق، وحكم بالقسط، ودعا إلى الاستقامة والتسامح وإلى الإنسانية الواحدة التي تذوب فيها فوارق الجنس والعرق واللون، وأحل الطيبات وحرم الخبائث، وحرك نوازع الخير وكبح نوازع الشر لدى الإنسان، وساوى بين الناس أمام القانون والقضاء، وأعان الضعفاء ونصر المظلومين، وأزال الأغلال والأثقال التي تعيق حركة الإنسان وتمنع تقدمه وتطوره في الحياة، ونهى عن الظلم والبغي والجور والفحشاء والخيانة والتطرف والتمييز والاستبداد والاستكبار والفساد الأخلاقي والاجتماعي والإداري، وحلق بروح الإنسان وعقله في آفاق العلم والمعرفة والفضيلة والقيم الروحية والمعنوية العالية والصفاء والسلام الروحي والاجتماعي، وهذا يعني أن تكون أطروحات المؤمنين ومواقفهم تجسيدا فعليا وحقيقيا للرحمة الربانية، وإلا فهي لا تمت إلى الإسلام بصلة. فالإسلام الحنيف يدعو إلى الحق والعدل والاعتدال والفضيلة والتسامح، ويرفض الباطل والظلم والإرهاب والتطرف والعنصرية وقتل الأبرياء من أي دين أو مذهب كانوا ويرفض كل رذيلة.

والنتيجة (١)

أن يرفض المسلمون كل الأطروحات والمواقف الخالية من الرحمة والمناقضة لها، كالتي تقوم على التكفير والتمييز العنصري والطائفي

والطبقي بين الناس، والتي تدعو إلى الفحشاء والجريمة وسفك دماء الأبرياء وتنشر الأحقاد والبغضاء بين العباد.

والنتيجة (٢)

أن يسعى الشباب المؤمن المجاهد في سبيل الله جل جلاله ليكونوا بحق وحقيقة القدوة الحسنة والمثل الناصع للإنسان الصالح القوى الحريص على منافع الناس ومصالحهم والقادر على عمارة الأرض، ليكونوا بحق وحقيقة المنقذين لهذا العالم من محنته التي يعيشها في صحراء الفلسفات المادية والرؤى الوضعية القاحلة الفقيرة على صعيد القيم الروحية والمعنوية، والمتعبة لنفوس الذين يسيرون فيها، والمرهقة لأرواحهم ومعنوياتهم الضعيفة أصلا.

المحور الثالث ـ صفة الرحمة في الرسول

إن كون أصل الرسالة مبنياً على الرحمة التي كتبها الله جل جلاله على نفسه وأنها تحمل في نفسها خصائص الرحمة، يتطلب أن يكون الرسول الذي يحملها إلى الناس متصفاً بالرحمة أيضا ليكون رسول الرحمة بحق وحقيقة، وهذا يتطلب توافر شروط معينة فيه.

قال الله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكّلين[١]).

وقال الله تعالى: (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم[٢]).

أيها الأحبة الأعزاء: إن الخُلق العظيم واللين في المعاملة والشفقة على الناس يأتي في مقدمة الشروط ويمثل الأساس الثاني بعد الإيمان الذي تقوم عليهما بقية الشروط.

قال الله تعالى في تثمين رسوله الكرم صلى الله عليه وآله : (وإنّك لعلى خُلقٍ عظيم[٣])، فهكذا كان الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله في ميزان الرب الجليل سبحانه وتعالى، وهكذا كان في الواقع بشهادة الوقائع والأحداث، لقد كان صلى الله عليه وآله يمتلك قلبا كبيرا يتسع لكل مشاكل الناس وأخطائهم، وكان كثير الحب لهم، والحرص عليهم، والتفهم إلى مشاكلهم والصبر عليها، وتحمل المشاق من أجلهم، فلا يتعقد منهم، ولا يتشنج لما يصدر عنهم من أخطاء، ولا

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٢. سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

٣. سورة القلم، الآية: ٤.

يضيق بهم، ولا يقسو عليهم في المعاملة معهم، ولا يسيء إليهم، ولا تصدر منه الكلمات التي تؤذي مشاعرهم، ولا يفرّط فيهم، ولا يقابلهم بالإهمال والتضييع وعدم الاكتراث بهم، فكان يعطف عليهم ويعفو عن أخطائهم وينظر إلى العاصين منهم بعين الرحمة والشفقة لا بعين الازدراء والقسوة، ويستغفر لهم ويسعى لهدايتهم باللطف والموعظة الحسنة، ويحرضهم على التوبة ويفسح المجال أمامهم للتصحيح والتراجع عن الخطأ، وكان منفتحا على أصحابه ويقف على وجهات نظرهم في مختلف القضايا ويسمع لآرائهم ويكثر من مشاورتهم حتى قال عنه المنافقون بأنه (أذن) لكثرة ما كان يسمع لأصحابه ويشاورهم (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[١])، وكان يسعى للوقوف على مشاكلهم في الحياة وحلها ويعمل على تثبيتهم وإبعادهم عن الاهتزاز النفسي والروحي والأخلاقي والسلوكي وعن الاهتزاز في المواقف العامة في الحياة، وكان يخاطبهم بلطف وحميمة ويلامس مشاعرهم في حديثه معهم، ليتسلل حديثه إلى قلوبهم وعقولهم بسلاسة وعفوية وسهولة، فتلين

---

١. سورة التوبة، الآية: ٦١.

له القلوب وتخضع له النفوس عن قناعة وإيمان وطيب خاطر، وتتعزز حالة الانتماء والانقياد إلى الرسالة والرسول القائد، وتقوى روحية المؤمنين في مواقع الصراع، وكان يشق عليه وقوع أي ضرر أو أذى على أي إنسانٍ – مؤمناً كان أم غير مؤمن – ويتألم لذلك أشد الألم، فهو شديد الارتباط بالناس، ظاهر الخوف والحرص عليهم والساعي بكل ما لديه من أجل سعادتهم، فلا يتكلم إلا بما فيه هدايتهم ورشدهم، ولا يتخذ إلا المواقف التي تصب في مصلحتهم ومن خلال التشاور معهم، وهذا ما ينبغي أن يعيشه المسلمون في علاقتهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم ولاسيما القيادات منهم، فينبغي أن تتجسد الرحمة والأخلاق العالية في كلماتهم وفي علاقاتهم ومواقفهم في الحياة على كل الأصعدة والمستويات، بعيدا عن نوازعهم الذاتية وأغراضهم الشخصية التي يسوّل لهم الشيطان تسويقها باسم الدين أحيانا. فالرحمة والأخلاق العالية تمثل العمق الحقيقي الثاني في شخصية الإنسان المسلم الفكرية والعملية بعد الإيمان، وإنها تترجم في أطروحاته وسلوكه ومواقفه، فهي ليست مجرد شعار يرفع للدعاية أو انفعال مؤقت يطير مع أول تصادم أو تحدٍّ مع الآخرين، فلا يكفي في شخصية الإنسان المسلم ولاسيما القيادات أنها تمتلك العمق الفكري ووسائل السلطة وفرض النفوذ، وإنما يجب أن تتمتع بالأخلاق العالية

وتتصف بالرحمة لكي تستطيع تجسيد جوهر الرسالة في سلوكها ومواقفها وتنجح في إيصال الدعوة إلى قلوب الناس وعقولهم لتتمكن من صياغة النفوس أولا الصياغة الربانية، ثم صياغة الحياة بكافة أبعادها. والبديل عن ذلك هو التفرق والتشتت، لأن الناس عادة يبتعدون عن أي شخص يغلق قلبه عنهم ويقابلهم بعدم الاهتمام وعدم الاكتراث ويقسو عليهم في المعاملة معهم (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ[1])، وعلى هذا الأساس المتين من الرحمة والأخلاق العالية والانفتاح يقوم الصفح عن الأخطاء واللين والتسامح مع الأتباع وعموم الناس، وتبنى المشاورة في الشؤون العامة مع أصحاب الرأي والإصغاء لعامة الناس وخاصتهم في مختلف القضايا العامة التي تتعلق بهم والوقوف على مختلف وجهات نظرهم فيها، ويقوم الاهتمام بقضايا الناس وهمومهم اليومية المعيشية وغيرها والتفقد لأوضاعهم والمتابعة لأحوالهم بصفة دائمة، فلا يقسو القائد الإسلامي ولا يفرط في الأتباع والجماهير ولا يضيعهم ولا يستبد برأيه في اتخاذ القرارات المصيرية مهما كان مستواه وكانت قدراته، وإنما يسعى بحسب تكليفه إلى تأمين أكبر قدر ممكن من

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

المشاورة والمناقشة من أجل الوصول إلى أفضل القرارات وأوسعها قاعـدة، لكي يتجنب الخطأ والعثار قدر ما يستطيع، ويـربي الأمـة عـلى التفكـير مـع القيادة وعلى تحمـل المسـؤولية الدينيـة والوطنيـة والاهـتمام بـأمور النـاس وقضاياهم العامة وعلى متابعة أداء القيادة ومراقبتها ومحاسبتها والمبـادرة إلى تقويمها إذا احتاجت إلى تقويم لكي لا تميل أو تضعف ولكـي لا يسـتفحل الخطأ وتتعقد المشاكل.

يقـول سـماحة العلامـة السـيد فضـل الله: «وتلـك هـي عظمـة التربيـة الإسلامية التي توحي للقادة، وإن كانوا في مستوى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا يحتاج إلى فكر أحد، بأن يبحثوا عن القاعدة التي تفكر وتقتنع لتطيـع مـن خلال ذلك، لا عن القاعدة التي تطيع من دون فهم ووعي، وذلك كوسيلة مثلى من وسائل التحضير العملي لقيادات المستقبل من بين أفـراد القاعـدة»[١] وهذا ما من شـأنه أن يضـمن اسـتقامة القيـادة وسـلامة المسـيرة ويضـمن مصالح العباد وعدم التفريط فيها وعـدم التلاعـب بمقـدراتهم، علـما بـأن الدكتاتورية والاستبداد هما ضد الرحمة وبخلاف الأخلاق العالية والمبـادئ السامية وتدلان على تضخم الأنا والأنانية في اتخاذ المواقف.

---

١. من وحي القرآن: ج٦ ص٣٤٤.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكـريم الـرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الرسول وعلاقته بقومه [1]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الغوي الرجيم.

الخطبة الدينية

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ[2]). آمنا بالله صدق الله العلي العظيم.

في البداية، أرفع أحر التعازي إلى مقام سيدي ومولاي وإمامي وشفيعي يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (روحي وأرواح المؤمنين لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقام مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها وإلى جميع والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم بمناسبة الذكرى الأليمة لرحيل نبينا محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

---

١. نص الكلمة التي ألقاها الأستاذ بتاريخ ٠٢/ مايو - أيار/ ٢٠٠٣م.

٢. سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

الآية الشريفة المباركة وهي الآية ١٢٨ من سورة التوبة وهـي الآيـة قبـل الأخيرة في السورة.

هذه الآية توضح لنا الصـورة لعلاقـة النبـي محمـد كإنسـان وكمسـئول وكقائد بقومه، وتوضح لنا الأجواء التـي تتحـرك فيهـا تلـك العلاقـة مـن المحبة والرحمة والخوف والحرص على الأمـة، تلـك الأجـواء التـي فتحـت عقول الناس وقلوبهم بذكر الله ولدعوته، وأدخلت الناس إلى هذه الأجواء أفواجا في دين الله. وهذه الآية الشريفة المباركة تقيم الحجة على كل حـاكم، وعلى كل قائـد، وعـلى كـل رمـز، وعـلى كـل داعيـة، وعـلى كـل مصـلح، وتدعوهم جميعا للاقتداء بالرسول الأعظم ﷺ، وهـذا في علاقتـه بقومـه أو بعلاقته بالناس جميعا.

قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ)

لقد جاءكم

الخطاب موجّه من الله جل جلاله إلى الناس كافـة ولـيس موجّهـا إلى المـؤمنين خاصة، لقد جاءكم ـ الآية نسبت فعل المجيء إلى الرسول الأعظم ﷺ – لم تقل مثلا لقد بعثنا فيكم أو أرسلنا إليكم رسولا كـريما، وإنـما قالـت لقـد جاءكم للدلالة على الإرادة الخاصة الصادقة لدى الرسـول الأعظـم ﷺ

والرغبة الشديدة للرسول الأعظم للقيام بمهام الدعوة، صحيح أن هناك تكليفا من الله عز وجل وأن الرسول الأعظم استجاب لهذا التكليف ولكن الآية تقول إن هناك إرادة خاصة وصادقة لدى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهناك رغبة شديدة لدى الرسول الأعظم للقيام بمهام الرسالة وبهداية قومه وإرشادهم وإصلاحهم.

نقدر بأن هناك قسمين من الدوافع لدى الرسول الأعظم للقيام بمهام الرسالة

القسم الأول من الدوافع

ينبع من علاقته بالله، وهناك علاقة خاصة تربط بين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وربه، وأن هذه العلاقة تولّد لدى الرسول دوافع للقيام بمهام الرسالة.

القسم الثاني من الدوافع

هي الدوافع التي تنبع من علاقة الرسول صلى الله عليه وآله بقومه، وهذه العلاقة تولّد لدى الرسول الأعظم دوافع للقيام بمهام الرسالة، الآية الشريفة المباركة ركزت على هذه الدوافع، تنبه إلى هذه الدوافع. هناك دوافع تنبع من علاقة الرسول بالله، وهناك دوافع تنبع من علاقة الرسول بقومه، الآية

تريد أن تنبهنا إلى القسم الثاني من الدوافع، وفيها أيضا دلالة على أن الإنسان الذي يرتبط بعلاقة حسنة مع الله لابد بأن يرتبط بعلاقة حسنة مع الناس.

لقد جاءكم رسول

لفظ رسول في الآية ينبهنا إلى أن المجهود الذي يقدمه الرسول الأعظم إلى الناس، المنهج الذي يقدمه الرسول الأعظم إلى الناس، هو ليس من عنده وإنما هو من عند الله، فهو رسول من عند الله يحمل إلى الناس هذا المنهج ويحمل إلى الناس هذا المشروع، وهذا يدل على عظمة هذا المنهج، ويدل على عظمة هذا المشروع، ويدل على كفاءة هذا المنهج وعلى هذا المشروع، ويدل على ملاءمة هذا المشروع مع الناس.

المعنى الأول

أنه بشر مثلكم هو من النفس البشرية، وهذا ينبهنا إلى أن سيرة الرسول - صفات الرسول - مواقف الرسول - هي حجة عليكم، لا تستطيعون أن تقولوا عندما تطالَبون بأن تكون لكم نفس سيرة الرسول، وأن تكون لكم نفس صفات الرسول، وأن تكون لكم نفس مواقف الرسول الأعظم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، لا يمكن أن تحتجوا لتقولوا إنه ليس من البشر، هو

بشر يتألم كما تتألمون يفرح كما تفرحون ويحزن كما تحزنون، له مثل العواطف البشرية والمشاعر البشرية، فهو حجة عليكم في سيرته في صفاته ومواقفه، وعليكم أن تقتدوا به وليس لديكم حجة في مخالفته لأنه بشر مثلكم. وأيضا هذا اللفظ فيه تشريف للإنسان، لإنسانية الإنسان؛ فهذه الآية تقول إن الإنسان كإنسان في مقدوره أن يصل إلى هذه المرتبة العالية التي يتفوق فيها على الملائكة، وإن كبار الملائكة وعظماء الملائكة يتصاغرون أمامه، إذا سلك الإنسان مسلك الرسول وانتهج نهج الرسول فهو يستطيع أن يقطع المسافات، ويرتقي في مدارج الكمال ليصل إلى مرتبة عالية في إنسانيته يتفوق فيها على الملائكة.

المعنى الثاني

المعنى الأول ربما يقترب من المعنى الفلسفي، أما المعنى الثاني فيقترب من المعنى الاجتماعي.

الله جل جلاله يريد أن يقول إلى الناس إن الرسول محمد صلى الله عليه وآله هو واحد منكم، الناس والمجموعة البشرية أسرة واحدة والرسول يرتبط بها وهو جزء منها تربطه بهم وشائج المحبة، تريد أن تقول لهم إن الرسول صلى الله عليه وآله يعيش بينكم ويرتبط معكم برباط المحبة والود والحرص، يعرف مشاكلكم ويسعى إلى حل هذه المشاكل، يتألم إلى آلامكم يفرح إلى أفراحكم، فهو

منكم ويرتبط بكم.

وفي هذه الآية حجة على كل حاكم، وعلى كل قائد، وعلى كل رمز، وعلى كل داعية، وعلى كل مصلح. إن هؤلاء عليهم أن يرتبطوا بمجتمعاتهم، أن يعيشوا معهم، أن يختلطوا بهم، أن يتعرفوا على أحوالهم ومشاكلهم، وأن يسعوا إلى حل هذه المشاكل، أن يفرحوا إلى أفراحهم ويحزنوا إلى أحزانهم، وإلا فليسوا أهلا للمواقع التي يحتلونها، الحاكم القائد الرمز الداعية، الذي يعيش منعزلا عن قومه، لا يعرف شيئا عن معاناتهم وعن مشكلاتهم، لا يفرح لأفراحهم ولا يحزن لأحزانهم، هذا لا يستحق الموقع الذي هو فيه.

الحاكم القائد الرمز الداعية المصلح الذي تتعدد له القصور والفلل والشقق الفاخرة، وسائر الناس لا يجدون لهم مسكنا، يمتلك الأراضي الواسعة وأبناء الشعب الواحد منهم لا يستطيع أن يمتلك أرضا ليسكن عليها، يمتلك الثروات الضخمة ويسعى ليزيد هذه الثروة بالحلال والحرام وأبناء الشعب وسائر الناس لا يمتلكون لقمة العيش، هل هؤلاء جديرون بالمقام الذي هم فيه؟ طبعا لا، فالقائد الحاكم الرمز المصلح يجب أن يكون واحدا من الناس يرتبط بالناس، يخالط الناس يعاني ما يعانيه الناس وإلا ليس أهلا للموقع الذي هو فيه.

قوله تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)

عزيز عليه ـ أي يشق عليه، شديد عليه، يؤذيه عنتكم.

ما هو العنت؟ العنت له عدة معانٍ:

المعنى الأول: العنت بمعنى الشدة، والمشقة، والضرر، والهلاك، إلى غيره من المعاني.

المعنى الثاني: هو العناد والمكابرة، وبالتالي فلهذه الفقرة من الآية معنيان رئيسيان.

المعنى الأول

أنه يشق على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ويؤلمه ما تقعون فيه من المشقة والشدة ومن الأذى، كل ما يقع عليكم من الشدة والضرر والألم فهو يشق عليه ويؤلمه سواء أكان هذا الضرر في الدنيا أم في الآخرة، وبالتالي فهو يسعى لأن يخلق لكم أوضاعا مريحة وليس العكس، فهو لا يسعى لخلق أوضاع تؤزم المجتمع، وإذا وجدت مشكلة يسعى بجد لحل هذه المشكلة لأنه تؤلمه أية مشقة تقع على الناس، أي ضرر يقع على الناس فهذا يؤلمه، وليس العكس خلق أوضاع صعبة، سواءٌ أكانت أوضاعاً سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية أم خلق أزمات إلى الناس، التعامل مع الناس

وكأنهم أعداء، استخدام الملفات الإنسانية لأهداف سياسية، هذا كله بعيد عما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بين القائد وسائر الناس والجمهور، وبالتالي فكل أوضاع دستورية كل أوضاع سياسية، كل أوضاع اقتصادية، كل أوضاع اجتماعية أو ثقافية تشق على الناس، فالحاكم القائد يجب أن يسعى لحلها، وبالعكس يخلق أجواء مريحة، وبالتالي نحن ندرك كم هو غريب وشاذ أن يسعى القائد أو الحاكم لخلق أوضاع متأزمة على أي مستوى دستوري، سياسي، اقتصادي، اجتماعي، حالة شاذة ترفضها الفطرة الإنسانية، وترفضها الشرائع السماوية، وترفضها العقول السليمة.

المعنى الثاني

أن العنت هو المكابرة والعناد، فالآية تقول إنه يشق على الرسول ﷺ ويؤلمه رفضكم رسالته إلى الدين التي جاء بها، فما تظهرونه من مظاهر المكابرة والعناد في مواجهة المشروع والمنهج يؤدي إلى ضرر الدنيا وضرر الآخرة، هلاك الدنيا وهلاك الآخرة وهو جاء رحمة للعالمين.

قوله تعالى: (حَرِيصٌ عَلَيْكُم)

الحرص: هي العلاقة الشديدة بالشيء، والرغبة الشديدة في الشيء،

والتمسك الشديد بالشيء، فحينما يكون لدينا حرص على شيء فهذا يدل على رغبتنا الشديدة فيه وتمسكنا الشديد به، فالآية عندما تقول (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) بمعنى أنه تربطه بكم علاقة قوية، علاقة حميمة، لديه رغبة شديدة في المحافظة عليكم، وهو متمسك بكم لا يريد أن يفرّط فيكم، فهو حريص على هدايتكم وعلى إرشادكم لما يصلح شؤونكم في الدنيا والآخرة، ولما يحقق لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وبما يصلح أحوالكم، حريص عليكم بحيث يبعدكم عن كل أذى وعن كل مشقة وعن كل مضرة وعن كل هلاك، وبالتالي حينما يدعو الرسول صلى الله عليه وآله إلى الجهاد فهو لا يسعى وراء الجهاد من أجل هلاككم ومن أجل مشقتكم، وإنما من أجل صلاحكم لأن الجهاد يرفع عنكم الذل الهوان ويرفع عنكم الظلم، ولأن الجهاد يحفظ لكم الحقوق ويصون أوضاعكم عن الفساد ويصون أوضاعكم عن التراجع للوراء، فالجهاد رحمة، وحينما يأمر بإقامة الحدود والقصاص فليس ذلك من أجل الانتقام، إنما هو رحمة، لماذا؟ لأن المجتمع بغير قانون يهلك، والقانون يحتاج إلى حماية، ولا يمكن حماية القوانين من دون الحدود والقصاص ـ (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ[1]) لأن المجتمع يحيا

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

حينما يكون هناك قانون، وحينما تكون هناك حماية للقانون، أما إذا لم تكن هناك حماية لهذه القوانين فستوجد انتهاكات لهذه القوانين ويهلك المجتمع ويفسد المجتمع (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ)، العبادات الصلاة الزكاة الصوم الحج هي أيضا رحمة؛ لأنها تطهير إلى النفس وتزكية إلى النفس، تعمل على ترقية النفوس وتكميل النفوس، فتكون مصدر خير إلى الناس في الحياة الدنيا، وتتأهل هذه النفوس إلى الثواب الأخروي، ثواب الله يوم القيامة، فالجهاد والحدود والعبادات ليست من أجل المشقة عليكم وإنما من أجل الحرص عليكم.

قوله تعالى: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)

النبي ﷺ رحمة للعالمين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ[1])، هو كرسولٍ رحمةٌ؛ لأنه يوصل رحمة الله إلى الناس، يوصل دين الله إلى الناس، وهو رحمة في صفاته وفي سيرته، وهو رحمة في دينه وفي رسالته، كما ذكرت الجهاد رحمة، الحدود رحمة، العبادات رحمة، الأحكام كلها رحمة، وهو أيضا يدعو إلى الرحمة، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، يدعوكم إلى التراحم، فالرسول رحمة إلى العالمين ولكنه أيضا له رحمة خاصة بالمؤمنين.

---

١. سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) الرأفة ـ يعني الرحمة الشديدة، الرؤوف يعني شديد الرحمة، والشفقة على الناس لكي لا يصلهم أي ضرر وأي مشقة فالرسول صلى الله عليه وآله به رحمة لكل الناس ولكن لديه رحمة خاصة بالمؤمنين، شديد الرحمة، شديد الشفقة على المؤمنين، وهنا يجب أن نلتفت إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن من رحمته للمؤمنين وأن من شفقته على المؤمنين أنه يدافع عنهم ويحميهم من ظلم الظالمين، فالرسول صلى الله عليه وآله رحمة بالمؤمنين يحميهم من الظلم ويحميهم من الإجحاف ويحميهم من الضرر ويدافع عنهم، وحتى في هذا الحال وإن كانت رحمته تتجلى أكثر مع المؤمنين، إلا أنه رحيم بالظالمين أيضا؛ لأنه عندما يمنع الظالمين من إيقاع الظلم يحميهم من العذاب ويحميهم من الهلاك، فحتى في هذه المواقف التي يقف فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالدفاع عن المؤمنين وعن حقوقهم وحمايتهم من الظلم هو أيضا رحيم بالظالمين أنفسهم لأنه يحميهم من العذاب الأليم، الله عز وجل رحيم بالمؤمنين وغير المؤمنين، رحيم بالناس كافة ولكن لديه رحمة خاصة وشفقة خاصة بالمؤمنين، ومن هذه الشفقة ومن هذه الرحمة أنه يدافع عن حقوقهم ويحميهم من الظلم.

خمسة أوصاف للنبي صلى الله عليه وآله[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة طرفة عين أبدا يا كريم.

اللهم معهم معهم، لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

١. بمناسبة مولد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، المكان (١): مأتم القائم - إسكان قرية عالي. اليوم: مساء الثلاثاء - ليلة الأربعاء. التاريخ: ١٧/ ربيع الأول/ ١٤٢٩هـ. الموافق: ٢٥/ مارس - آذار/ ٢٠٠٨م. المكان (٢): مأتم الحدادة - الحورة. اليوم: مساء الخميس - ليلة الجمعة. التاريخ: ١٩/ ربيع الأول/ ١٤٢٩هـ. الموافق: ٢٧/ مارس - آذار/ ٢٠٠٨م.

في البداية، أرفع أسمى التهاني والتبريكات إلى مقام إمامنا وسيدنا وشفيع ذنوبنا في يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة، بمناسبة مولد النور الأعظم ومنبع الحياة، وسند الحرية والتقدم والازدهار للإنسان، ابن الذبيحين، وخاتم الأنبياء والرسل، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا[1])

الآية الشريفة المباركة: تخاطب الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بالنبوة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) على غير العادة في مخاطبة الله عز وجل للأنبياء سواه، حيث يخاطبهم في العادة بأسمائهم، مثل: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا يحيى، ولم يخاطبهم بمثل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) و(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)[2] و(يَا أَيُّهَا

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٤٥ ـ ٤٦.

٢. سورة المزمّل، الآية: ١.

المُدَّثِّرُ)[١]. وفي ذلك تكريم له وتعظيم لشأنه عليهم جميعا، ودليل على أنه قد ملك ناصية النبوة وحقيقتها الكاملة، وأن له من الخصوصيات عند الله جل جلاله ما ليس لغيره من الأنبياء.

خمسة أوصاف للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

وتؤكد الآية الشريفة المباركة على أنه رسول من الله جل جلاله يحمل رسالته الكريمة إلى الناس جميعا (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ)، وتذكر الآيتان (٤٥ ـ ٤٦ من سورة الأحزاب)، اللتان نحن بصدد الحديث بشأنهما، أن له خمسة أوصاف تقوم عليها رسالته إلى الناس، وكلها أوصاف كمال وجمال، وهي:

الصفة (١) شَاهِدًا

تقول شهد الشيء: أي حضره وعاينه. وشهد على كذا: أي أخبر به عن يقين، فهو شاهد. والجمع: شهود وأشهاد. والشهيد: الأمين في شهادته.

والآية الشريفة المباركة تتناول شهادة للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله ذات أبعاد عديدة شاملة، منها: شهادته لله عز وجل بالوحدانية والعدل (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

---

١. سورة المدثّر، الآية: ١.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[١])، وشـهادته عـلى الأنبيـاء السـابقين والأوصـياء: السـابقين واللاحقين. فالرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله هو شـاهد عـلى الشـهود مـن الأنبياء والأوصياء.

قال الله سبحانه وتعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَـهِيدٍ وَجِئْنَـا بِـكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا[٢]).

وقال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا[٣]).

وهو شاهد على أمم الأنبياء السابقين وعلى أمته إلى يوم القيامة، بأنهم قـد أبلغوا رسالات ربهم، وشاهد على مواقفهم منها (شاهد للمؤمنين بأنهم قـد أطاعوا واتبعوا، وشاهد على المكذبين بـأنهم قـد عصـوا وخـالفوا)، وكأنـه صلى الله عليه وآله يقدم تقريرا شاملا بين يدي الله عز وجل في يوم القيامـة عـن إبـلاغ الأنبياء لرسالة ربهم إلى الناس، وعن مواقف الناس منها.

ومن الواضح أن الرسول الأعظم الأكـرم صلى الله عليه وآله هـو الصـادق المصـدق،

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٨.

٢. سورة النساء، الآية: ٤١.

٣. سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

فأبرز صفاته الصدق، وهو أسّ الفضائل وأصلها، فيستحيل عليه الكذب والخيانة والسفاهة والخطأ، فشهادته: شهادة حق وعدل، والنتيجة: هنيئا لمن يشهد لهم حيث النجاة والنعيم المقيم والسعادة الأبدية، والويل لمن يشهد عليهم حيث الخيبة والخسارة والتعاسة والعذاب المقيم والشقاء الأبدي.

والسؤال:

من المفهوم أن يكون الرسول الأعظم الأكرم ﷺ شاهدا على أصحابه، حيث إنه يعيش معهم، ولكن كيف يكون شاهدا على الأنبياء السابقين وأممهم، وعلى الأوصياء بعده وعلى أمته بعد وفاته إلى يوم القيامة وهو غائب عنهم؟!

الجواب: إن هذه الشهادة التي يذكرها القرآن الكريم للرسول الأعظم الأكرم ﷺ تدل على أنه يتمتع بحالة إشرافية وجودية تتجاوز حدود الزمان والمكان اللذين يعيش فيهما، تمكّنه من الاطلاع والهيمنة على مسيرة الإنسان منذ أبينا آدم وحتى أن يرث الله عز وجل الأرضَ ومن عليها، بل أوسع من ذلك. وهذه الحالة الإشرافية لا تنفصل عن كماله الروحي والمعنوي وسموه العقلي والأخلاقي، فهي تتطلب كمالا روحيا يحمله إلى الأفق الأرحب ويمنحه هذه الحالة الإشرافية العظيمة. وهذا بدوره لا ينفصل عن كمال الرسالة التي يحملها، وشمولها، وخاتميتها، وحاكميتها

على جميع الرسالات السابقة، مما يدل على أن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله يتمتع بأفضلية وجودية واقعية على جميع البشر، بمن فيهم جميع الأنبياء.

وقبل أن أنتقل من الحديث عن هذه الصفة، أقول: إن كلَّ مؤمن ومسلم يعشق الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وكلَّ عاشقٍ حريصٌ على كسب رضا معشوقه وأن لا يُدخل الأذى إلى قلبه. وقد علمنا علما يقينيا بأن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله مطلع على أعمالنا وأحوالنا وأوضاعنا الفردية والمجتمعية، قال الله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[١])، فإذا حسنت أعمالنا وأحوالنا وأوضاعنا الفردية والمجتمعية، فإن من شأن ذلك أن يدخل البهجة والسرور إلى قلبه المقدس صلى الله عليه وآله، وإذا ساءت أعمالنا وأحوالنا وأوضاعنا الفردية والمجتمعية، فإن من شأن ذلك أن يدخل الأذى إلى قلبه المقدس صلى الله عليه وآله، فإذا كنا عاشقين للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بحق وحقيقة، فليكن لنا كامل الحرص على أن تحسن أعمالنا وأحوالنا وأوضاعنا الفردية والمجتمعية، وأنبه: لا يكفي حرصنا على أن تحسن أعمالنا وأحوالنا الفردية، وإنما المجتمعية أيضا.

---

١. سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

قال الله تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ[1]).

الجدير بالذكر أن الأمة التي تتبع الرسول الأعظم الأكرم ﷺ بحق وحقيقة، ينبغي أن تعكس أوضاعها الفكرية والروحية والاجتماعية والحضارية وغيرها صفات الكمال التي يتمتع بها، وإلا فإنها لا تتبعه حق الاتباع.

الصفة (٢) مُبَشِّرًا

البشرى هي الخبر السار، والبشير والمبشر: هو مبلغ البشرى.

فالرسول الأعظم الأكرم ﷺ مبشر للمؤمنين المطيعين بالرحمة الإلهية وبالكمال الإنساني والحياة الطيبة في ظل فعل الخيرات وعمل الصالحات، وبالمنزلة الرفيعة والثواب العظيم المقيم والسعادة الأبدية في الآخرة.

الصفة (٣) نَذِيرًا

تقول أنذره الشيء: أي أعلمه به وخوّفه منه. والنذير والمنذر: هو القائم بعملية الإنذار. والجمع: نذر. فالرسول الأعظم الأكرم ﷺ منذر

---

١. سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

للمكذبين والعاصين بالانحطاط والانسلاخ من إنسانيتهم (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا[١])، وبالحياة الخبيثة القذرة في ظل فعل المنكرات والمعاصي، وبضنك العيش وإن كانوا أغنياء أو ملوكا أو سلاطين أو رؤساء جمهوريات أو غيره، وفي كامل صحتهم في ظل الإعراض عن ذكر الله عز وجل (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى[٢])، وبالعذاب العظيم المقيم والشقاء الأبدي في الآخرة.

وهذان الوصفان: (مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) يرتبطان بحقيقة الإنسان من جهة أن الإيمان والطاعة هما السبيل الوجودي إلى الكمال الإنساني والحياة الطيبة والسعادة الأبدية كنتيجة وجودية حتمية لهذا الطريق، وأن الكفر والمعصية هما السبيل الوجودي إلى النقص والانحطاط والانسلاخ من الإنسانية وإلى الحياة الخبيثة وضنك العيش والشقاء الأبدي كنتيجة وجودية حتمية لهذا الطريق.

فالجنة كمال روحي وقرب معنوي من الله عز وجل والسعادة حالة ملازمة لذلك، والنار نقص روحي وبعد معنوي عن الله عز وجل والشقاء

---

١. سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

٢. سورة طه، الآية: ١٢٤.

حالة ملازمة لذلك، مع التنبيه على أن العبرة هي بالنوع في الأعمال الذي يعكس حالة الصدق والإخلاص والإيمان أو الكفر والكذب والرياء والسمعة، وليس بالكم فيها.

والوصفان يرتبطان بحقيقة الإنسان من جهة أن الإنسان مفطور على جلب المنفعة لنفسه ودفع الضرر عنها، وهاتان الصفتان اللتان تقوم عليهما الرسالة، هما خطاب لهذه الفطرة الإنسانية، مع التنبيه إلى أنه لا توجد منفعة أكبر من المنفعة المترتبة على الاستجابة لدعوة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ ليكون الإنسان أحرص عليها منها، ولا يوجد ضرر أكبر من الضرر المترتب على الإعراض عن دعوة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ ليكون الإنسان أحرص على الحذر منه ودفع ضرره عن نفسه.

الصفة (٤) دَاعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ

دعاه إلى الأمر: ساقه إليه، والداعي: هو من يدعو الناس إلى دين أو مذهب أو أي أمر آخر، ودعوة الرسول الأعظم الأكرم (ص) هي دعوة إلى توحيد الله عز وجل وطاعته.

ونحن نعلم بأن هناك تكليفا عاما لكل مسلم بالدعوة إلى الله عز وجل.

قال الله تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ[١]).

وقال الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ[٢]).

والوصف في الآية موضوع البحث: يدل على النبوة بدلالة لفظ (بِإِذْنِهِ) فهو مكلف بالدعوة إلى الله عز وجل على أساس النبوة والوحي من الله جل جلاله. وهذه الدعوة تمثل الأساس للحياة الإنسانية الكريمة الطيبة على صعيد الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم، وقد بلّغ رسالة ربه إلى الناس وقام بأمر الدعوة على أحسن وجه وأكمله، وقدم التضحيات الجسام من نفسه المقدسة وأهل بيته وأصحابه، غير واهن ولا مقصر، ولم يطلب في مقابل ذلك من الناس أجرا ولا شكورا. حتى الزعامة والقيادة كانت قضية رسالية تقوم على أساس تحمل المسؤولية والتضحية والفداء من أجل الهداية وإقامة العدل والأمن والاستقرار والتقدم والرخاء للإنسانية (الشعوب والأمم)، وليس من أجل المنافع المادية والمكاسب والشخصية. وقد اجتمع

---

١. سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٢. سورة فصلت، الآية: ٣٣.

لـه مـن أسـباب الكـمال والفضـل والشرف، مـا يوقـع في نفـوس النـاس استعظامه والتأثر به، وقبول دعوته.

ونحن في مقابل ذلك مكلفون بالاستجابة إلى هـذه الـدعوة الكريمـة؛ لأن فيها صلاحنا وسعادتنا وحياتنا الطيبة في الدنيا والآخرة.

قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِّ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ[١]).

وقال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[٢].

الصفة (٥) سِرَاجًا مُّنِيرًا

السراج هو المصباح، ويطلق على كل مصدر للنور أو كـل شيء مضيء. فالرسول الأعظم الأكـرم صلى الله عليه وآله يهتـدي النـاس بنـوره الملكـوتي (تعاليمـه وسيرته) ليخرجوا مـن الظلـمات المعنويـة، مثـل: الحـيرة والشـك والكفـر والضلال والمعصية، نحو الإيمان والطاعة واليقين والكـمال والحيـاة الطيبـة

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

٢. سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

والسعادة الأبدية التي هي غاية وجودهم في الحياة، كما يهتدي الناس بالسراج في الظلمات المادية.

ولفظ السراج أطلق في القرآن الكريم على الشمس (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا[١]) ووصف الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بالسراج، يدل على أمرين مهمين، وهما:

الأمر (١): أن هديه ونوره الملكوتي الذي يضيء الطريق للناس نحو الكمال والسعادة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، ظاهر كالشمس لا ينكرها إلا مكابر.

الأمر (٢): أن هديه ونوره ينبع من نفسه الملكوتية الطاهرة، وليس مكتسبا من مصدر آخر غير الله عز وجل، ففكره، وروحيته، وأخلاقه، وسلوكه، ومواقفه، كلها تدل على صدق دعوته وأحقيتها لدى كل عاقل بصير، كما يدل نور الشمس على وجودها.

وقد جاء الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بالتصور الواضح النير ـ الذي لا شبهة فيه ولا غموض ـ للوجود وعلاقته بالموجِد، ولمكانة الإنسان فيه،

---

١. سورة نوح، الآية: ١٦.

وللقيم التي تقوم عليها مسيرة الإنسان في الحياة، وذلك كله بأسلوب يخاطب الفطرة والعقل والضمير، وهذا من فضل الله جلّ جلاله ومننه الكبرى على الإنسان، بل هو أعظم نعمة أنعم بها عليه.

ومن الواضح لكل بصير أن هذا النور مرتبط بكماله وسموه العقلي والروحي والأخلاقي، فهو يعبّر عن حالة وجودية واقعية للنور والهداية، وليست حالة اعتبارية موهومة، تخضع للأمزجة والتقديرات الشخصية.

ونحن نعلم بأن الإنسان يشعر بالأُنس والاطمئنان والراحة مع النور، وبالوحشة وعدم الاطمئنان مع الظلام. والنور يطرد الوحوش والسراق، والظلام يجمعهم. وهنا يكمن الدرس الأكبر الذي ينبغي أن نتعلمه في علاقتنا مع مرجعياتنا كافة: الفكرية والروحية والسياسية وغيرها، حيث ينبغي أن تكون لها صفات كمال حقيقية، وعلاقة وجودية مع الله ذي الجلال والإكرام، مما يجعل لها نورا حقيقيا واقعيا يؤهلها لحمل الرسالة وتبليغها إلى الناس وتطبيقها على أرض الواقع (تمتلك الرؤية والقدرة على التطبيق بكفاءة)، فنعيش الاطمئنان التام إلى منهجها، وأطروحاتها، وسلوكها، ومواقفها العامة في الحياة، لا أن نخترع لأنفسنا مرجعيات، ونتوهم لها نورا، ثم نبرر أخطاء منهجها وأطروحاتها وسلوكها ومواقفها، ولو كانت قاتلة في الحقيقة والواقع، فنكون من التعساء الهالكين في الدنيا

والآخرة.

والخلاصة أن المؤمن يستنير في جميع شؤون حياته بالأنوار الحقيقية التي لها صفة واقعية يكتشفها بنفسه ويعلم واقعيتها، وليست الأنوار الوهمية التي يخترعها بهوى نفسه ورغباته ليضل بها نفسه وغيره، مع التنبيه إلى أن ذلك يحتاج إلى الصدق مع الله عز وجل ومع النفس، وذلك هو السبيل الوحيد للحصول على النجاة والفوز بالجنة.

وهنا ينبغي التنبيه إلى ضرورة التمييز بين المبدأ والتطبيق، فقد يكون المبدأ صحيحا، ولكن التطبيق ليس كذلك. مثال: طاعة ولي الأمر واجبة، لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً[1])، ولكن الدعوة إلى طاعة الحكام الجائرين على أساس أنهم من أولي الأمر ليس صحيحا، بل من المستحيل أن يأمر الله جل جلاله بطاعتهم؛ لأن ذلك بخلاف عدله وكماله، وهو بحسب الحقيقة والواقع: يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن البغي والظلم والعدوان.

قال الله تعالى: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى

١. سورة النساء، الآية: ٥٩.

عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[١]).

١. سورة النحل، الآية: ٩٠.

الرسول الأكرم نقلة حضارية ومنّة إلهية[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي ومن سوء عملي، ومن شر الشيطان الغويّ الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، ومن اتبعه بإحسان إلى قيام يوم الدين. السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام على فاطمة الزهراء سيدتي وسيدة نساء العالمين، السلام على خديجة الكبرى، السلام على الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام على جميع الأوصياء، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، ومنار التقى، والعروة الوثقى، والحبل المتين والصراط المستقيم، السلام على الخلف الصالح الحجة بن الحسن العسكري روحي وأرواح المؤمنين لتراب مقدمه الفداء، السلام على العلماء والشهداء، السلام على شهداء الانتفاضة، السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله وبركاته.

قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ

---

١. نص الكلمة التي ألقاها الأستاذ بتاريخ ٢١/ يونيو/ ٢٠٠٢م الخطبة الدينية.

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)[١]

صدق الله العلي العظيم.

هذه الآية الشريفة المباركة، تشير إلى خمس نقاط أساسية هي لُباب البحث:

النقطة الأولى

أن الآية تشير إلى نقلة في المجتمع، نقلة حضارية متميزة، ومهمة جدا، وتلفت الانتباه إلى هذه النقلة، وتدعو إلى التأمل فيها، والاستفادة من دروسها ومن عبرها.

النقطة الثانية

أن الآية تشير إلى علة هذه النقلة، وتتمثل هذه العلة في منهج أو دستور السماء، وتتمثل في القائد المؤمن، المخلص، الصادق، الذي يؤمن بالمنهج، ويرتبط بالناس بصدق وبإخلاص، وتتمثل أيضا في التفاعل المخلص والصادق، بين الجمهور أو القاعدة مع هذا المنهج، وهذا القائد.

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

النقطة الثالثة

أن الآية تشير إلى الأساس الذي يقوم عليه المنهج أو الدستور، وهو الوعي، واحترام عقل الإنسان، وإرادة واختيار الإنسان.

النقطة الرابعة

أنها تشير إلى الغاية من هذا الدستور، ومن هذا النهج السماوي، والغاية من حركة ودور القيادة، المتمثلة في تزكية النفس والمجتمع، وتطهيرهما من الرذائل، ثم الرقي بالإنسان في مدارج الكمال، والرقي بالمجتمع في مدارج التطور.

النقطة الخامسة

أنها تطرح أربعة خطوط رئيسية للثقافة الإسلامية، وهي: العقائد، والأحكام، والأخلاق، والسيرة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ المنّ: ما يوزن به، ولهذا يطلق المنُّ على النعم الكبيرة، الطيبة والعظيمة، وأصل المنِّ هو: القطع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[1] أي غير منقطع، ولهذا نجد أن للمن معنيين،

---

١. سورة القلم، الآية: ٣.

معنى إيجابي جميل ومستحسن، ومعنى سلبي مستقبح.

لا تشوبها شائبة

المعنى الإيجابي للمن: هو بمعنى العطاء، والنعم الكبيرة، التي لا تشوبها شائبة، وأطلق على هذه النعم بالمنّة، لأنها تقطع الحاجة أو البلية، فالإنسان حينما يكون في حاجة أو بلية، تأتي هذه النعمة، فتستنقذه منها، وبالتالي تقطع البلية أو الحاجة.

تضخيم وتحقير

المعنى السلبي للمنَّ: هو تضخيم الخدمات والنعم الصغيرة، وتكبيرها، وأن المعطي يستعلي على المُعطى، ويحقره ويذله، وبالتالي فهذا التكبير إلى النعمة، والاستعلاء، والتحقير، يقطعون وجوب الشكر؛ لأنه إذا أنعم إنسان على إنسان من خلال العطاء، وكانت هذه النعمة خالصة لله جَلَّجَلَالُهُ من دون شائبة، فإنها تستوجب الشكر، أما إذا حاول المعطي أن يترفع ويستعلي على المُعطى، وحاول أن يذلّه، ويهينه، ويحقره، فهذه الأمور تقطع وجوب الشكر، ويكون هذا المعطي غير مستحق لوجوب الشكر.

المستفيدون

(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) هنا، منة الله جَلَّجَلَالُهُ على المؤمنين، تدل على

فيوضات الله للمؤمنين بما هم مؤمنون، وتـدل عـلى وجـود عنايـة خاصـة، واهتمام خاص، ولطف خاص من الله بالمؤمنين، فهناك عطاء، وهناك عنايـة خاصـة بـالمؤمنين، ولكـن المعلـوم أن عنايـة الله ولطفـه عامَّـان؛ لأنـه رب العالمين، فلماذا خُصّ المؤمنون بهذه العناية، وبهذا اللطف؟ والجواب: لأنهم هم الذين يستفيدون من هذه النعمة، ويستشعرون قيمتهـا، ويتوجهـون إلى شكر هذه النعمة، والاستفادة من ثمراتها، أما غير المؤمنين، فمـع رعايـة الله لهم، وتوجه الله لهم باللطف والعناية، إلا أنهم لا يستفيدون من ذلك؛ لأنهم لا يستشعرون هذه النعمة، ولا يتوجّهون لها، ولا يحاولون أن يستفيدوا مـن نتائجها.

لا يتحرك من ذاته

(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ إِذْ بَعَـثَ فِـيهِمْ رَسُـولاً مِّـنْ أَنفُسِـهِمْ)، بعـث بمعنى: أرسل، أما قوله تعالى: (رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ) فـذكر الرسـول صلى الله عليه وآله يدل على أن النبي المبعوث لا يتحرك من ذاتـه، ولا يتحـرك بمـنهج خـاص من عند نفسه كمصلح اجتماعي مثلا، ولا يتحـرك بنـاء عـلى خـبرة خاصـة اكتسبها، وإنـما يتحـرك بمـنهج السـماء، بمـنهج أوحـي إليـه بـه مـن عنـد الله جل جلاله ، وأنه مسدّد ومنصور من قبل الله.

العلاقة الحقيقية

قوله تعالى: (**مِّنْ أَنفُسِهِمْ**) أي من الجنس البشري، فهو بشر مثلهم، ليكون قريبا منهم، وليس غريبا عنهم، ويشعر بحاجاتهم، وآلامهم، ومعاناتهم، وأفراحهم، وطموحاتهم، ويستطيع أن يشارك في كل ذلك، فهو قريب منهم، ولأنه كذلك، فهو يستطيع أن يشاركهم في الأفراح والآلام، ويكون قدوة لهم، وحجة عليهم، وهذه هي العلاقة الحقيقية بين القائد، والجماعة أو الأمة التي يقودها، فالقائد الحقيقي هو القائد الذي يكون قريبا من القاعدة، فيشعر بآلامها، وأفراحها، ومعاناتها، ويشاركها في كل ذلك.

ولفظ (مِّنْ أَنفُسِهِمْ) له دلالتان أساسيتان:

علاقة نفس بنفس

الدلالة الأولى: أن الصلة أو العلاقة بين الرسول أو الأمة، ليست هي العلاقة بين الفرد والجنس، فهو ليس شخصا عاديا، وإنما علاقة النفس بالنفس، فالله تعالى لم يقل في الآية إن الرسول واحد منهم، وإنما قال (**مِّنْ أَنفُسِهِمْ**)، فهناك تفاعل في العلاقة، وهناك صدق، وإخلاص، وتواصل.

إيمان بالمنهج والقائد

الدلالة الثانية: أن المؤمنين وصلوا إلى هذا المستوى من العلاقة مع

الرسول لإيمانهم، أي لأنهم مؤمنون بالمنهج الذي جاء به، ومؤمنون بالقائد الذي يقود الأمة على هذا المنهج، فإذا لم يكن هناك إيمان بالمنهج أو الدستور، وإذا لم يكن هناك إيمان بالقائد، وصدقه، وإخلاصه، فلن يكون هناك تفاعل، ولن تكون هناك ثمرة وإنتاج طيب، فالتفاعل بين القائد والقاعدة، يتوقف على إيمان القاعدة بالدستور أو المنهج، وإيمانها بالقائد، وبصدقه، وإخلاصه، وتفاعله، وقربه من الجمهور، فإذا لم يكن هذا الإيمان موجودا، فلن يكون هناك تفاعل، ولن تكون هناك نتائج طيبة.

الوعي هو الأساس

(**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**) يتلو بمعنى: يقرأ ويفهِّم، والآيات بمعنى: الدلائل والبراهين والبينات، فالرسول يقرأ على الناس والمؤمنين آيات الله، ويخاطبهم بكلام الله وقرآنه، ويفتح عقولهم وقلوبهم على هذه الآيات، يفتح عقولهم وقلوبهم على وحدانية الله، وعلى وجوب طاعة الله، وعلى وجوب السير على نهج الله ودستوره في الحياة، وهذه الفقرة من الآية: تشير إلى الأساس الذي يقوم عليه الدستور أو النهج، ويسير عليه القائد، وهو الوعي، فالقائد والدستور يجب عليهما أن يخاطبا عقل الإنسان، ويبصّرا الإنسان، والأمة، والقاعدة، بحقوقها، ووجباتها، وطريقها في الحياة، لا أن يخدعاها، ويجب عليهما أن يحاولا أن يرتقيا بها، ويطوّراها، لا أن يقفا عقبة

في طريق رقيها وتطورها.

يطهر النفس والمجتمع

(**وَيُزَكِّيهِمْ**) التزكية بمعنى: التطهير والتنمية، فهذا القائد، ومن خلال الدستور الذي جاء به من عند الله، يطهر النفس والمجتمع، فهو يطهر النفس والمجتمع على مستوى الفكر، فيطهرهما من الأفكار الوثنية والشرك، ويطهر عقول الناس من الخرافات، والأساطير، والتصورات الكاذبة والوهمية، والمفاهيم الباطلة، ويربي عقولهم على الحق، والتفكير العلمي الواضح، ويطهر النفس من الرذائل والقيم الخبيثة، وفي كل المستويات، فيطهرها من الجبن، والخوف، والذل، والبخل، والكذب، ومن كل قيمة وسلوك خبيث وسيئ، كما يطهر المجتمع من العادات والتقاليد الخبيثة والسيئة، وينشر في المجتمع الفضيلة، والعادات والتقاليد الحسنة، التي تحفظ للمجتمع إنسانيته، كما يطهر سلوك الفرد من الانحراف، ويطهر المجتمع من الأنظمة الجائرة والظالمة، فالرسول مصلح لنفس الإنسان، ومصلح للمجتمع، ويحاول أن يهيِّئ للنفس أسباب تطورها، وتكاملها، وسيرها في مدارج الكمال، والقرب من الله ـ عز وجل ـ كما يهيِّئ للمجتمع أسباب التطور والتقدم.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الكتاب له معنيان:

ما هو الكتاب

المعنى الأول ـ هو القرآن

والرسول يقرأ عليهم القرآن، ويعلمهم إياه؛ لأنه النور الذي أنزله الله ـ عز وجل ـ ليضيء للناس حياتهم، أو طريقهم في الحياة.

المعنى الثاني ـ هو الأحكام والفقه

التي تضبط وتنظم حياة الفرد والمجتمع، فتنظم علاقة الفرد مع نفسه، وعلاقته مع ربه، وعلاقته مع بيته ومجتمعه، كما تنظم علاقات الحاكم والمحكوم، وكل العلاقات الفردية والاجتماعية، فالكتاب فيه إشارة إلى هذه الأحكام والقوانين والأنظمة التي تنظم حياة الفرد والمجتمع، وبالتالي فهي تشير إلى الخط الثاني من خطوط الثقافة الإسلامية، وهي الأحكام، فالخط الأول ـ كما ذكرت ـ هو خط الأخلاق، وسوف أقف بعد قليل على موضوع التزكية مرة أخرى، فالخط الأول للثقافة الإسلامية هو الأخلاق، والخط الثاني هو الأحكام والفقه، فالإنسان المؤمن يجب أن يتعلم المفاهيم الأخلاقية، ويتعلم كيف يتربى عليها، ويطبقها في سلوكه، كما يجب عليه أن يتعلم الأحكام التي تنظم علاقاته، مع ربه، ومع نفسه، ومع بيته، ومع

مجتمعه، ومع الحاكم، والعلاقة بين صاحب العمل والعامل، والعلاقـة بـين البائع والمشتري، وغيرها من الأحكام.

(وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، الحكمة لها ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول

العلم مع العمل والعدل.

المعنى الثاني

صواب الأمر وسداده.

المعنى الثالث

وضع الأشياء في موضعها الصحيح.

والحكمة تشير هنا بصورة أساسية إلى العقائد، وتمثل الخـط الثالـث مـن خطوط الثقافة الإسلامية، والتعبير عن العقيدة بالحكمة لـه ثـلاث دلالات رئيسية:

دلالات الحكمة

الدلالة الأولى:

أن الإيمان علم وعمل (فالعلم يهتف بالعمل، فـإن أجابـه، وإلا ارتحـل)

فلا قيمة للعلم، إذا لم يطبّق، والأمر يندرج على الأحكام أيضا، كما أنه لا قيمة للنظرية إلا بالتطبيق، فإذا قدّمت لي نظرية جديدة محترمة وقوية، أو دستورا جديدا كذلك، ولم تطبقه، فلا قيمة لهذه النظرية، ولا لهذا الدستور.

الدلالة الثانية:

أن استخدام لفظ "الحكمة" يدل على أن احتساب الواقع، كجزء من الموقف والقرار، فلا يجدي أن تنظر للنظرية فقط حين تريد اتخاذ الموقف أو القرار، وإنما يجب أن تنظر إلى النظرية وإلى الواقع لتتخذ موقفك أو قرارك المناسب، الذي يخدم الأهداف العليا للإسلام.

الدلالة الثالثة:

أن الأحكام، والعقائد، والمناهج، والدساتير كلها، لا قيمة لها، إذا لم تعمل على تطوير الإنسان والمجتمع فعلا.

الأخلاق: تأهيل وغاية

بعد ذلك، أشير إلى الأخلاق باعتبارها أحد خطوط الثقافة الإسلامية. لكي نوضح هذا الخط من خطوط الثقافة الإسلامية، يمكننا أن نشير للآية موضوع البحث وهي: قوله تعالى: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) بالإضافة إلى آية أخرى، تشير إلى دعاء إبراهيم، قوله الله

تعالى على لسانه (بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ)، فالآية الأولى حينما أشارت إلى التزكية في البداية، أي قبل تعليم الكتاب والحكمة، فإننا نستفيد من ذلك أن تزكية النفس وتطهيرها، تؤهلها لتعلم الكتاب والحكمة، فالنفوس الزكية الطاهرة من الرذائل، هي المؤهلة أكثر من غيرها لتعلم الكتاب والحكمة، والاستفادة منه عمليا في حياتها، أما الآية الثانية التي جاء لفظ "التزكية" في نهايتها، بعد تلاوة الآيات، وتعلم الكتاب والحكمة، فإنها تشير إلى أن تزكية النفس هي الغاية، بمعنى أن غاية الأحكام، والعقائد، والمفاهيم، والقوانين، والدساتير، وغاية القيادة أيضا هي الأخلاق، وتزكية النفس، وتطهيرها من الرذائل، كما في قول الرسول الأعظم ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وقوله ﷺ : (الدين المعاملة)، فالصلاة التي تصليها يجب أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة التي تدفعها يجب أن تطهر نفسك، والصيام لابد أن يطهر نفسك، والحج والشعائر يجب أن تربي فيك التقوى، وهكذا، فالذي لا أخلاق له، لا دين ولا إيمان له.

ضرورة دراسة السيرة

أما الخط الرابع من خطوط الثقافة الإسلامية، فهو السيرة، وهذا ما تشير إليه الآية الشريفة (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ

أَنفُسِهِمْ) فهذا الرسول، يجب أن نتعلم وندرس سيرته، لكي نقتدي بها، كما في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[١])، فهو رسول الله، وهو القدوة، وهو الحجة على الناس، ويجب علينا أن نتعلم سيرته، كما يجب علينا أن نتعلم سيرة الأنبياء السابقين، وسير الأئمة لكي نقتدي بهم جميعا.

الرسول المنقذ المعلم

(**وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**[٢])، أي إن كانوا من قبل البعثة، ومن قبل المنة الإلهية بها، (لَفِي ضَلَالٍ مُّبِين) والضلال هو: البعد عن الصواب، وعن الحق، وعن الصراط المستقيم، والضلال: ضد الرشد، والهدى، والضلال المبين: هو الضلال الواضح، غاية الوضوح، فالبشرية كلها كانت قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله في ضلال، فهي ضالة في أفكارها، وفي عقائدها، وفي مفاهيمها، وضالة في قيمها وأخلاقها، وضالة في سلوكها، وضالة في الأنظمة التي تنظم المجتمع، ولكن الله بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله، ومنَّ على البشرية بهذا النبي، فأعطاهم وجودا ومنهجا فكريا وعقائديا، واجتماعيا، واقتصاديا، ونظم حياتهم بكل ما في الكلمة من معنى، كما أنهم كانوا ضالين

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٢. سورة الجمعة، الآية: ٢.

حتى في اهتماماتهم، فلم تكن لهم تلك الاهتمامات الكبيرة، وإنما كانت لهم اهتمامات حقيرة، ليست ذات أهمية، فجاء النبي محمد ﷺ، وغيَّر أفكارهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وغيَّر أنظمتهم، كما أعطاهم اهتمامات كبيرة، وفتح آفاقهم عليها، وأعطاهم رسالة في الحياة، ليحملوها للناس جميعا.

الرسالة الأممية العالمية

والعرب اليوم، إذا كانت لهم قيمة، فقيمتهم أن يحملوا هذه الرسالة، وإذا تخلوا عن هذه الرسالة، فلا قيمة لهم، وهم في ضلال مبين، ولا قيمة لهم في العالم، وهذا ما نراه اليوم، فالعرب والمسلمون لا قيمة لهم، ومحتقرون من كل العالم... لماذا؟!! لأنه لا توجد لهم رسالة، وليس لهم دور في هذه الحياة، والذي يعطي للعرب والمسلمين قيمةً أن يتمسكوا بهذه الرسالة، ويكونوا دعاة لها، ويبلّغوها لكل العالم، فيُخرجوا الناس، كل الناس، من الظلمات إلى النور، فهذه الآية تفتح آفاقنا على النقلة الحضارية، للمجتمع بعد البعثة، من وضع متخلف، إلى وضع حضاري متقدم جدا، وتشير إلى علة هذه النقلة، وتتمثل في منهج أو دستور السماء، والقائد الرباني المخلص والمقتدر، والتفاعل الصادق والمتفاني من القاعدة، مع الدستور، والقائد، ولولا هذه العناصر الثلاثة، لما كانت هذه النقلة، وهي

تـدعونا للتأمـل فيهـا، والاسـتفادة منهـا، لكـي نحـدد موقعنـا في المسـيرة الإنسانية العالمية، ودورنا فيها.

المكانة المعنوية للزهراء [1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد طرفة عين أبدا في الدنيا والآخرة يا كريم.

اللهم معهم معهم.. لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني إلى مقام إمامنا ومولانا وسيدنا وشفيع

---

١. بمناسبة مولد فاطمة الزهراء عليها السلام. في قرية جبلة حبشي ـ حسينية فاطمة الزهراء عليها السلام. اليوم: مساء السبت ـ ليلة الأحد. التاريخ: ١٨/ جمادى الثانية/ ١٤٢٧هـ. الموافق: ١٥/ يوليو ـ تموز/ ٢٠٠٦م.

ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى جميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة، بمناسبة الذكرى السنوية للمولد السعيد للصديقة الطاهرة الخالصة فاطمة الزهراء (عليها أفضل صلوات المصلين).

أيها الأحبة الأعزاء، تأتي هذه المناسبة العزيزة التي تثلج صدورنا وتتفتح إليها أسارير قلوبنا، في الوقت الذي يشن فيه الكيان الصهيوني الغاشم، عدوانه الشامل على قطاع غزة ولبنان العزيزين، في ظل صمت مخزٍ للأنظمة العربية، وحيرة محزنة ومؤلمة جدا للشعوب العربية والإسلامية. ولا شك أن هذه الحالة إنما هي نتيجة طبيعية لسيادة الأنظمة الشمولية الدكتاتورية المستبدة، وتحكمها المشين في مصير الشعوب العربية المسلمة المستضعفة، مما يدل على الحاجة الملحة للإصلاح السياسي الحقيقي في البلدان العربية والإسلامية، وهذه مسؤولية الشعوب وبصورة خاصة قوى المعارضة فيها. وما لم يحصل الرفض لهذا العار القائم ومقاومته، وتتحمل الشعوب العربية والإسلامية وبصورة خاصة قوى المعارضة فيها، مسؤوليتها الدينية والتاريخية: الوطنية والقومية، والبدء بالتحركات الشعبية الجدية الفاعلة للإصلاح السياسي الشامل في هذه البلدان، استجابة لنداء الدين والضمير

الإنساني والقومي والوطني النابض بالحياة، فإن القادم على هذه الأمة سوف يكون أسوأ وأسوأ.

أيها الأحبة الأعزاء، سوف أتحدث في هذه الليلة المباركة والمناسبة السعيدة عن المكانة المعنوية العالية للصديقة الطاهرة الخالصة فاطمة الزهراء.

في صحيح البخاري: قال الرسول الأعظم ﷺ: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني».

وفي رواية أخرى في البخاري ومسلم: «فإنما هي فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها».

وفي صحيح الترمذي: «إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما ينصبها».

وفي مستدرك الصحيحين: «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها».

وفي الإمامة والسياسة: «رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني».

وفي عدد آخر من الروايات أن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ»[١].

أيها الأحبة الأعزاء، هذه الأحاديث الشريفة المباركة تحدد لنا بدقة وعمق وشمول، المكانة المعنوية العالية للسيدة الطاهرة الخالصة فاطمة الزهراء، فهي تدلنا على أن الزهراء قد بلغت كمال العبودية لله (ذي الجلال والإكرام) والعصمة الكاملة، بحيث أصبحت إرادتها وإرادة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وإرادة الله جل جلاله، إرادة واحدة لا تختلف في شيء. فقول الزهراء من قول الله جل جلاله ومن قول رسوله صلى الله عليه وآله، وفعلها من فعل الله جل جلاله ومن فعل رسوله صلى الله عليه وآله، وحربها من حربهما، وسلمها من سلمهما، وإن رَمَتْ وقتلت فقد رمى الله جل جلاله ورمى رسوله صلى الله عليه وآله وقتلا!!

قال الله تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[٢]).

وهنا أرغب في الإشارة إلى نقطتين أرى أهميتها، وهما:

---

١. راجع في كل الرايات، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، الفيروزآبادي: ج٣ ص١٥١ ـ ١٥٦.

٢. سورة الأنفال، الآية: ١٧.

النقطة الأولى

إن هذه الأحاديث الشريفة المباركة تفسّر لنا ما يوصف به أهل البيت في بعض أحاديثهم وأدعيتهم وزياراتهم بأنهم وجه الله جَلَّجَلَالُهُ ويده ولسانه.

فهم لسانه ويده؛ لأن قولهم من قوله جَلَّجَلَالُهُ، وفعلهم من فعله.

وأما وجهه فذلك لأن في وجوههم وأقوالهم وأفعالهم يُعرف رضا الله جَلَّجَلَالُهُ وغضبه وسخطه، كما يعرف الرضا والسخط في وجه الإنسان.

وعلى هذا الأساس المتين نفهم قول الله جَلَّجَلَالُهُ في الحديث القدسي: «من عادى لي وليا فقد آذنته بحرب مني، وما تقرب لي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي بها. وإذا سألني لأعطينه، وإذا استغفرني لأغفرنَّ له، وإذا استعاذني أعذته» (رواه البخاري وأحمد).

النقطة الثانية

إن هذه الأحاديث الشريفة المباركة تدلنا على أن الزهراء قد بلغت مرتبة العبودية الكاملة لله جَلَّجَلَالُهُ والعصمة الكاملة أيضا، وأنها بحق - كما قال عنها أبوها المصطفى صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء المؤمنين،

وسيد نساء أهل الجنة. فلم توجد امرأة على وجه الأرض، ولن توجد إلى يوم القيامة امرأة أفضل وأكمل منها. وقد فهم البعض (عقلا ونقلا): أن لا أحد من الأنبياء يتقدم عليها في الفضل والكمال، سوى أبيها خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام.

القرآن الكريم... ونساء كاملات في التاريخ

أيها الأحبة الأعزاء، لقد أشار القرآن الكريم بإكبار إلى نساء كاملات في التاريخ الطويل للرسالات السماوية العظيمة، منها على سبيل المثال:

أولا ـ هاجر زوجة خليل الرحمن إبراهيم أم إسماعيل

وقد أشاد القرآن الكريم بإيمانها وصلاحها، وزهدها وقناعتها، وصبرها وشجاعتها، وطاعتها لله جل جلاله ولرسوله خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وحسن تبعلها وعنايتها بولدها، ورفقها به ورعايتها الحسنة له. فقد خرج بها زوجها إبراهيم الخليل ومعها ابنها الوحيد إسماعيل متوجها إلى حرم الله في مكة، ولم يكن في مكة يوم ذاك عشب ولا شجر ولا ماء ولا حيوان ولا بشر، فلما وصلها وأراد أن يتركها فيها مع ولدها إسماعيل ويذهب عنهما سألته: يا سيدي!! أتتركنا بهذا الوادي وليس فيه بشر ولا ماء ولا طعام؟!

هل أمرك الله جل جلاله بهذا؟

فقال لها خليل الرحمن: نعم!!

فقالت: إذا لا يضيعنا!!

فقد رضيت بقضاء الله وقدره، واستسلمت إلى أمره جل جلاله بكل ثقة واطمئنان، ولم تعترض. فكان بئر زمزم، وكانت الكعبة الشريفة، وكان الحج ومناسكه قياما للناس، ونزل الخير الكثير من عند الله جل جلاله، ببركة ذلك الموقف، عليها وعلى ولدها إسماعيل وزوجها إبراهيم الخليل والبشرية قاطبة إلى يوم القيامة!!

قال الله تعالى على لسان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام مخاطبا الرب الجليل ومخلدا لهذه المناسبة: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ . رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء[١]).

ثانيا ـ سارة زوجة خليل الرحمن إبراهيم أم إسحاق

وقد أشاد القرآن الكريم بفضلها وأثبت أنها من خيرة النساء ومباركة

---

١. سورة إبراهيم، الآية: ٣٧ ـ ٣٨.

ومحدثة، والظاهر أنها تفوق بالفضل هاجر أم إسماعيل، حيث وردت الكثير من الآيات القرآنية الشريفة المباركة التي تثبت حديث الملائكة معها بصورة مباشرة، مما يدل على كمالها وعظيم فضلها، ولم يرد مثل ذلك (بحسب ما يحضرني الآن) بالنسبة إلى هاجر.

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبشرى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ . فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ . وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ[1]).

ثالثا ـ أم موسى

لقد كان فرعون جبارا عنيدا، وكان يعامل بني إسرائيل معاملة سيئة. وقد تنبأ كاهن قبطي لفرعون بأن مولودا في بني إسرائيل يذهب ملكه على يديه. فجنّ جنونه وأصدر أمره إلى الجلاوزة بذبح كل مولود يولد في بني إسرائيل ظلما وعدوانا!! فذبحوا آلاف الأطفال أمام آبائهم وأمهاتهم من

١. سورة هود، الآية: ٦٩ ـ ٧٣.

دون رحمة ولا شفقة ولا خوف من عقاب. كـل ذلـك الظلـم مـن أجـل أن يسلم الملك لفرعون، وأن يبقى في جبروته متربعا على عرش الحكم، ليفسـد في الأرض، ويحكم في الناس بغير الحق وبالظلم والعدوان!!

قال الله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْـعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ[1]).

وفي هذه الظروف القاسية ولد موسى بن عمران، وعـاش في حجـر أمـه الطاهرة الزكية ثلاثة شهور رغم رقابـة الشرـطة والجـلاوزة الشـديدة عـلى نساء بني إسرائيل المستضعفات. إلا أن أمه الحنون خافت عليـه مـن بطـش الطاغية فرعون، فـأوحى الله جل جلاله إليهـا أن تضـعه في صـندوق وتلقيـه في اليم، فتوكلت على الله جل جلاله وسلمت الأمر إليه، وصـنعت مـا أُمـرت بـه. فالتقط آل فرعون الطفل، ولكنه عاد بفضـل الله وبركاتـه إلى أمـه كـي تقـر عينها ولتعلم أن وعد الله حق وصدق.

قال الله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيـهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَالْتَقَطَـهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَـدُوًّا وَحَزَنًـا إِنَّ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَـا كَـانُوا

---

١. سورة القصص، الآية: ٤.

خَاطِئِينَ . وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ . فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[١]).

وتوالت فصول القصة مشهدا بعد مشهد، حتى انتهت بهلاك فرعون وانتهاء ملكه الغاشم على يد نبي الله موسى عليه السلام، والآيات الشريفة المباركة تكشف لنا بوضوح بعضا من صفات هذه المرأة الجليلة وفضلها وكمالها وأنها محدثة.

رابعا ـ آسية بنت مزاحم (زوجة فرعون)

وهي من المؤمنات الصالحات من بني إسرائيل، وكانت تكتم إيمانها، فلما غلب موسى عليه السلام على السحرة في يوم الزينة، اتخذت من ذلك مناسبة لتعلن تمردها على فرعون ودينه وملكه وجبروته وسلطانه. فأظهرت إيمانها

---

١. سورة القصص، الآية: ٧ ـ ١٣.

منتصرة بذلك لفطرتها وعقلها ودينها الحنيف وإنسانيتها الكريمة. وقد نهاها فرعون عن ذلك فلم تنتهِ، فأخذ في تعذيبها حتى لقيت ربّها شهيدة في سبيله. فكانت مثالا للمرأة المؤمنة الزاهدة الصابرة المجاهدة الشهيدة الخالصة بحق وحقيقة. وقد ضرب الله جلّ جلاله بها مثلا للمؤمنين إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: (وَضَرَبَ الله مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[١]).

يقول العلامة الطباطبائي: «فقد اختارت جوار ربها والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وعشيقته وهي ملكة مصر، وآثرت بيتا يبنيه لها ربها على بيت فرعون الذي فيه مما تشتهيه الأنفس وتتمناه القلوب ما تقف دونه الآمال، فقد كانت عزفت نفسها عما هي فيه من زينة الحياة الدنيا وهي لها خاضعة، وتعلقت بما عند ربها من الكرامة والزلفى، فآمنت بالغيب واستقامت على إيمانها حتى قضت»[٢].

---

١. سورة التحريم، الآية: ١١.

٢. الميزان: ج٢٨ ص٣٤٤.

خامسا ـ بلقيس ملكة سبأ

كانت مملكة سبأ في اليمن مركزا تجاريا، وذات ثروة كبيرة في مقدمتها الذهب والأحجار الكريمة، وكان على رأسها في عهد نبي الله سليمان عليه السلام ملكة تسمى (بلقيس) من بنات التبابعة، وقد أوتيت كل ما تريد من أسباب القوة وألوان النعم، وكانت تحكم قومها بالعدل والشورى، وكانت في غاية العقل والحكمة والاتزان والسيرة الحسنة، إلا أنها وقومها كانوا يعبدون الشمس من دون الله جل جلاله، وبسبب عقلها وحكمتها ورويتها، فقد أحسنت التصرف مع كتاب نبي الله سليمان إليها، وخضعت للحق لما رأته على يد نبي الله سليمان، وقادت قومها إلى الإيمان وحسن العاقبة (ولله الحمد)، ولم يُغرِها الحكم والقوة عن الحق، كما لم تُغرِها من قبل السلطة والقوة عن العدل والشورى. وأسألكم أيها الأحبة: كم مثلها من الحكام الرجال قديما وحديثا؟! وأرى أنكم تملكون الجواب الصحيح على هذا السؤال بالتجربة وبمقدار المعرفة المتاحة لكم بالتاريخ القديم والحديث!!

قال الله تعالى: (اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون . قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ

وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ . قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ . ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ . قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ . قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ . فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[١].

---

١. سورة النمل، الآية: ٢٨ ـ ٤٤.

سادسا ـ العذراء البتول مريم بنت عمران

وقد أشاد القرآن الكريم بعلمها، وإيمانها، وعبادتها، وعفتها، وصلاحها، وشكرها، وإخلاصها في طاعتها لله جل جلاله، وانقطاعها إليه. وضرب بها مثلا للمؤمنين إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: (وَضَرَبَ الله مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ[١]).

وكان أبوها عمران رجلا صالحا من أشراف بني إسرائيل ومن أعاظم علمائهم. وقد أوحى الله تعالى إليه: أني واهب لك ولدا ذكرا سويا مباركا، يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذني، وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل. فبشّر زوجته بتلك البشارة الربانية العظيمة. فلما حملت نذرت ما في بطنها إلى بيت المقدس، فكانت مريم أم عيسى، وقد تقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتا حسنا، وكفلها زكريا، وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا، فيسألها: من أين لك هذا يا مريم؟!

---

١. سورة التحريم، الآية: ١١ ـ ١٢.

فتقول: (هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)!!

ولما ولدت ابنها المبارك عيسى بن مريم انكشفت الحقيقة، وعرف الناس أنه الولد الذي بشر الله (تبارك وتعالى) به جده عمران.

قال الله تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْـرَانَ رَبِّ إِنِّي نَـذَرْتُ لَـكَ مَـا فِي بَطْنِـي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّـمِيعُ الْعَلِـيمُ . فَلَـمَّا وَضَـعَتْهَا قَالَـتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَـعَتْ وَلَـيْسَ الـذَّكَرُ كَـالأُنثَى وَإِنِّي سَـمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الـرَّجِيمِ . فَتَقَبَّلَهَـا رَبُّهَـا بِقَبُـولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّـا كُلَّـمَا دَخَـلَ عَلَيْهَـا زَكَرِيَّـا الْمِحْـرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَـكِ هَـذَا قَالَـتْ هُـوَ مِـنْ عِنـدِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ[1]).

وكانت الملائكة تحدثها وتخبرها باصطفاء الله جل جلاله إياها وتطهيرهـا مـن الـرجس والأدنـاس، وتحثهـا عـلى الجـد والاجتهـاد في الطاعـة والعبـادة والخشوع لله جل جلاله والإخلاص وحسن العبادة، فانقطعت البتـول الخالصـة مريم بنت عمران إلى عبادة ربها بصدق وإخـلاص نيـة، وقـد أغناهـا ربهـا الكريم برزق الجنة (كما مر) عن الكسب. وكانت بحق سيدة نساء زمانها.

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٣٥ ـ ٣٧.

كما بشرت الملائكة مريم بأن الله الجليل سيهبها بقدرته على كل شيء ولدا يخلقه بكلمة (كن) من غير أب، وأن اسمه المسيح عيسى بن مريم، وأنه سوف يكون من الصفوة الصالحين المقربين من الله (ذي الجلال والإكرام)، ونبيا ذا مكانة عالية، وشرفا عظيما في الدنيا والآخرة، وأنه يكلم الناس في المهد وكهلا، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله جل جلاله، وغير ذلك مما له من الفضائل والكرامات. وقد ثبت بالدليل: أنها معصومة ومحدثة.

قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ . ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ . إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ . وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ . وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ

والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ[١]).

كل ما ثبت للسيدات الكاملات فهو ثابت للزهراء

أيها الأحبة الأعزاء، إن كل ما ثبت في القرآن الكريم لتلك السيدات الكاملات من الفضل والكرامات وصفات الكمال الإنساني، مثل: العقل، والحكمة، وكمال الإيمان، وصدق الطاعة، والإخلاص، والصبر، والزهد، والعفة، والطهارة، وحسن العبادة والانقطاع إلى الله جل جلاله، وحسن التبعل والتواضع للزوج وطاعته، وحسن الرعاية للأولاد والحنو عليهم، والجهاد والتضحية في سبيل الله عز وجل، والثقة بوعده ونصره وثوابه، والرضا بقضائه وقدره، والتسليم لأمره.. فهو ثابت بالعقل والتجربة (أعني السيرة الثابتة) والنقل (القرآن الكريم والسنة الشريفة) للسيدة الصادقة الطاهرة الخالصة فاطمة الزهراء. فهي سيدتهن جميعا وسيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وهي محدّثة، ومن أهل بيت العصمة الكاملة الذين أذهب الله عنهم

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٤٢ ـ ٥١.

الرجس وطهرهم تطهيرا.

وهنا أرغب في التنبيه إلى نقطة مهمة ذات فائدة علمية وعملية، وهي:

إن المكانة العالية التي حظيت بها فاطمة الزهرا، والنساء الكاملات التي ذكرت أسماءهن وبعض سيرتهن في البحث قبل قليل، لتبدد ما يحاوله البعض من تقليل قيمة المرأة ومكانتها ودورها ومسؤوليتها العامة في الحياة، ويقصر دورها على البيت والفراش. وتثبت الرؤية القرآنية السامية للمرأة، حيث تتساوى المرأة والرجل في القيمة الإنسانية والمسؤولية العامة في الحياة والجزاء، وإن اختلفت بينهما بعض الوظائف والمسؤوليات الخاصة؛ نظرا لاختلاف طبيعة الذكورة والأنوثة، لتثبت بأن المرأة تفضل الرجل في خصائص الأنوثة، والرجل يفضل المرأة في خصائص الذكورة، من دون أن يقلل ذلك من القيمة الإنسانية والمسؤولية المشتركة بينهما في الحياة.

قال الله تعالى في إثبات القيمة الإنسانية المشتركة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا[١]).

وعليه فإنه لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ[٢]).

قال العلامة الطباطبائي: «فالمرأة المؤمنة بدرجات الإيمان، أو المليئة علما، أو الرزينة عقلا، أو الحسنة خلقا، أكرم ذاتا وأسمى درجة ممن لا يعادلها في ذلك من الرجال في الإسلام، كان من كان، فلا كرامة إلا بالتقوى والفضيلة»[٣].

وقال الله تعالى لإثبات المسؤولية المشتركة والجزاء: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ

---

١. سورة النساء، الآية: ١.

٢. سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٣. الميزان: ج٢ ص٢٧٠.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[١].

وقال الله تعالى في إثبات الفضل في الأنوثة والذكورة: (وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[٢].

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

١. سورة التوبة، الآية: ٧١ ـ ٧٢.

٢. سورة النساء، الآية: ٣٢.

صلح الامام الحسن هل هو مسايرة؟[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

في البداية، أرفع أسمى آيات التهاني إلى مقام إمامنا وسيدنا وشفيع ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات جميع مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها، وإلى رواد شبكة المنار الإلكترونية الأعزاء بمناسبة مولد السبط العظيم الإمام الحسن بن علي عليهما السلام.

أيها الأحبة الأعزاء، رأيت أن تكون الكلمة (القصيرة) التي طلبتموها مني في هذه المناسبة الجليلة، لنشرها على صفحتكم الإلكترونية (شبكة المنار الإلكترونية) إجابةً على سؤال مهم، يتبادر إلى ذهن الكثيرين منكم في هذه الأيام.

---

١. جهة النشر: شبكة المنار الإلكترونية. المناسبة: مولد الإمام الحسن عليه السلام. التاريخ: ١٢/ رمضان/ ١٤٢٦هـ الموافق: ١٦/ أكتوبر ـ تشرين الأول/ ٢٠٠٥م.

والسؤال هو: هل يدخل صلح الإمام السبط: الحسن بن علي عليه السلام في دائرة مسايرة الحكم الأموي الجائر؟

الجواب

لا يدخل صلح الإمام الحسن عليه السلام في دائرة مسايرة الحكم الأموي الجائر. حيث كشفت الأحداث كلها أن منهج الإمام الحسن عليه السلام هو المعارضة للحكم الأموي بكل أشكال المعارضة المشروعة إسلاميا، ولم يتغير ذلك المنهج بعد الصلح. نعم، نقل الصلح المعارضة (لأسباب موضوعية) من المواجهة العسكرية إلى المواجهة السياسية السلمية، مع التأكيد على حق وشرعية المواجهة العسكرية مع النظام الأموي الجائر، وقد أظهر الإمام الحسن عليه السلام وأصحابه الكرام في المعارضة السياسية، إيمانا وصبرا واحتسابا وثباتا على المبادئ منقطع النظير، فلم يغيروا ولم يبدلوا ولم ينثنوا، وقدموا في المواجهة السياسية الكثير من التضحيات الجسيمة. وذروتها حياة الإمام الحسن عليه السلام وحياة الكثيرين من خيرة أصحابه الكرام أمثال: حجر وأصحابه، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم من الشهداء الأبرار، كنتيجة للعنف السلطوي من طرف واحد في المواجهة السياسية. وكان العنف السلطوي الأموي متعدد الوجوه، حيث كان معاوية يقتل أصحاب الإمام الحسن عليه السلام على التهمة والظنة، ويعرضهم إلى التعذيب

والتشريد والسجن والمطاردة، ويسقطهم من دواوين العطاء للتضييق عليهم في أرزاقهم، والتأثير السلبي على حياتهم المعيشية وحياة أسرهم، وكان يرد شهاداتهم في القضاء (وغيره) كجزء من الحرب النفسية ضدهم، ولكن لم يستطع ذلك العنف السلطوي الأموي متعدد الوجوه أن يسقط تلك المعارضة (الطاهرة) المحمدية العلوية الحسنية، بل كان عامل قوة لصمودها وانتشارها في شتى الولايات الإسلامية، ولا سيما الكوفة الممتحنة. كما أن الصلح يدخل في دائرة التكتيك العسكري، ولم يكن تخليا (بصورة دائمة) عن المواجهة العسكرية المشروعة ضد السلطة الأموية الجائرة. وعليه لم يتوقف الإمام الحسن عليه السلام وأصحابه (في ظل المعارضة السياسية الشجاعة) عن فضح ممارسات النظام الأموي على جميع الأصعدة: الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولم يتوقفوا عن نشر الوعي، وشحذ الهمم، وتقوية العزائم، وترسيخ ثقافة الرفض والتحدي والمواجهة بأشكالها كافة، والتأكيد على شرعيتها، وبناء قواعد المعارضة وتطوير أدائها على كل المستويات، والاستعداد للمستقبل ولأسوأ الاحتمالات. وقد ربط، على ضوء ذلك، الكثير من المحللين السياسيين (قديما وحديثا) بين صلح الإمام الحسن وثورة أخيه الإمام الحسين.

عدي بن حاتم والإمام الحسن عليه السلام

ذكر المؤرخون أن عدي بن حاتم (وهو أحد الخواص) جاء إلى الإمام الحسن عليه السلام وقال: «يا بن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت!! أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيس التي لم تلق بنا».

فرد الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: «يا عدي، إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كلّ يوم هو في شأن».

فلم يستنكر الإمام الحسن عليه السلام روح العزة والكرامة، وثقافة الرفض والتحدي والمواجهة، ورفض الباطل والظلم والمذلة والخنوع، والإصرار على مواجهتها بكافة أشكالها وتلاوينها بعزيمة وشكيمة لدى عدي بن حاتم، وإنما أقرها وأخبره عن إرجاء الحرب (تكتيكا) إلى يوم آخر؛ لأن الجماهير لم تكن مستعدة في ذلك الوقت لأن تخوض مع الإمام الطاهر الشجاع الحسن بن علي عليه السلام الحرب ضد معاوية. ففي هذا النص نجد:

تمسك السبط الكريم الإمام الحسن عليه السلام بحق المواجهة العسكرية ضد معاوية بن أبي سفيان، والتأكيد على شرعيتها في مواجهة الحاكم الباغي المغتصب للحقوق والساعي بين الناس بالباطل والظلم ونشر الفساد، وامتلاكه عليه السلام الإرادة القوية الفولاذية لخوض غمارها، ولكنه وجد المسلمين بحاجة إلى إعداد جديد للدخول في المعركة العسكرية، مما دفعه للصلح (تكتيكا) ونقل المعركة من المواجهة العسكرية إلى المواجهة السياسية السلمية، وإتاحة الفرصة لنشر الوعي وبناء المعارضة. وعليه تم تأجيل المواجهة العسكرية إلى حين تتهيأ الظروف المناسبة إليها.

من المواقف السياسية للإمام الحسن عليه السلام

ومن مواقف المواجهة السياسية للإمام الحسن عليه السلام بعد الصلح ضد معاوية قوله في خطاب له بحضور معاوية: «وليس الخليفة من دان بالجور، وعطل السنن، واتخذ الدنيا أبا وأما، ولكن ذلك ملك أصاب ملكا تمتع به، وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته، وبقيت عليه تبعته، فكان كما قال الله عزّ وجلّ: (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ[1])»[2].

---

١. سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

٢. المحاسن والمساوئ، البيهقي: ص٦٣.

من مواقف أصحاب الإمام الحسن عليه السلام السياسية

ومن مواقف أصحابه في المواجهة السياسية: موقف الأحنف بن قيس في مجلس معاوية، حين عرض معاوية أمر البيعة ليزيد. فقال الأحنف: «وقد علمت يا معاوية، أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه قعصا (يعني: بالقتال)، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود ما قد علمت، ليكون له الأمر من بعدك، فإن تفي فأنت أهل الوفاء، وإن تغدر تظلم، والله إن وراء الحسن خيولا جيادا، وأذرعا شدادا، وسيوفا حدادا، وإن تدن له شبر غدر تجد وراءه باعا من نصر، وأنت تعلم من أهل العراق: ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما، وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء، وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم»[١].

ومنها موقف عدي بن حاتم حين دخل على معاوية فسأله: ما فعلت الطرفات (يعني أولاده)؟

فقال: قتلوا مع علي!!

١. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ص١٤٧.

فقال معاوية: ما أنصفك علي، قتل أولادك، وبقي أولاده!!

فقال عدي: ما أنصفت عليا، قتل وبقيت بعده!!

فقال معاوية: أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان، ما يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن (يعني بذلك عدي)!!

فقال عدي: والله إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فترا (الفتر: ما بين طرف الإبهام والسبابة إذا فتحتهما) لنُدنينَّ لك من الشر شبرا، وإن حز الحلقوم (قطع الرقبة) وحشرجة الحيزوم (تردد النفس وقت الاحتضار) لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف.

فقال معاوية متراجعا: هذه كلمات حكم فاكتبوها، وأقبل على عدي محادثا له، كأنه ما خاطبه بشيء[1].

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

---

١. مروج الذهب، المسعودي: ج٣ ص١٣.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الميزان في صلح الإمام الحسن عليه السلام [1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين الأخيار.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، نرفع أحر التعازي إلى مقام إمامنا ومولانا وسيدنا وشفيع ذنوبنا الحجة المهدي صاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى جميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم

---

١. بمناسبة ذكرى شهادة الإمام الحسن عليه السلام. في مدينة عيسى ـ مأتم مدينة عيسى. اليوم: مساء الخميس ـ ليلة الجمعة. التاريخ: ٦/ صفر/ ١٤٣١هـ. الموافق: ٢١/ يناير ـ كانون الثاني/ ٢٠١٠م.

أيها الأحبة، بمناسبة الذكرى السنوية لشهادة الإمام السبط الزكي الحسن بن علي.

أيها الأحبة الأعزاء، عنوان الحديث كما أعلن عنه: (الميزان في صلح الإمام الحسن)، وسوف أحرص على أن تكون كلمتي قصيرة، وذلك في سبيل فسح المجال أكثر للحوار والمناقشة، وسوف أجعلها في نقاط محددة تسهيلا للفهم ومساهمة في الاختصار.

قال الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[١]

سوف أجعل الحديث على قسمين:

القسم الأول: سوف أتناول فيه بعض الحقائق الأساسية المهمة التي أشارت إليها الآية الشريفة المباركة، والتي تساهم في فهم أفضل وأسهل لصلح الإمام الحسن عليه السلام.

القسم الثاني: سوف أسلط فيه بعض الأضواء التي تساعدنا على فهم

---

١. سورة الحديد، الآية: ٢٥.

واقعي – إن شاء الله تعالى – لصلح الإمام الحسن عليه السلام.

القسم الأول: الحقائق المهمة التي أشارات إليها الآية الشريفة

الآية الشريفة المباركة أشارت، من قريب أو من بعيد، تصريحاً أو ضمناً، إلى مجموعة حقائق من شأنها أن تساهم في فهم أفضل وأسهل لصلح الإمام الحسن عليه السلام سوف أسعى بعون الله تعالى للوقوف عليها، وسوف أجعلها ـ إن شاء الله تعالى ـ في نقاط، كما وعدت في بداية الحديث، في سبيل تيسير الفهم والاختصار، وهي:

الحقيقة (١)

إن غاية بعث الرسل على صعيد الحياة الدنيا هي: إقامة العدل الإلهي بين الناس، وقد كلف الله جل جلاله الناس جميعا بالسعي لتحقيق هذه الغاية، وذلك بقيادة الأنبياء والأوصياء وذلك:

- لأن الناس لا يهتدون من دون قيادة الأنبياء والأوصياء إلى تحقيق هذه الغاية.
- ولأن الأنبياء والأوصياء غير قادرين على تحقيق هذه الغاية من دون مساعدة الناس إليهم ووقوفهم إلى صفهم.

الحقيقة (٢)

إن تحقيق هذه الغاية يتطلب توفير مجموعة من الشروط المعنوية والمادية والإدارية، منها:

- الصدق والإخلاص في النية إلى الله سبحانه وتعالى.
- الانضباط في العمل.
- توفير العتاد اللازم.
- الثبات والتضحية.
- وغيرها.

ويقف الصدق والإخلاص في النية على رأس القائمة، فقد يتأخر النصر عن المؤمنين ـ رغم توافر الشروط الأخرى ـ وتشتد معاناتهم بسبب وجود شوائب في النية.

الحقيقة (٣)

إن تحقيق هذه الغاية الربانية العظيمة، لا يمكن أن يتحقق إلا بأن يسبقه الرفض للظلم ومقاومة الظالمين، أي أن تحقيق هذه الغاية يتطلب:

- رفض الظلم ومقاومة الظالمين.

• السعي لتحقيق العدل وإقامته بين الناس.

لهذا حرّم الله عز وجل على الناس الركون إلى الظالمين، وتقديم أي شكل من أشكال المساعدة التي تعينهم على الاستمرار في الظلم، وأخبر بأن عاقبة ذلك النار.

قول الله تعالى: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ[1]).

وقال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «الظلمة وأعوانهم في النار»[2].

وقال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الظلمة وأعوانهم: من لاق لهم دواة، أو ربط لهم كيسا، أو مد لهم مدة قلم، فاحشروهم معهم»[3].

وذلك لأن الركون إلى الظالمين هو في الحقيقة والواقع:

• مفسدة عظيمة في الروح والواقع.

• وركون إلى غير الله العزيز الجبار، وعاقبة الركون إلى غير الله عز وجل

---

١. سورة هود، الآية: ١١٣.

٢. كنز العمال: ج٣ ص٤٩٨ ح٧٥٨٩.

٣. البحار: ج٧٥ ص٣٧٢.

النار.

الحقيقة (٤)

إن الانتصار وتحقيق دولة العدل الإلهي أمرٌ حتمي، وإنه يتحقق بفضل الله عز وجل وفضل جهود المؤمنين المخلصين، وهذا يتطلب الاستمرار في سلسلة الجهود المنصبة لتحقيق هذه الغاية الربانية وعدم انقطاعها. وقد أوجب الله جل جلاله على نفسه أن يختار في كل زمان العدد الكافي من المؤمنين، ويقيضهم لحمل هذه المهمة بالشروط اللازمة لأداء المهمة، وذلك من أعظم فضل الله الغني الحميد عليهم وعلى الناس جميعا، قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[١])، فالمراد من "الارتداد" هنا ليس الارتداد في العقيدة من الإسلام إلى الكفر، وإنما الارتداد العملي المتمثل في التخلي عن المسؤوليات العامة في الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ذي الجلال والإكرام، والإنفاق والتضحية في سبيل الله عز وجل.

---

١. سورة المائدة، الآية: ٥٤.

وهذا يوجب على كل مؤمن صادق في إيمانه الحرص على أن يكون من هؤلاء الذين ينتصر الله جل جلاله بهم لدينه، فالسنة جارية، إن لم يكن بي أنا وأنت فبغيرنا، قول الله تعالى: (هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء تُـدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ[1]). وقد جاء في الدعاء المروي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «واجعلنا ممن تنتصر به لدينك، وتعز به نصر وليك، ولا تستبدل بنا غيرنا، فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير، وهو علينا كثير»[2].

القسم الثاني: نقاط تساعد على فهم واقعي لصلح الإمام الحسن عليه السلام

بعد الإشارة إلى الحقائق القرآنية التي أشارت إليها الآية الشريفة المباركة، أنتقل إلى الحديث عما يتعلق بصلح الإمام الحسن عليه السلام وأجعله في نقاط أيضا، وهي:

النقطة (١)

إن نهج الإمام الحسن عليه السلام هو نفس نهج الأنبياء الذي بيّنه القرآن

---

١. سورة محمد، الآية: ٣٨.

٢. مفاتيح الجنان: ص٦٦٥.

الكريم، وهو:

- رفض الظلم ومقاومة الظالمين.
- والسعي لإقامة القسط والعدل بين الناس.

فالإمام الحسن عليه السلام لم يساير الظالمين ولم يتعايش معهم، وإنما رفض الظلم وقاوم الظالمين، وأما صلح الإمام الحسن عليه السلام فهو إعلان لإيقاف المواجهة العسكرية مع معاوية بن أبي سفيان، وذلك وفق شروط معينة اشترطها عليه في وثيقة الصلح، ولم تتوقف المواجهة السياسية بين الطرفين. فقد استمرت المواجهة السياسية بينهما، ودفع الإمام الحسن عليه السلام حياته وحياة الكثير من خيرة أصحابه ثمناً لهذه المواجهة. ولو ساير الإمام الحسن عليه السلام معاوية بن أبي سفيان، ولم تكن هناك مواجهة سياسية بين الطرفين، لما كانت هناك حاجة لاغتيال الإمام الحسن عليه السلام، ولكان الإبقاء عليه أفضل لمعسكر معاوية.

النقطة (٢)

البعض يطرح، خطأً، بأن معاوية بن أبي سفيان ركب المنبر بعد التوقيع على الصلح مباشرة، وقال: «إن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة لمطلول (أي: مهدور)، وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين»، وهذا الحديث هو

أقرب للخيال المسرحي منه للواقع، فهذا لا يمكن أن يحدث، وإلا لم يكن هناك لزوم لتوقيع الصلح أصلا، فالمسألة ليست مجرد كتابة على الورق، وإنما هي حسابات سياسية مرتبطة بموازين القوى وما يجري على الأرض. والصحيح أن معاوية بن أبي سفيان التزم إلى فترة من الزمن ببنود الصلح، ثم أدرك من خلال النتائج التي أفرزتها التجربة على الأرض بأن الأمور لا تسير في صالحه، وإنما تسير في صالح معسكر الإمام الحسن عليه السلام، **وكان من أهم نتائج الصلح**: أن الصلح أعطى الأمان لأصحاب الإمام الحسن عليه السلام، وأعطاهم حرية الحركة والسفر والتنقل، فذهب الكثير منهم إلى الشام، وكانت منطقة مغلقة في وجوههم من قبل، ونجحوا في تغيير الرأي العام لصالح معسكر الإمام الحسن عليه السلام هناك، فخشي معاوية من انقلاب الرأي العام ضده. وعلى ضوء هذه النتائج وغيرها، قرّر نقض الصلح، وذهب إلى مسجد الكوفة، وأعلن نقضه له.

النقطة (٣)

إن اعتراض بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام على الصلح، كان بسبب عدم استيعابهم لأبعاده، وهو يشبه إلى حد كبير اعتراض بعض أصحاب الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله على صلح الحديبية، الذي وصفه القرآن الكريم بالفتح، قول الله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ

اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا . وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا[١])، وقد سلّم أعظم أصحاب الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله لأمر الصلح عن إيمان رغم عدم استيعابهم لأبعاده، ثم تكشفت لهم أبعاده الحقيقية بعد حين، وهكذا كان الحال في صلح الإمام الحسن عليه السلام.

النقطة (٤)

إن نقض معاوية بن أبي سفيان لبنود الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام من طرف واحد، قد أجّج نار الصراع السياسي بين الطرفين، ورفع من وتيرة الاعتقالات والاغتيالات، حتى وصل الأمر إلى اغتيال الإمام الحسن نفسه. إلا أن الإمام الحسن عليه السلام رأى بعد نقض معاوية للصلح، عدم استئناف المواجهة العسكرية مع معسكر معاوية؛ وذلك بناء على الحساب السياسي الدقيق للظروف الموضوعية، فيما تعود به من المصلحة والمفسدة على الدين والعباد، ولم يكن الصلح نتيجة لما يطلق عليه البعض المزاج الخاص للإمام الحسن عليه السلام.

---

١. سورة الفتح، الآية: ١ ـ ٣.

وهنا أرغب في تناول ثلاث مسائل:

(أ) إن صلح الإمام الحسن عليه السلام في عقيدة الإمامية ـ بحسب العقل والنص ـ هو صلح الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وصلح الإمام علي بن أبي طالب، وصلح الإمام الحسين، وصلح جميع الأئمة. وإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام في عقيدة الإمامية ـ بحسب العقل والنقل ـ هي ثورة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وثورة الإمام علي بن أبي طالب، وثورة الإمام الحسن، وثورة جميع الأئمة. وإن كلا منهما يرتبط بالظروف الموضوعية، ولا يعبران عن توجهين أو مزاجين مختلفين للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

(ب) إن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من أهل البيت هم حجة التشريع، إلا أن شرعية مواقفهم لا تنبع من ذواتهم الطاهرة المقدسة، وإنما من الواقع. فصوابية الصلح والثورة في الحقيقة لا تنبع لمجرد كونهما من الإمامين: الحسن والحسين؛ بحيث يتساوى الصلح والثورة في نفسيهما في الميزان الشرعي بغض النظر عن الظروف الموضوعية المرتبطة بهما، وإنما يرتبطان ارتباطا فعليا وحقيقيا بالواقع ولا ينفصلان عنه، وقد بحثت ذلك بالتفصيل في مناسبات سابقة.

والنتيجة التي نخلص إليها: خطأ بعض المؤمنين في الاحتجاج

بصلح الإمام الحسن أو ثورة الإمام الحسين لإثبات صحة مواقفهم السياسية بغض النظر عن الظروف الموضوعية التي تحيط بالمواقف، والمطلوب: إثبات صحة المواقف من خلال بحث الظروف الموضوعية المرتبطة بها؛ ليكون الحكم الشرعي عليها من خلال تشخيص توافقها ووجاهتها، بلحاظ الظروف الموضوعية المرتبطة بها.

(ج) لكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام سماته الشخصية الخاصة التي يتميز بها، فليس لجميع الأئمة نفس السمات الشخصية بحيث يكون كل واحد منهم نسخة للآخرين منهم، فهناك تنوع واختلاف في السمات الشخصية بينهم، وهذا ما يشهد به الواقع، وهو مطلوب لتنوع الأدوار باختلاف المراحل، وإن الله جل جلاله ينعم على كل إمام من الصفات ومن سمات الشخصية ما هو الأفضل لدوره. وهذا ينطبق على الأنبياء أيضا، فالاختلاف بينهم في سمات الشخصية قائم، وهو يخدم الأدوار التي يقومون بها بالنظر إلى ظروف كل زمان، وهذا واضح جدا ولاسيما في الأنبياء أولي العزم، إلا أن اختلاف السمات - والحديث هنا خاص بالأئمة:

- لا يؤثر على الحجة المشتركة بينهم القائمة على وحدة أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم.

• وأن مجموع السمات على بعضها في كل إمام تجعلهم كلهم في الفضل سواء.

النقطة (٥)

المطلوب من المؤمنين الخضوع لولاية الرسول الأعظم الأكرم ﷺ، ثم لولاية الأئمة الأطهار من أهل البيت، سواء كان الموقف العام هو الثورة أو الصلح أو غيرهما، لقول الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» وفي زمن الغيبة الخضوع ـ بحسب نظرية ولاية الفقيه ـ للولي الفقيه (مع التنبيه إلى اختلاف الفقهاء بشأن سعة ولاية الفقيه). وبحسب نظرية ولاية الفقيه، فإن صلاحيات الولاية في الحكومة والشؤون العامة لا تختلف بين الفقيه وبين الرسول الأعظم الأكرم ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، رغم تفوق الرسول الأعظم الأكرم ﷺ والأئمة من أهل البيت على الفقهاء في الخصائص والفضائل بما لا يقاس، فالاختلاف في الخصائص والفضائل لا يؤثر على الصلاحيات الممنوحة لهم في ولاية الحكم والشؤون العامة، والتي يتوقف عليها نجاح النظام الإسلامي وقدرته على تحقيق أهدافه، مع التأكيد على توفر الشروط اللازمة في الفقيه المتصدي للولاية.

وهنا أرغب في توضيح مسألة، وهي أن الإمام معصوم في معرفة الحكم

الشرعي وفي تشخيص الموضوعات، وليس لدى الفقهاء هذه العصمة، فهم عرضة للخطأ، ولهذا أشار الفقهاء إلى دور أهل الاختصاص في تشخيص الموضوعات في الشؤون العامة، إلا أن أهل الاختصاص لا ولاية لهم، فمتى تقرر اتخاذ القرارات ووضعها موضع التطبيق، فإن صاحب الولاية الشرعية في ذلك هو الفقيه الجامع للشرائط وليس أهل الاختصاص.

أكتفي بهذا المقدار، وأعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

صلح الإمام الحسن عليه السلام[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الغويّ الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

اللهم صل على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرق بيننا وبين محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة طرفة عين أبداً.

اللهم معهم.. معهم لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني وأزكاها إلى مقام إمامي وسيدي ومولاي وشفيعي يوم القيامة، الحجة بن الحسن العسكري (روحي وأرواح المؤمنين لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى

---

١. بمناسبة مولد الإمام الحسن السبط عليه السلام. في المنامة ـ مأتم البدع. اليوم: مساء الاثنين ــ ليلة الثلاثاء. التاريخ: ١٥/ رمضان/ ١٤٢٤هـ. الموافق: ١٠/ نوفمبر/ ٢٠٠٣م.

جميع المؤمنين والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإليكم، بمناسبة الذكرى السنوية للمولد المبارك للسبط الحسن الزكي عليه السلام.

أيها الأحبة الأعزاء، كلما ذكر الإمام الحسن عليه السلام ذكر معه الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، وكلما ذكر الإمام الحسين عليه السلام ذكرت معه الثورة على يزيد بن معاوية، وقد ربط بعض الكتاب والمفكرين من خارج منهج الإمامة بين مزاج الإمامين وأخلاقهما وبين الموقفين، وفسروا الموقفين على هذا الأساس، فصلح الإمام الحسن عليه السلام في رأيهم يعكس مزاجه المسالم وأخلاقه، وثورة الإمام الحسين عليه السلام في رأيهم تعكس مزاجه الثوري وأخلاقه، وقد تمادى البعض في هذا الطرح، حتى قال بعضهم: إن الإمام الحسن عليه السلام كان عثماني الهوى، وإنه كان على خلاف مع أبيه، وكارها لحروبه، وأنه حضرها ولم يشارك فيها، وهذا ما ذهب إليه عميد الأدب العربي السيد طه حسين. وقد وجد لهذا الطرح بعض الصدى في كتابات وأطروحات بعض الكتاب والمفكرين المرتبطين بمنهج الإمامة النيّر، بسبب الغفلة عن منهج الإمامة النوراني في التفكير.

وأعتقد أن هذا الرأي بعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع ومجانب لهما، ولا ينسجم مع حقيقة الإمامة ونورانيتها وواقعيتها، وحتى لو تخلينا فرضاً عن القول بإمامة الحسن والحسين، فإن هذا الرأي لا ينسجم مع التحليل

العلمي المنهجي والموضوعي لمقومات وواقـع شخصـية الإمـامين الحسـن والحسين، ولا يدل على تشخيص علمي موضوعي دقيق للواقع أو السـاحة اللذين جرى فيهما الحدثان: الصلح والثورة.

وأنا أعتقد بأن القيادة الإسلامية بما هي إسلامية، وبقدر ما تكون واعيـة بحقيقة الإسلام ومقومات العمل الإسلامي، وبقـدر مـا تتـوفر عليـه مـن الخبرة في التفكير والعمـل، وبقـدر مـا تتـوفر عليـه مـن العدالـة والأمانـة والتقوى والإخلاص لله تعالى في التفكير والعمل والجهاد والقيادة، وبقـدر ما تمتلك من أدوات التفكير العلمي المنهجي، ومنهجيـة العمـل والحركـة، بقدر ما تبتعد عن المزاجية والذاتية، وتقترب من العلميـة الموضـوعية ومـن الواقعيـة في التفكـير والحركـة، وأن مـن يخـلّ بالموضـوعية والواقعيـة في الأطروحات والمواقف، ويتأثر بالذاتية والمزاج، فإن عليه أن يتجنب القيادة في المواقع المتقدمة على الصعيد الإسلامي والقـومي والـوطني؛ لأن القائـد مؤتمن من قبل الله سبحانه وتعالى، ومن قبل الناس على العقيـدة والمصـالح المشروعة للناس، وأن الذاتية والمزاجية في الأطروحـات والمواقـف، تـؤدي إلى ضياع الحق والحقوق وضياع المصالح العليا العامة للإسـلام والمسـلمين والوطن والمواطنين، وهـو خـلاف العدالـة والأمانـة وشرف القيـادة لكـل قائدٍ، والقائد الإسلامي بصورة خاصة، الذي ينبغي أن يكـون طـاهراً مـن

نزق القيادة وشهوتها، وسوف يتضح الموضوع بصورة أفضل بعد قليل.

قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»

هذا الحديث الشريف: يُجمع محدّثو مدرسة الخلفاء ومحدّثو مدرسة أهل البيت عليهم السلام على صحته، **ولهذا الحديث الشريف فيما يخص موضوع بحثنا دلالتان رئيسيتان، هما:**

الدلالة الأولى

شرعية كل أطروحات ومواقف الإمامين الحسن والحسين، ولا يمكن لمسلم سمع هذا القول وفهمه، أن يطعن في شرعية أية أطروحة أو أي موقف لأحد الإمامين الحسن والحسين، بل العدل والإنصاف وطلب الحقيقة يلزم كل مسلم غيور على دينه وأمته، يلزمه بالرجوع إلى أطروحاتهما ومواقفهما وتقديمهما على كل أطروحة وموقف لأي أحد، وجعل أطروحاتهما ومواقفهما معيارا لمعرفة الحق والصدق والصواب في أطروحات ومواقف الآخرين مهما كان الآخرون، فالإمامان الحسن والحسين مقدَّمان على الجميع بمن فيهم جميع الصحابة، وهذا ما يدل عليه بصورة واضحة صريحة حديث الثقلين الذي يقول بتواتره محدّثو مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت.

يقول المحدث والفقيه ابن حجر في «الصواعق»[١]: "سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن وعترته ـ وهي بالمثناة الفوقية: الأهل والنسل والرهط الأدنون ـ ثقلين؛ لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية، والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حث صلى الله عليه وآله على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم منهم، وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت. وقيل [وما زال القول لابن حجر]: سُمّيا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق (ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم)، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء؛ لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وشرّفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها، وسيأتي الخبر الذي في قريش (وتعلّموا منهم فإنهم أعلم منكم)، فإذا ثبت هذا لعموم قريش، فأهل البيت أولى منهم بذلك؛ لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش، وفي أحاديث الحثّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم

---

١. الصواعق المحرقة: ص٩٠.

القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك".[١]

ومن خلال هذا التوضيح الواضح لكل ذي لب ألقى السمع وهو شهيد، نعرف مدى الشطط ومجانبة الحقيقة والصواب والابتعاد عنهما بُعد المشرق عن المغرب في قول من قال: «إن الحسين خرج عن حده فقتل بسيف جده»، وسوف يقفون بين يدي الله الجبار ويُسألون عن شهادتهم يوم القيامة.

الدلالة الثانية

إن كل أطروحات ومواقف الإمامين الحسن والحسين محسوبة بدقة وفي غاية الواقعية والموضوعية، والبعد كل البعد عن الذاتية والمزاجية والمصالح الخاصة الحزبية أو الفئوية المعزولة عن المصالح العليا العامة للإسلام والمسلمين، فهي تعبّر عن روح الإسلام وحقيقته، وتصب في المصالح العليا للإسلام والمسلمين على المدى القريب والبعيد، بحيث لو كان الإمام الحسن عليه السلام مكان الإمام الحسين عليه السلام لثار على يزيد بن معاوية، ولو كان الإمام الحسين عليه السلام مكان الإمام الحسن عليه السلام لصالح معاوية بن أبي سفيان، فكلا الموقفين يعبران عن حقيقة الإسلام وروحه وجوهره، وعن

---

١. نقلا عن فضائل الخمسة: ج٢ ص٥٥ ـ ٥٦.

تشخيص علمي موضوعي دقيق للواقع، وما يجب أن يقدم من الأطروحات والمواقف، وأنه لا يختلف مزاج الإمامين الحسن والحسين وأخلاقهما في ذلك، وهذا ما يفرضه منهج الإمامة في التفكير، الذي يفرض حجّية أقوال الأئمة وأقوالهم وتقريراتهم، فكما يفرض هذا المنهج وحدة الأقوال، فإنه يفرض وحدة الأفعال من جهة دلالتها على الحكم الشرعي وتعبيرها عن المصالح العليا للإسلام والمسلمين، ولا يمكن لمزاج أي إمام أو لأخلاقه أن يغيّر شيئاً في هذه الحقيقة المتينة النورانية التي يراها كل صاحب بصيرة ودين. أي أن مساحة الاختلاف في المزاج والأخلاق التي يمكن قبولها بين الأئمة لا تأتي على حساب الحقيقة أو تغيّر فيها، ولا تأتي على حساب المصالح العليا للإسلام والمسلمين أو تفرّط فيها.

وحتى على فرض التنازل العلمي الجدلي عن القول بإمامة الإمامين الحسن والحسين، فإن شخصية الإمامين الحسن والحسين، اللذين يحملان حكمة الرسول الأعظم ﷺ وسؤدده وهيبته وشجاعته، هذه الحكمة والسؤدد والمتانة والقوة والتماسك والهيبة والشجاعة في شخصيتي الإمامين الحسن والحسين تمنع من القول بذاتية الأطروحات والمواقف للإمامين الحسن والحسين ومزاجيتها، وقد سبق القول بأن القيادة الإسلامية بما هي إسلامية، وبمقدار ما تتحلى به من الوعي والخبرة والتقوى والإخلاص في

العمل والجهاد والقيادة، تبتعد عن الذاتية والمزاجية في الأطروحات والمواقف، وتقترب من الموضوعية العلمية والواقعية، فكيف يكون الحال لدى الإمامين الحسن والحسين؟

أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام

أيها الأحبة الأعزاء، وبخصوص صلح الإمام الحسن عليه السلام، فإن الإمام الحسن عليه السلام قد أوضح دوافع وأسباب الصلح لأصحابه وشيعته، بما لا يدع مجالا للشك في حكمته وشجاعته وقوة شخصيته وكفاءته القيادية وأهليته للقيادة، ومن جملة الأسباب التي ذكرها لأصحابه وشيعته الأسباب التالية:

السبب الأول

إن جيش الإمام الحسن عليه السلام يعاني من ضعف وخلل في تركيبته، وإنه لا يصلح لخوض المعركة، وإنه لو خاض المعركة بهذا الجيش فإنه سيخسرها، وسوف تكون نتائجها السلبية وخيمة جداً على صفوف معسكر الإيمان، وهو معسكر الإمام الحسن عليه السلام على المدى القريب والبعيد، وإن من نتائج المواجهة القتل الفظيع في معسكره عليه السلام، وإن القتل سوف يشمل خيرة أصحابه عليه السلام.

ومن جهة ثانية: فإن المواجهة العسكرية مع معاويـة، سـوف تنـتج عنهـا مكاسب ضخمة شاملة لمعسكر معاوية على المدى القريـب والبعيـد، وبنـاءً على ذلك فالمواجهة غير مطلوبة، والصلح هو الأفضل لحفظ المصالح العليا للإسلام والمسلمين.

يقول الإمام الحسن عليه السلام في جوابه لعدي بن حاتم: «يا عدي، إني رأيـت هوى معظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن».

وفي جواب آخر له عليه السلام قال: «إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجـه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعٍ».

السبب الثاني

إنه لا يعمل من أجل الدنيا والمصالح أو المكاسب الدنيوية، وإنـما يعمـل من أجل الله سبحانه وتعالى وفي سبيله، وإن الحكـم الشرـعي لا يسـمح لـه بأن يزج الجيش الإسلامي في معركة معروفة نتائجها الفظيعة الخـاسرة عـلى المدى القريب والبعيد منـذ البدايـة وقبـل أن تبـدأ، فهـو مسـئول مسـئولية شرعية عـن الـدماء والمحافظـة عـلى المصـالح العليـا للإسـلام والمسـلمين وصيانتها، ولا يجوز له أن يفرّط فيها من أجـل مصـالح خاصـة سياسـية أو

غير سياسية، ومن أجل المزاج والعصبية، وغير ذلك من الأسباب والدوافع والدواعي الجاهلية.

يقول عليه السلام لبعض شيعته: «أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، فلو كنت بالحرام في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانه أركض وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشد مني شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم، وما أردت إلا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله، وسلموا الأمر له، والزموا بيوتكم وأمسكوا».

السبب الثالث

إن الصلح سوف تنتج عنه مكاسب شاملة لمعسكر الإيمان، وخسائر مماثلة لمعسكر معاوية، وإن معاوية لم يكن يبصر بذلك في ساعة عقد الصلح.

يقول الإمام الحسن عليه السلام في جواب بعض شيعته: «ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أني إمامكم ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: بلى. قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام، كان ذلك سخطاً لموسى بن

عمران عليه السلام، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم عليه السلام، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة، إذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسين بن سيدة النساء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون الأربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير».

أيها الأحبة الأعزاء، كان من بنود الصلح أن يأمن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأعراضهم، وأن يحفظ لهم حقهم في السفر في بقاع الأرض، ويحفظ لهم حقهم في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم من دون أن يصيبهم أذى من معاوية وأصحابه، وكان أن وظّف أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام هذا الحق وانتشروا في بقاع الأرض ينشرون فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كل مكان، ودخلوا إلى الشام حصن بني أمية، وكانت منطقة مغلقة في وجه أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام قبل ذلك، وكانت خاضعة لطوق إعلامي شديد، إلى درجة أنهم لم يكونوا يعرفون بأن لرسول الله صلى الله عليه وآله أهلاً غير بني أمية، فلما عرف بعضهم الحقيقة تشيّعوا لأهل البيت، وبهذا بدأ الميزان يختل لغير صالح

معاوية بن أبي سفيان، فنصحه مستشاروه والمقربون منه، بنقض بنود الصلح؛ لأنه إذا استمر في الالتزام ببنود الصلح، فإن الأمر سوف يخرج عن سيطرته، فقرر نقض بنود الصلح. وفي تقديري فإن ما يذكر فوق المنابر من أن معاوية بن أبي سفيان، قد نقض بنود الصلح بعد التوقيع عليه مباشرة وقبل أن يجف الحبر على حسب تعبيرهم، هو غير دقيق، وهو تصوير سريالي للحدث أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، والصحيح في تقديري: أن معاوية التزم في بادئ الأمر ببنود الصلح، وعمل بها فترة من الزمن، ثم نقضها بعد زمن من العمل بها، بعد أن اكتشف أن ميزان القوى يميل لغير صالحه، ثم واصل المشوار بالتخطيط لاغتيال الإمام الحسن عليه السلام، وتنصيب ابنه يزيد لولاية العهد.

دروس مستفادة من حياة الإمام الحسن عليه السلام

أيها الأحبة الأعزاء بعد هذه الوقفة القصيرة الميسرة مع الصلح المبارك العظيم، ننتقل لنقتطف من بستان الإمام الحسن عليه السلام العلمي والسياسي بعض الدروس المفيدة، والعِبر العالية، والبصائر في الحياة، وهي كالتالي:

كما ذكرت في البحث قبل قليل، أن معظم جيش الإمام الحسن عليه السلام، لم يكونوا راغبين في القتال، بل كانوا يرغبون في الصلح، وكانت هناك ثلة من المؤمنين الصادقين على مستوى النخبة والقاعدة قد تألموا للصلح، حيث

كان طموحهم المواجهة مع معاوية دفاعاً عن الحق والعدل ولرد الباطل والظلم، وقد عبّروا بكل صدق وشفافية عن رأيهم وشعورهم لإمامهم عليه السلام، وقد تضمنت شكوى بعضهم الكلمات القاسية التي تعبّر عن عميق شعورهم بالألم وخيبة الأمل، وقد وجدنا من الإمام الحسن عليه السلام الكثير من العناية بهم، والحرص على تبصيرهم وإقناعهم بالموقف في صور جماعية وبعضها فردية، ولم يهملهم أو يطالبهم بالتسليم دون حوار، وقد مدحهم وأثنى عليهم وعاملهم بحنان ومحبة ولطف، ولم يَقسُ عليهم بقول أو فعل، وقد كشف لبعضهم الأسباب الحقيقية للموقف وأبعاده، وكشف لبعضهم منهجه في التفكير والحركة، كما اتضح من بعض إجاباته عليه السلام التي نقلتُ بعضها قبل قليل، مراعياً في ذلك مستوى السائل وقربه من دائرة صناعة القرار، وقد ركز الإمام الحسن عليه السلام على توضيح موقع الإمامة ومكانتها في الدين والسياسة، وكيفية التعامل مع الإمام عليه السلام في المواطن التي لا تتضح فيها مواطن الحكمة، وهي الاستثناء وليست القاعدة، ووفّر لهم أرضية القبول والاقتناع بذلك من القرآن الكريم، وسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وسير الأنبياء العظام، ومن التجربة الشخصية التي لمسوا من خلالها كفاءته وصدقه وإخلاصه عليه السلام، وأوضح الدوافع والأسباب والمنهج الذي اتبعه في عقد الصلح مع معاوية لسائليه ومحاوريه، حسب

مستوى السائل أو المحاور وقربه من مركز صناعة القرار، ولم يبخل على أحد من النخبة من أصحابه بما يستحقه من التوضيح لتفصيل الرؤيا والموقف، لهذا استطاع عليه السلام بصدقه وحكمته وانفتاحه، أن يقنع أصحابه برأيه وموقفه، وأن يمسك بزمام الأمر ويقود الساحة إلى الأمام، كما اتضح جانب من ذلك في البحث قبل قليل.

الدروس التي نستفيدها من الموضوع

الدرس الأول

ضرورة وضوح الرؤيا الاستراتيجية والمنهج والأهداف والأدوات وأساليب العمل والتكتيك لدى القيادة، وضرورة انفتاح القيادة على جماهيرها والتواصل معهم، وممارسة الشفافية والتبصير بالأطروحات والمواقف، وعدم البخل على النخبة من الأصحاب بما يستحقونه من التوضيح والتواصل والتنسيق، وهذا من شروط النجاح والإمساك بزمام الأمور، والمحافظة على تماسك الجماعة ووحدتها وقوتها ونجاحها في تحقيق أهدافها على المدى القريب والبعيد والمتوسط.

الدرس الثاني

إن الأطروحات والمواقف الإسلامية والوطنية العامة يجب ألا تخضع

للأهواء والرغبات والمزاج الشخصي والتقديرات غير العلمية، وإنما يجب أن تخضع للدراسات والتقديرات العلمية، وأن يكون لأهل الاختصاص دور مفصلي فيها.

ومن جهة ثانية: يجب على صناع القرار عدم الجمود على شكل واحد وعلى أدوات بعينها، وألا ينعتوا أنفسهم بنعوت كالثورية والوسطية، ويتشرنقوا فيها، وإنما يجب عليهم أن يتّسموا بالمرونة والدوران مدار المصالح العليا للدين والوطن، استناداً إلى التشخيص العلمي الموضوعي الدقيق، وأن يتّسموا بالشجاعة الكافية لاتخاذ المواقف المطلوبة فعلاً لخدمة المصالح العليا للإسلام والمسلمين، والوطن والمواطنين، وتوظيف الأدوات الفاعلة والقادرة على الإنجاز، وعدم الإفراط بالمبالغة أو التفريط بالقصور، ومن يجد في نفسه الضعف وعدم الشجاعة الكافية لاتخاذ المواقف المطلوبة فعلا لتحقيق الأهداف الشرعية المقررة بموضوعية وواقعية لخدمة المصالح العليا للإسلام والمسلمين والوطن والمواطنين وصيانتها والمحافظة عليها، أو يجد في نفسه الاستهواء والانقياد لرغبات النفس ومشتهياتها في المدح والثناء أو الحصول على مكتسبات شخصية على حساب المصالح العليا للإسلام والمسلمين والوطن والمواطنين وعدم الإمساك بزمام النفس، فإن عليه أن يتجنب القيادة؛ لأنه مؤتمن من قبل الله جل جلاله ومن قبل الناس على

مصالح الناس ودينهم، ومسئول عن ذلك يوم القيامة ومحاسب عليه، وأن أداءه الضعيف في القيادة الذي لا يصل إلى حد إنجاز ما هو مطلوب فعلاً بواقعية موضوعية، يترتب عليه ضياع الحق والحقوق، والتخلف في الأوضاع، وعدم الاستقرار في الساحة الإسلامية أو الوطنية، وهو خلاف العدالة والأمانة وشرف القيادة، ولا يليق بمؤمن ووطني شريف أن يفعل ذلك.

الدرس الثالث

يجب العلم بكفاءة وإخلاص القيادة، وأنه لا يصح اتخاذ القيادة قبل ذلك، وأن القيادة المعلوم عصمتها يتحقق العلم بكفاءتها وإخلاصها من العلم بعصمتها، أما القيادة غير المعصومة فإن العلم بكفاءتها وإخلاصها إنما يتحصل من خلال التجربة والامتحان، ويجب إخضاعها لذلك قبل تقليدها منصب القيادة، ومن دون ذلك يحصل التفريط في المصالح الحيوية للإسلام والمسلمين والوطن والمواطنين، وضياع الحقوق وتخلف الأوضاع، وهذا ما يحدث فعلا في بلاد العرب والمسلمين على الصعيد الرسمي والشعبي؛ بسبب المجاملة، وبسبب سيطرة الأسماء والعناوين على الحقائق والكفاءات في اختيار القيادات الرسمية والشعبية، وما لم يتغير هذا الحال السيئ، فإنه لن تتطور أوضاع المسلمين ولن تتحسن، ولن يحصلوا على

حقوقهم المسلوبة منهم ظلماً وعدواناً.

ومن جهة ثانية: فإن القيادة لا يمكن النظر إليها بعيداً عن القضية، فبين القيادة والقضية توحّد ولا يمكن الفصل بينهما، فلا يمكن تصور تقييم أداء القيادة بعيداً عن دورها وقدرتها الفعلية في خدمة القضية وتطويرها، فإن في ذلك إجحافاً بحق القضية وتضييعاً لها، وفيه تقليل من قيمة القيادة، وتحويلها إلى قيادة صورية فاقدة للقيمة الحقيقية، أي فيه تفريط في أهم مركز وظيفي في المجتمع والدولة وخدمة القضايا الإسلامية والوطنية، فإذا كان هذا هو حالنا مع القيادة، فكيف سيكون حالنا مع الوظائف الأقل أهمية، سوف يكون بالطبع تفريطنا فيها أكبر.

وهل يوجد أيها الأحبة الأعزاء طريق إلى التخلف وتضييع الحق والحقوق أفضل من هذا الطريق؟ الجواب: طبعاً.. لا.

الدرس الرابع

إن القيادة لا يمكن أن تتخذ مواقفها بعيداً عن القاعدة؛ وذلك لأن القاعدة تمثل ساحة عمل القيادة وموضوع اهتمامها، ومعتمدها وركيزة قوتها، فإذا فقدت القيادة القاعدة أو ضيعتها، فقد فقدت ساحة وموضوع عملها وقوتها، وأصبحت فاقدة للقوة ولساحة وموضوع العمل، وعليها

أن تغلق دكاكينها وتغادر ساحة العمل؛ لأن عملها أصبح عبثياً ومن دون موضوع، فإذا فرضنا أن القيادة مقتنعة بموقف معين، والقاعدة غير مقتنعة بالموقف وغير مستوعبة له، فإن الحكمة تقتضي بأن تؤجل القيادة اتخاذ الموقف، حتى يتم إعداد القاعدة له، وهذا لا يعني أن تقود القاعدة القيادة، فتكون العربة أمام الحصان، وإنما يعني أن تتواصل القيادة مع القاعدة، وأن تسعى لخلق توجهاتها عن طريق التواصل والإقناع وتهيئتها للمواقف المطلوبة من القيادة، ولا تتخذ الموقف قبل ذلك، فهذا هو الطريق الوحيد للقيادة الناجحة، ولتماسك الجماعة وقوتها ونجاحها في تحقيق أهدافها وحماية مصالحها ومكتسباتها. وليس القيادة الناجحة هي التي تنعزل عن قواعدها وتترك أمر التوجيه وخلق التوجهات فيها لغيرها، ثم تمارس القيادة الفوقية بإصدار الأوامر للقاعدة، وتتوقع من القاعدة التنفيذ والانصياع لأوامرها، فهذا هو طريق القيادة الفاشلة، وتفكك الجماعة وضعفها، وفشلها في تحقيق أهدافها، وفي الدفاع عن حقوقها المشروعة ومكتسباتها وصيانتها.

الإجابة عن أسئلة الحضور

السؤال (١): كيف يتم التوفيق بين القول بولاية الفقيه وشرط الكفاءة؟

الجواب (١): يشترط في الولي الفقيه أن يكـون فقيهـاً جامعـاً للشرائـط، وأن تتوافر فيه شروط القيادة الناجحـة، فلـيس كـل فقيـه جـامع لشرـوط الفقاهة والمرجعية الدينية يصلح أن يكون الولي الفقيه، وإنما يشترط في الولي الفقيه أن يكـون جامعـاً لشروط الفقاهـة ولشروط القيـادة الناجحـة معـاً، وبهذا نستطيع التوفيق بين القول بولاية الفقيه وشرط الكفاءة.

السؤال (٢): تتعذر القيادات في مواقفها الضعيفة بالضرورة، فكيف ترد على ذلك؟

الجواب (٢): هناك الضرورة الواقعية كالتي وجـدناها في صـلح الإمـام الحسن عليه السلام، وفيها يـتجلى قـوة وكفـاءة وإخـلاص القائـد وإصراره عـلى التقـدم ودك حصـون الأعـداء، ولكـن الظـروف الموضـوعية المحسـوبة والمشخصة بدقة تمنعه من التقدم فيضطر للتوقف. وهناك الضرورة الذاتيـة التي تعكس ضعف القائد وعدم كفاءته، كالضرورة التي نجدها اليوم لدى الحكومات العربية في مواجهة غطرسة أمريكا والكيـان الصـهيوني، بحجـة أن الواقعية تفرض عليهم عدم المواجهة بسبب التفـاوت الشـديد في ميـزان القوى لصالح أمريكا والكيان الصهيوني، والدليل على ذاتية هذه الواقعيـة، أن السيد المظفر السيد حسن نصر الله (نصره تعالى على أعدائـه)، وهـو عـلى رأس حركة ولـيس عـلى رأس دولـة، اسـتطاع أن يحقـق مـن الانتصـارات

السياسية والعسكرية على الكيان الصهيوني وأمريكا، ما عجزت عن تحقيقه كل الحكومات والجيوش العربية، وآخر هـذه الانتصـارات قضـية الأسرى المتداولة حالياً على الساحة اللبنانية والفلسطينية والعربية والدولية؛ وذلـك لأنه يمتلـك التصـميم والإرادة السياسـية الفولاذيـة والشـجاعة لتحقيـق أهدافه المشروعة، ويمتلك الرؤية الواضـحة للأهـداف والمـنهج، والقـدرة على تحريك الأدوات في اللعبة والحركة، ولهذا نجـح في تحقيـق مـا عجـزت عـن تحقيقـه جميـع الحكومـات والجيـوش العربيـة، وهـذه هـي الواقعيـة الموضـوعية في مقابـل الواقعيـة الذاتيـة التـي تعـبر عـن ضـعف القيـادات وعجزها.

الإمام الحسين عليه السلام كلمة المعروف التامة [1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وأهل بيته الأصفياء الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

السلام عليك يا رسول الله، وعلى أهل بيتك الأمناء الممتحنين الصابرين الوارثين للأرض.

السلام عليك يا سيدي يا أبا عبد الله الحسين، يوم وُلدت، ويوم استشهدت، ويوم تُبعث حيا.

السلام على علي بن الحسين، وعلى أخت الحسين أم المصائب زينب، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين.

---

١. في مسجد الشيخ خلف ـ قرية النويدرات. اليوم: السبت بعد صلاة الظهرين. التاريخ: ٢٠/ صفر/ ١٤٢٨هـ. الموافق: ١٠/ مارس ـ آذار/ ٢٠٠٧م.

السلام على الإمام الحجة المهدي صاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، الآخذ بثأر الإمام الحسين في آخر الزمان والأيام.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

قال الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: «وأني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي؛ أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»[١].

أيها الأحبة الأعزاء، عنوان الكلمة: (الإمام الحسين: كلمة المعروف التامة). وقبل أن أدخل في صميم الكلمة، أرى بأنه من المناسب، ومن أجل الحصول على فائدة أكبر من الكلمة، أن أبيّن المراد من لفظي: "الكلمة" و "المعروف"، وبالتالي المراد من عنوان الكلمة.

---

١. البحار: ج٤٤ ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

أولا ـ المراد من "الكلمة"

الكلمة في اللغة تعني اللفظ الدال على معنى، وتطلق على الجملة كما تطلق على المفرد.

قول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ)[١].

وقد استخدم القرآن الكريم لفظ الكلمة بهذا المعنى اللغوي.

قول الله تعالى: (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[٢].

وقد نعت القرآن الكريم الكلمات ببعض الأوصاف، منها:

الوصف الأول

التمام والنقص: فقد وصف الله تبارك وتعالى كلماته بالتامات.

قال الله تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٢. سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[١].

ووصف كلمات الله جل جلاله بالتمام يعني أنها تكشف عن الواقع كما هو بالكمال والتمام، وأنها تتحقق في الخارج وتصدق بالصفة التامة المبينة بدون تبديل أو تغيير أو حتى تخلف جزء من أجزائها (لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ). أما تمام الكلمات التي تصدر عن الإنسان، فيكون بلباسها لبوس العمل، ووضعها موضع التطبيق، وإلا فهي ناقصة.

الوصف الثاني

الطيب والخبث: فقد وصف الله جل جلاله الكلمات بالطيب والخبث.

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ)[٢].

وطيب الكلام: هو ملاءمته لنفس سامعه ومتكلمه وانبساطهما له،

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

٢. سورة إبراهيم، الآية: ٢٤ ـ ٢٦.

وإفادته معنىً صحيحاً فيه سعادة النفس وفلاحها. وأطيب الكلمات وأعطرها وأنفسها ـ على هذا الأساس ـ هي الكلمات التي تعبر بشكل دقيق وصحيح عن العقائد الحقة الثابتة، وفي مقدمتها عقيدة التوحيد الخالصة.

وكلمة الله: تعني حكمه وإرادته وقضاؤه.

وكلمة التقوى: هي كلمة التوحيد والإخلاص.

وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الكلمة على الموجودات الخارجية كالإنسان مثلا.

قول الله تعالى: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَّ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)[١].

وقول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِّ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ)[٢].

ومن المعلوم أن الإنسان إنما يستخدم الكلمات للتعبير عما في نفسه من معانٍ ومقاصد، ويتواصل بها مع بني جنسه. ومن المعلوم أن الله جل جلاله لا

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

٢. سورة النساء، الآية: ١٧١.

يتكلم بلسان، فالمراد من قوله هو فعله وما يفيضه من وجود.

قول الله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[١].

وعليه تسمّى أفعال الله جل جلاله وإفاضاته كلمات لكونها آيات دالة عليه سبحانه وتعالى وعلى صفاته ووعده ووعيده دلالة ظاهرة لا خفاء فيها ولا بطلان ولا تغيير، كما تدل الكلمات في اللغة على معانيها الموضوعة لها بدقة تامة بالغة.

ثانيا ـ المراد من "المعروف"

المعروف في اللغة هو اسم للأعمال الصالحة التي فرضها الله تبارك وتعالى علينا، مثل: الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والجهاد، وصلة الرحم، وبر الوالدين، والصدق، والعدل، والعفة، والأمانة، ولكل ما هو حسن في نظر الشرع والعقل. وهو خلاف "المنكر" الذي هو اسم للأعمال القبيحة التي حرمها الله تبارك وتعالى علينا، مثل: الزنا، والربا، وشرب الخمر، والكذب، والظلم، والغيبة، والنميمة، والغدر، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والإساءة إلى الناس، ولكل ما

١. سورة النحل، الآية: ٤٠.

يقبّحه الشرع ويحرمه، وكل ما يحكم العقل البشري السليم بقبحه.

وعليه: فالمراد من العنوان (الإمام الحسين: كلمة المعروف التامة) أن الإمام الحسين هو التجسيد الحي الناصع الجلي الكامل المتحرك لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياته كلها التي ختمها بالشهادة العظيمة في كربلاء المقدسة على الحالة التي نعرفها جميعا، وهو قدوة المؤمنين في هذا السبيل العظيم.

بعد هذا التوضيح للمراد من لفظي (الكلمة، والمعروف)، ومن عنوان الكلمة، أدخل إلى صميم الحديث في الموضوع الذي أردت الحديث عنه في هذا اليوم العظيم الذي هو يوم الأربعين.

أيها الأحبة الأعزاء، لقد عنون الإمام الحسين عليه السلام حركته الإصلاحية وتضحياته العظيمة المتميزة ووقوفه المسلح الباسل في وجه الطاغية (يزيد بن معاوية) حتى نال شرف الشهادة بعنوان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وهذا يدعونا إلى الوقوف مليا على هذه الفريضة، ودراستها بجد وعمق، والسعي لإزالة كل لبس يمكن أن يعلق في ذهن أي منا حول هذه الفريضة العظيمة، وذلك بهدف أن نجعل إحياءنا لذكرى الإمام الحسين عليه السلام إحياء واقعيا صحيحا، وأن نتمكن من الاقتداء به والسير على نهجه القويم وطريقه المستقيم في الحياة بصورة صحيحة أيضا، حيث تتطلع

كافة الشعوب المضطهدة والمظلومة في العالم إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ لتقتبس من نورها المشرق في سماء التوحيد والحرية والعدل والكرامة والفضيلة، وترتوي من نبعها الصافي زلال العشق والمحبة والعدالة والسلام، **وسوف أجعل الحديث في نقاط بهدف جعل الحديث أكثر سلاسة وأسهل فهما.**

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

النقطة الأولى

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة إسلامية عظيمة فرضها الله عزّ وجلّ على المؤمنين فرض كفاية، بحسب الرأي الفقهي المشهور، وهناك قول لدى عدد من الفقهاء بأنها فرض عين، مثل: شيخ الطائفة الطوسي، والمحقق الحلي، وبعض فقهاء مدرسة الخلفاء. وسواء كانت الفريضة فرض كفاية أو فرض عين، فإن المسلمين مكلفون بأداء هذه الفريضة وتحقيق غرض الشارع المقدس بإقامة المعروف والقضاء على المنكر في المجتمع والدولة. إلا أن العمل على أساس القول بأنها فرض عين يوجب على جميع المسلمين المبادرة للقيام بأداء الفريضة حتى لو قام بأدائها من فيه الكفاية إلى أن يتحقق الغرض المطلوب شرعا، فيسقط حينئذ الوجوب. أما العمل على أساس القول بأنها فرض كفاية فلا يوجب المبادرة على جميع المسلمين للقيام

بأداء الفريضة، فيكفي قيام من فيه الكفاية إلا إذا عجز عن تحقيق الغرض فيتوجه التكليف إلى الجميع[١].

قال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «إن الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له».

فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟

قال: «الذي لا ينهى عن المنكر»[٢].

وقد كشفت النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال الفقهاء المستفيضة عن عناية الدين الإسلامي الحنيف بهذه الفريضة العظيمة العناية الفائقة المتميزة، فهي من أبرز سمات الرسالة الإسلامية العظيمة ومن أوضح معالمها.

يقول العلامة الطباطبائي

«يعتبر دين الإسلام هو الدين الوحيد الذي نفخ في جثمان الأمر

---

١. من الفقه السياسي في الإسلام، الظالمي: ص١١٤ ـ ١١٥.

٢. الوسائل: ج١١ ص٣٩٩.

بالمعروف والنهي عن المنكر كل ما يسعه من روح الحياة»[١]؛ وذلك لما لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تأثير مباشر في تحديد واقع حياة الأمة الإسلامية ومستقبلها، وصياغة شخصية الإنسان المسلم، وتحديد دوره وتأثيره في الحياة العامة والشأن العام في المجتمع والدولة الإسلامية، وهي دليل جلي على عظمة الإسلام وتقدمه في ميدان السياسة والتمدن والواقعية في الإدارة والبناء والتوجيه والقيادة.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أشرف الفرائض وأعظمها في الإسلام، بها تبلغ الرسالة وتقام الفرائض الإسلامية، وينتشر العدل وتنتشر الفضيلة في المجتمع والدولة، ويرشد الضال إلى الهدى والصراط المستقيم، وينمو الوعي لدى عامة الناس وخاصتهم، وتصان المجتمعات الإسلامية من الضلال والجهل والانحراف، وتصان الدولة من الظلم والاستبداد والفساد والتخلف والتبعية للاستعمار والقوى العظمى.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٢].

---

١. الميزان: ج٨ ص٢٩٤.

٢. سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وقال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله (عز وجل)، فمن نصرهما أعزه الله ومن خذلهما أذله الله»[٢].

وقال عليه السلام: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر»[٣].

وقد جعل الله تبارك وتعالى لممارسة هذه الفريضة شروطا في مقدمتها: العلم بالمعروف والمنكر؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والجاهل يفسد ولا يصلح، ويمكن أن تأتي نتائج عمل الجاهل على خلاف إرادته ونيته.

---

١. الوسائل: ج١١ ص٣٩٨.

٢. البحار: ج١٠٠ ص٧٥.

٣. الوسائل: ج١١ ص٣٩٥.

ولممارسة هذه الفريضة آداب في مقدمتها: الإخلاص في النية، واللطف والرحمة مع الناس في أداء الفريضة.

قال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به عالم بما ينهى عنه»[١].

وقد أوجب الله عزّ وجلّ على المؤمنين الاجتماع لأداء هذه الفريضة العظيمة إذا توقف القيام بها على اجتماعهم، كما أوجب الله جلّ جلاله على المؤمنين السعي لتوفير شروطها كسعي المصلين لتوفير شرط الطهارة من أجل أداء فريضة الصلاة؛ ليتحقق بذلك غرض الشارع المقدس ببناء مجتمع إسلامي ينتشر فيه الهدى والصلاح والفضيلة، وبناء دولة إسلامية تقوم على أساس التوحيد، ويحكم فيها أولياء الله بالعدل، وينعدم فيها البغي والضلال والتمييز بين المواطنين.

النقطة الثانية

أن ممارسة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم خصائص

---

١. البحار: ج١٠٠ ص٩٣.

القيادة الربانية والشخصية الإيمانية الرسالية المتبعة لها بحق وحقيقة، فلا يمكنهم أن يتخلفوا عن أداء هذه الفريضة بأي حال من الأحوال؛ لأنها من أول واجباتهم في الدعوة إلى الله جَلَّجَلَالُهُ وطاعته، وإقامة حكومته العادلة في الأرض.

قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[١].

وقال الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٢].

ويقابلهم المنافقون والكافرون الذين لهم موقف مغاير من فريضة المعروف والمنكر.

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

٢. سورة التوبة، الآية: ٧١.

قول الله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَّ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[١].

وقال الله تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)[٢].

كما يرتبط أداء هذه الفريضة بهوية الأمة الإسلامية بما هي أمة مسلمة حية فاعلة ومتميزة تعيش التوحيد قولا وعملا، فهي أمة مسلمة موحدة تدعو إلى الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجاهد في سبيل الله، وهي تفقد هويتها الإسلامية إذا تخلت عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تماما كما تفقد هويتها إذا تخلت عن الصلاة والصيام والحج والزكاة.

قال الله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

---

١. سورة التوبة، الآية: ٦٧.

٢. سورة المائدة، الآية: ٧٨ ـ ٧٩.

عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)[١].

قول الله تعالى: (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)[٢].

وإن الأمة الإسلامية مكلفة بزعامة القيادات الربانية، الأنبياء والأوصياء والفقهاء العدول، بإقامة دولة العدل الإلهي والأمة الصالحة في الأرض، ولا يمكن أن ينفك دور الأمة والقيادات الربانية عن هذه الغاية الربانية العظيمة.

قول الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[٣].

وقال الله تعالى: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[٤].

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٢. سورة الحج، الآية: ٤١.

٣. سورة الحديد، الآية: ٢٥.

٤. سورة النحل، الآية: ٩٠.

وقال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله : «إن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى، لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء»[١].

ولهذا لا يجوز أن تُحكم الأمة الإسلامية بغير النظام الإسلامي والقيادات الربانية المؤهلة للقيادة الإسلامية تأهيلا شاملا؛ لأن النظام والقيادة هما اللذان يطبقان الدستور الإلهي، ويعطيان للأمة الإسلامية هويتها وقيمتها الإنسانية والتاريخية، فهما اللذان يعطيان الأمة الإسلامية هوية التوحيد والصلاح، وهما السبيل لإقامة القسط والعدل وإعطاء كل ذي حق في المجتمع والدولة حقه المادي والمعنوي بدون تفرقة أو تمييز بين المواطنين. أما النظام غير الإسلامي والقيادات غير الربانية فإنهما يعطيان للأمة هوية الشرك والفساد، وهما السبيل لنشر الظلم والتمييز بين المواطنين وعدم إنصافهم في الحقوق والواجبات، فإذا سيطرت القيادات غير الربانية على المجتمع والدولة وحكمت بخلاف النظام الإسلامي، فإن من شأن ذلك أن يؤدي إلى فقدان المجتمع والدولة لهويتهما الإسلامية، وينتشر فيهما الظلم والفساد، وتضيع بذلك الغايات الربانية، وهذا خلاف الحكمة والمنطق.

---

١. ميزان الحكمة: ج٦ ص٢٦٦.

قال الله تعالى: (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ)[١].

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[٢].

وقال الله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا)[٣].

وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

٢. سورة النحل، الآية: ٣٦.

٣. سورة النساء، الآية: ٤١ ـ ٤٢.

الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ)[١].

وقال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «كيف ما تكونوا يولى عليكم».

فهويتنا وقيمتنا ومصيرنا في الدنيا والآخرة تتحدد بحسب نظام الحكم الذي نقبل به ونخضع إليه وبالحاكم القائم على النظام، ويعتبر القبول بولاية الكافر والحاكم الجائر خروجاً على حقيقة الإيمان، فلا يمكن للإنسان المؤمن بحق وحقيقة أن يقبل به إلا مرحليا لظروف اضطرارية،

وهنا تنبغي الإشارة إلى الأمور التالية:

الأمر الأول

أن الإنسان المؤمن قد يطالب مرحليا بالعدل الجزئي ويقبل به، إلا أنه لا يمكن إسلاميا أن ترفع اليد كليا عن التطلع إلى حكومة ولي الله وحكومة العدل الإلهي، ومن غير المقبول الانشغال التام والكلي بالأهداف المرحلية كالمطالبة بالعدل الجزئي من خلال الديمقراطية مثلا، وإهمال المطلب والتوجه الإستراتيجي المتمثل في حكومة ولي الله وحكومة العدل الإلهي ونسيانهما، فتضيع بذلك البوصلة لدى القيادة والجماهير، وتتحول الحالة

١. سورة هود، الآية: ٩٦ ـ ٩٩.

المرحلية إلى حالة دائمة، والعياذ بالله تعالى.

الأمر الثاني

لا يصح في جميع الأحوال تعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسكوت أمام المظاهر السلبية الخطيرة التي تمس أساس الدين وهوية الأمة وكرامة الإنسان، فينبغي التصدي للحاكم الجائر ومقاومة كل أشكال الظلم والاستبداد والتخلف والفساد وعدم القبول بذلك أبدا.

قال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «أفضل الجهاد كلمة عدل أمام سلطان جائر»[١].

النقطة الثالثة

الحديث السابق يجرنا إلى الحديث عن أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتعلق بشروطهما والحاجة إلى التضحية والفداء من أجل القيام بهما، وهما ينقسمان إلى قسمين:

القسم الأول

المعروف والمنكر اللذان يتعلقان بالأفراد، مثل: أداء الصلاة والصيام

---

١. الوسائل: ج١١ ص٤٠٠.

والحج والزكاة من المعروف، والزنا وشرب الخمر ولعب القمار من المنكر.

القسم الثاني

المعروف والمنكر اللذان يتعلقان بهوية الأمة الإسلامية، وفي مقدمتها: الدعوة إلى الله تعالى وإقامة الحكومة الإسلامية من المعروف، والدعوة إلى الكفر والعلمانية وحكومة الطاغوت من المنكر.

ومن الواضح الجلي: أن المعروف الذي خرج الإمام الحسين عليه السلام واستشهد من أجله ليس هو المتعلق بالأفراد وإنما هو المتعلق بهوية الأمة الإسلامية وهو الأهم. فالإمام الحسين عليه السلام لم يستشهد ليأمر يزيد بن معاوية بالصلاة وينهاه عن شرب الخمر، وإنما استشهد من أجل القضاء على حكومة الطاغوت وإقامة حكومة ولي الله والعدل الإلهي التي تصون هوية الأمة الإسلامية وكرامة الإنسان وتحفظ كامل حقوقه الطبيعية التي فطره الله جل جلاله عليها،

وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية على أمرين:

الأمر الأول

أن خروجه ضد (يزيد بن معاوية) واستشهاده في هذا السبيل، هو جوهر

الإصلاح الذين يمارسه كإمام وقائد رباني في الأرض تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر الثاني

أن الطريق الذي سلكه في السعي للإطاحة بحكم (يزيد بن معاوية) وإقامة حكومة ولي الله والعدل الإلهي، هو عينه الطريق الذي سلكه جده الرسول الأعظم الأكرم ﷺ، وأبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وشايعهما عليه أصحابهما الذين اهتدوا بهديهما وساروا على دربهما في الحياة، وهو الطريق الذي ينبغي أن يسلكه كل قائد إسلامي صادق في الحياة ويجب على كافة المؤمنين الصادقين اتباعه حتى يتحقق وعد الله الصادق في الأرض.

قال الله تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[1].

وقال الله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا)[2].

---

١. سورة القصص، الآية: ٥.

٢. سورة الطارق، الآية: ١٣ ـ ١٧.

وقال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم».

وقال صلى الله عليه وآله: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى تكون العامة تستطيع أن تُغير على الخاصة، فإذا لم تغير العامة على الخاصة عذّب الله العامة والخاصة»[2].

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى منكم سلطانا جائرا، مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهده، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقا على الله أن يدخله مدخله»[3].

وهذا يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصنف الثاني

---

١. ميزان الحكمة: ج٦ ص٢٦٣.

٢. كنز العمال: ج٣ ص٦٥ ح٥٥١٥.

٣. البحار: ج٤٤ ص٣٨٢.

يستحق أن يضحي الإنسان المؤمن بنفسه وماله وأعز ما يملك من أجله، فهذا ما فهمه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم المخلصون الصادقون وعملوا به، وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، فتسابقوا إلى التضحية والفداء والاستشهاد من أجل الوقوف في وجه الطواغيت للقضاء على الظلم والجور والضلال وإقامة الحق والعدل ونشر الحرية والفضيلة في المجتمعات الإسلامية. إلا أن بعض الضعفاء، وعلى خلاف المنهج الإسلامي العظيم وسيرة الطاهرين والأولياء الصالحين، وكسبيل لمغالطة النفس والكذب عليها، وللتهرب من المسؤولية الرسالية التي فرضها الله جل جلاله عليهم، نراهم يتشددون كثيرا في القسم الذي يتعلق بالأفراد، ويتجاهلون تماما القسم الذي يتعلق بنظام الحكم والحكومة، رغم أن القسم الثاني هو الأخطر على الدين والأمة في الدنيا والآخرة؛ وذلك لأن التشدد في القسم الأول الذي يتعلق بالأفراد لا يكلفهم شيئا من التضحيات، وهو مجال خصب للرياء وساحة سباق بين فرسانه أبطال المعارك الكلامية والحوقلة والاسترجاع، حيث لم تتشبع أرواحهم بالرغبة في التضحية والفداء في سبيل الله من أجل الدين وكرامة الإنسان وحقوقه الطبيعة في الحياة، أما التشدد في القسم الثاني فهو يحتاج إلى تضحيات كبيرة لا يُقدِم عليها إلا أهل الصدق والمعرفة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرؤون ويتنسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر، إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء وفساد عملهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلفهم في نفس ولا مال، ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها»[١].

ونتيجة لهذا السلوك الكاذب الجبان:

فقد عاشت الأمة الإسلامية قروناً متطاولة تحت حكم الطواغيت، وتشتت وتفرقت وتخلفت وأصبحت لقمة سائغة في فم أعدائها من الحكام المستبدين وقوى الاستكبار.

قال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «لتأمرُنّ بالمعروف وتنهوُنّ عن المنكر أو ليبعثنّ الله عليكم العجم فليضربنّ رقابكم وليكوننّ أشداء لا يفرون»[٢].

وهذا على خلاف الاقتداء الصحيح الصادق بالرسول الأعظم

١. الكافي: ج٥ ص٥٥.

٢. كنز العمال: ج٣ ص٧٧ ح٥٥٦٣.

الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام واتباع منهجهم والسير على خطاهم في الحياة، وهو خلاف الإحياء الصادق لذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام كل عام.

وهذا يقودنا ـ بحسب الحوارات القائمة ـ إلى الحديث عن اختلاف شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحاجة إلى التضحية في سبيل ممارستهما باختلاف طبيعتهما.

سؤل المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محسن الحكيم

لقد جاء في رسالتكم العملية في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «أن لا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر في النفس أو في العرض أو في المال»، ولقد رأينا جملة من المؤمنين الصالحين قد أمروا بمعروف ونهوا عن منكر ولاقوا ما لاقوه من قوى الشر والضلال، فهل أن عملهم هذا غير صحيح؟

فأجاب

«إن شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي ذكرها الفقهاء، إنما هي شرائط للنهي عن المنكرات المتعارفة كترك الصلاة وشرب الخمر وأكل أموال الناس ونحو ذلك، مما لا يمس أساس الدين وبيضة الإسلام، أما

المنكرات التي يخشى من وقوعها على أساس الدين، فيجب مكافحتها والتضحية في سبيل المحافظة على أصل الدين وأساسه بكل غالٍ ورخيص وبالنفس والنفيس، كما وجب الجهاد في كثير من الأعصار والأمصار حفظا لبيضة الإسلام وكيان الدين، وما قام به هؤلاء المؤمنون الصالحون من تضحيات وما لاقوه من قوى الشر والضلال من هذا النوع»[١].

والنتيجة

أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يتعلقان ببيضة الإسلام ونظام الحكم والحكومة والدعوة إلى الله عزّ وجلّ يستحقان من الإنسان المؤمن الصادق التضحية والفداء وبذل النفس والنفيس؛ دفاعا عن الإسلام الحنيف، وإقامةً لأحكامه وحكومة ولي الله والعدل الإلهي في الأرض، وللمحافظة على أساس الدين الحنيف.

النقطة الرابعة

أرغب في نهاية الحديث أن أتناول مسألة الدعوة إلى تجريد الموكب الحسيني من القضايا السياسية أو إدخالها فيه كجزء من رسالته العامة

---

١. من الفقه السياسي في الإسلام، الظالمي: ص١٢٤ ـ ١٢٥.

واهتماماته الأساسية في الحياة؛ وذلك لأن هذه المسألة أصبحت موضع نقاش وحوارات في هذه الأيام، ولاختصاصها بقيمة إحياء الذكرى ورسالة الموكب الحسيني وجوهر الاقتداء بالإمام المعصوم عليه السلام، ولتدخل الدوافع السياسية في البحث من أجل المحافظة على رسالة الموكب أو حرفه عنها وتعطيل دوره وتأثيره في الحياة العامة وتحويله إلى مجرد طقوس فارغة من المضمون الرسالي التي لا تغني ولا تسمن من جوع.

أيها الأحبة الأعزاء، إني أعتقد بأن الفهم الرسالي لثورة الإمام الحسين عليه السلام وإحياء ذكرى استشهاده والبكاء عليه، كما أراده الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، والفهم الصحيح للرسالة الإسلامية ومنهج الإسلام العظيم في الحياة الذي يجسده الإمام الحسين عليه السلام التجسيد الحي الكامل والاقتداء الصحيح بالإمام المعصوم عليه السلام، كل ذلك يفرض على المؤمنين الاهتمام بالقضايا السياسية وقضايا الشأن العام وإدخالها في أطروحات الموكب كجزء من رسالته واهتماماته الأساسية. وأعتقد أن تركيز الاهتمام على المصيبة في بُعدها المأساوي، وتجريد الموكب من الاهتمام بقضايا الشأن العام، يعني في الحقيقة تحويل قضية الإحياء إلى قضية شخصية وتجريدها من بعدها الثوري والرسالي، فهي في الحقيقة تصور لنا الإمام الحسين عليه السلام وكأنه مجرد إنسان

عظيم محترم قُتل بطريقة مأساوية بشعة، والمطلوب منا أن نجلس في مآتمنا نبكي عليه ليلا ونهارا حزنا وأسفا، وتتجاهل أن الشهادة في حقيقتها حياة وليست موتا، وأنها سمو ورفعة وصعود إلى أعلى عليّين، وأنها السبيل الذي يلجأ إليه المؤمنون الصادقون من أجل بعث الحياة في أمتهم من أجل عزتها وكرامتها ورفعتها في الدنيا والآخرة ومن أجل حماية عقيدتهم في وجه الأخطار التي تتهددها وتقف في وجهها، وأن الإمام الحسين عليه السلام هو قدوة المؤمنين الذي يحمل رسالة السماء العظيمة المقدسة الخالدة في الحياة ويحميها بنفسه، وقد استشهد من أجل تحقيق غرض الشارع المقدس المتمثل في إقامة حكومة ولي الله والعدل الإلهي في الأرض، وأنه حاضر معنا بذكرى شهادته يطلب منا ويناشدنا السير بصدق وإخلاص على نهجه وخطاه في الحياة من أجل تحقيق نفس الأهداف.

أيها الأحبة الأعزاء، إن الدعوة إلى تجريد الموكب من القضايا السياسية وقضايا الشأن العام هي في الحقيقة ـ بحسب فهمي وتقديري ـ انتصار لخط يزيد وللحكومات الدكتاتورية المستبدة وقوى الاستكبار العالمي، حيث إنها تؤدي إلى تقاعس الشعوب عن مقارعة ظلمهم والتخاذل عن نصرة أئمة الهدى لصدهم عن غيهم وبغيهم، وهذه الدعوة تدل إما على الجهل بحقيقة الإمامة والاقتداء وبأهداف الرسالة السماوية والموكب الحسيني، أو تدل

على الضعف عن تحمل مسؤولية الكلمة الرسالية أو على الخبث وسوء النية المبيتة.

يقول أحد الشهداء: «منذ نسينا الشهادة واتجهنا إلى مقابر الشهداء فقد أسلمنا رقابنا للموت الأسود».

أيها الأحبة الأعزاء، لقد مضى الإمام الحسين عليه السلام شهيدا، وهو من الأحياء الذين هم عند ربهم يرزقون في أعلى درجات عليّين في الجنة.

قال الله تعالى: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)[1]. وهو كشخص ليس في حاجة إلى بكائنا وحزننا الشخصي عليه، فهو في أعلى عليّين في الجنة، وإنما نحن الذين نحتاج إلى البكاء عليه؛ لكي نحيي ونمجد قيمه ومبادئه، ونكون من أتباعه بصدق وإخلاص من خلال السير على منهجه وخطاه في الحياة، والثورة ضد الظلم والطغيان من أجل شرفنا وعزتنا وكرامتنا ونهضتنا في الحياة، ومن أجل التغيير للأحسن وإقامة حكومة ولي الله والعدل الإلهي في

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٦٩ ـ ١٧١.

الأرض، لنصل من خلال ذلك إلى أعلى درجات الكمال الروحي والإنساني، ونسكن في أعلى غرف الجنة مع الإمام الحسين عليه السلام وجده وأبيه وأمه وأخيه والتسعة المعصومين من بنيه، ومع الصديقين والشهداء وحسُن أولئك رفيقا. وبدون هذا يفقد الإحياء قيمته الروحية والأخلاقية والإنسانية والرسالية، ونكون من أتباع الإمام الحسين عليه السلام بالاسم والصورة، ومن أتباع الطاغوت بالصدق والحقيقة، وتكون دعوة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام لإحياء ذكراه والبكاء عليه غير مبررة عقلا، وفاقدة لأية قيمة عليا، وهو أمر لا يقبله العقل والدين والوجدان.

وأرى في دعوة تجريد الموكب عن السياسة وقضايا الشأن العام بأنها بعيدة عن المنهج الإسلامي الحنيف الذي رسخه أهل البيت عليهم السلام، وهي وليدة عقلية تعيش العزلة عن الحياة وهموم الأمة، وتعيش الضعف في وجدانها الإسلامي وتوجهاتها واهتماماتها في الحياة، وهي عقلية بعيدة عن توجهات القرآن الكريم والحديث الشريف وسيرة الطاهرين من الأنبياء والأوصياء، وعباد الله الصالحين من المؤمنين، وهي لا تمثل في الحقيقة الدين الإسلامي الحنيف.

أيها الأحبة الأعزاء، لقد قال لنا الإمام الحسين عليه السلام، وأصحابه الذين

استشهدوا بين يديه، كيف ينبغي أن نعيش وندافع عن عقيدتنا وكرامتنا وحقوقنا، وكيف ينبغي أن نموت بعزة وشرف في ساحة النضال والجهاد، وبقي إما أن نعيش الضعف والأوهام التي لا تسمن ولا تغني من جوع، أو نمضي على ما مضى عليه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وإنه لا ينبغي لمن يؤمن بمنهج الإمام الحسين عليه السلام، ويقتدي به في حياته ويحيي ذكراه بصدق وإخلاص كل عام، أن يعيش الضعف والوهن والتخاذل والتراجع والإذلال في ظل أنظمة الظلم والجور والدكتاتورية والاستبداد والفساد، ويجب عليه أن يسعى على طريق الشهادة والتضحية والفداء في سبيل صناعة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لتكون قدوة العالم في الدين والدنيا، فامضوا - أيها الأحبة الأعزاء - على هذا الطريقِ طريقِ العزة والفلاح، لتفوزوا بشرف الدنيا والدين والآخرة.

قال الله تعالى: (وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[١].

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

حسين مني وأنا من حسين[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الغويّ الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين. السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام على فاطمة الزهراء سيدتي وسيدة نساء العالمين، السلام على خديجة الكبرى، السلام على الحسن والحسين، السلام على جميع الأوصياء ومصابيح الدجى وأعلام الهدى ومنار التقى والعروة الوثقى والحبل المتين والصراط المستقيم، السلام على الخلف الصالح الحجة بن الحسن العسكري (روحي وأرواح المؤمنين لتراب مقدمه الفداء)، السلام على العلماء والشهداء، السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة في الله ورحمة الله وبركاته.

روى الترمذي في صحيحه وابن ماجه في صحيحه أيضا عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب

---

١. نص الكلمة التي ألقاها الأستاذ بتاريخ ٢٧/ ذي الحجة/ ١٤٢١هـ الموافق ٢٣/ ٣/ ٢٠٠١م في مسجد الشيخ خلف في قرية النويدرات.

حسينا، حسين سبط من الأسباط». وروى البخاري في صحيحه، والحاكم في المستدرك، والتقي الهندي في كنز العمال، الحديث باختلاف يسير في بعض الألفاظ كقوله: «حسين مني وأنا منه»، أو ورد «حسين سبط من الأسباط»، أو «الحسن والحسين سبطان من الأسباط». هذا الحديث فيه من القراءة الأولية دلائل على مدى التلاحم والمحبة بين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام. ولكن هناك معنى أعمق في هذا الحديث يدل عليه قوله صلى الله عليه وآله: «وأنا من حسين». الذي يُفهم من الحديث «حسين مني»: حسين ولدي، حسين بضعة مني، ولكن ماذا نفهم من قوله صلى الله عليه وآله: «وأنا منه»؟ الذي يُفهم من «وأنا منه»، «وأنا من حسين» أن دعوة الحسين ودعوة الرسول صلى الله عليه وآله دعوة واحدة، إن رسالة الحسين ورسالة الرسول رسالة واحدة، يدل على هذا المعنى الأحاديث التي وردت فيها هذه اللفظة مثل حديث الرسول صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، فمنزلة الإمام علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله في التبليغ عن الله تماما كمنزلة هارون من موسى، فهارون وزير موسى ومبلغ عن الله، إلا أن الحديث وضع فارقا واحدا بين هارون والإمام علي بن أبي طالب «إلا أنه لا نبي بعدي»، فمكانة الإمام علي من رسول الله صلى الله عليه وآله في التبليغ عن الله تماما كمكانة هارون من موسى عليه السلام، إلا أن

علي بن أبي طالب ليس بنبي.

وفي حجة الوداع أيضا روى الترمذي نفسه والإمام أحمد وغيرهم من أئمة الحديث، رُوِي هذا الحديث عن الرسول ﷺ، وهو يخاطب عليا عليه السلام: «علي مني وأنا من علي لا يؤدي عني إلا أنا أو أنت». «علي مني» فيها هذا المعنى الذي أشار إلى منزلة الإمام علي عليه السلام من رسول الله ﷺ. «وهو منه» أي أن دعوة علي بن أبي طالب من دعوة رسول ﷺ، وأن الإمام علي يؤدي عن الله عز وجل ويبلغ بواسطة الرسول الأعظم ﷺ، فالإمام علي ليس بنبي ولا يوحى إليه ولكنه في منزلة يؤدي عن الله عز وجل.

وفي ضوء هذا نفهم آية التطهير (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[١]، فالإمام عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام ليسوا بأنبياء ولا يوحى إليهم، ولكنهم مطهرون من كل رجس ومعصومون، وهم يبلغون عن الله عز وجل بواسطة الرسول الأعظم ﷺ. نجد هذا المعنى بوضوح في آية أولي الأمر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ

١. سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

مِنكُمْ)[١]، قال: (أَطِيعُواْ اللّهَ)، ثم قال: (وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ)، فهناك إطاعة لله عز وجل متمثلة عن طريق القرآن الكريم، وهناك إطاعة للرسول صلى الله عليه وآله في بيان وتوضيح التفاصيل التي اشتمل عليها القرآن الكريم. هناك أشياء مجملة في القرآن الرسول صلى الله عليه وآله بيّنها في الحديث.

القرآن قال "أقيموا الصلاة" ولكن كيف نصلي؟ الرسول يبيّن لنا كيفية الصلاة. (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)[٢]، الله سبحانه وتعالى فرض علينا الصيام في القرآن، كيف نصوم؟ بيّنه الرسول. كذلك الحج وكذلك الكثير من الأحكام الشرعية، نجد الحكم بصورة مجملة في القرآن، ونجده بصورة مفصلة في الحديث الشريف. قال تعالى: (أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)، ولم يقل: "وأطيعوا أولي الأمر منكم"، لماذا؟ لأن إطاعة أولي الأمر من إطاعة الرسول، يؤدون عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو نقول يؤدون عن الله بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله، فالإمام لا يأتي بحكم جديد ولا ينسخ حكما سابقا، وإنما يؤدي ما بلّغه الله عز وجل إلى الرسول صلى الله عليه وآله.

---

١. سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

فالرسول الأعظم ﷺ حينما يقول: «حسين مني وأنا من حسين»، فمعناه الأولي التأكيد على التلاحم والمحبة بين الرسول الأعظم ﷺ والإمام الحسين عليه السلام. وهناك معنى أعمق هو أن دعوة الحسين ودعوة الرسول دعوة واحدة، هذا المعنى يصب في النقطة التي أثرتها في مناسبة سابقة وهي الفرق الرئيسي بين الشيعة وبقية الفرق الإسلامية. البعض يفهم أن الفرق: مَنْ يحكم بعد الرسول؛ هل هو الإمام علي عليه السلام أم أبي بكر؟ وقلنا بأن هذا الفهم غير صحيح، وإنما الفرق بين الشيعة وبقية الفرق الإسلامية هو: ممّن نأخذ الإسلام بعد الرسول ﷺ. الشيعة يقولون بعد الرسول نأخذ الإسلام من القرآن ومن أهل البيت عليهم السلام.

هذا ما يؤيده حديث الثقلين: «إني مُخَلِّفٌ فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض». وفي حديث آخر للرسول ﷺ: «... لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما»، فالتمسك بالقرآن وبأهل البيت عصمة من الضلال. الفرق الرئيسي بين الشيعة وبين بقية الفرق الإسلامية ليس حول من يحكم بعد رسول الله؛ لأن هذه مسألة زائلة، وإنما ممن نأخذ الإسلام بعد الرسول الأعظم ﷺ.

وبناء على هذا الفهم ننتقل إلى أهداف ثورة الحسين عليه السلام، فهناك هدفان رئيسيان لثورة الإمام الحسين عليه السلام:

الهدف الأول

هدف سياسي إصلاحي، بمعنى أن الإمام الحسين في ثورته المباركة أراد أن يقوم بعمل إصلاحي للدولة الإسلامية يتناسب مع عهده عليه السلام، فالإمام الحسين أراد بثورته أن يقوم بعمل إصلاحي في الدولة الإسلامية. هذا ما يتناسب مع الظروف السياسية القائمة على الأمر (ما خرجتُ أشرا ولا بطرا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

الهدف الثاني

هو هدف أسمى وأكبر من هذا الهدف ـ الأول ـ وهو الهدف الرسالي المتمثل في دعوة الأمة والرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام لأخذ الإسلام، فالإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين أعطوا الفرصة الكافية لخط الخلفاء وما نتج في هذا الخط.

على أن هذا الخط بدأه الخليفة الأول، ثم الخليفة الثاني، ثم الخليفة الثالث، ثم وصول معاوية بعد ذلك. والآن كانت النتيجة أن الإمام

الحسين عليه السلام في عهد يزيد قام بثورته لتنبيه الأمة إلى ضرورة وجود أهل البيت لأخذ الإسلام منهم، بعد ملاحظة ما انتهى إليه الخلفاء من إقرار وإيصال أمثال يزيد بن معاوية.

ولهذا نجد بأن الأئمة بعد الحسين ركزوا على أمرين:

الأمر الأول التركيز على ثورة الإمام الحسين عليه السلام لإقامة الحجة على الأمة ثم التبليغ للإسلام، ولذلك الإمام السجاد والباقر والصادق إلى الإمام المهدي عليه السلام ركزوا على التبليغ الإسلامي تبليغ العقائد والأحكام والأحاديث والمفاهيم الإسلامية، وأكدوا على ثورة الإمام الحسين عليه السلام وإقامة المأتم على الإمام الحسين لإقامة الحجة.

ماذا نعني بالموكب الحسيني؟

ونحن في هذه الأيام سوف نستقبل عاشوراء، وأرغب في إعطاء التعريف لهذا الموكب الحسيني، ماذا نعني بالموكب الحسيني؟ أرجو التأمل كثيرا في هذا التعريف:

الموكب الحسيني هو حركة الأمة التاريخية لقيادة بقيادة المعصوم أو نائبه لتحقيق ثورة الإمام الحسين عليه السلام. ويتضمن الموكب ثلاثة محاور محرِكة للأمة وهي: (المنبر الحسيني، والمسيرة العزائية، والزيارة). وهذه المحاور

كلها أو جميعها مؤسسة من قبل أهل البيت عليهم السلام، فالـذي أسـس المنـبر هـم أهل البيت عليهم السلام، والذين أسسوا للمسيرات العزائية هم أهل البيـت عليهم السلام، والذين أسسوا للزيارة هم أهل البيت عليهم السلام.

من خلال التأمل في هذا التعريف نجد أن الموكب الحسيني يركز على أمرين:

الأمر الأول

ترسيخ خط أهل البيت عليهم السلام، هذه أول رسالة يحملها الموكـب الحسـيني هو ترسيخ خط أهل البيت عليهم السلام في الأمة بوصفهم المرجع الذي نأخـذ منـه الإسلام الصحيح بعد الرسول صلى الله عليه وآله، والاقتداء بهـم: (لَقَـدْ كَـانَ لَكُـمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِـرَ)[١]، فالاقتـداء بأهـل البيت السبيل للحصـول عـلى التكامـل الروحـي أو المعنـوي، ومـن أجـل الحصول على السعادة في الدنيا والآخرة.

الأمر الثاني

الذي نحصل عليه من الموكب الحسـيني حسـب التعريـف السـابق هـو

١. سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

حركة الإسلام في المجتمع الإسلامي. عرفنا الموكب كحركة الأمة التاريخية لتحقيق أهداف ثورة الإمام الحسين، فالموكب يقود المجتمع نحو الله عز وجل ونحو إقامة دولة العدل الإلهية، والسير في الموكب هو السير في خط أهل البيت عليهم السلام، فنحن نقوم بتحريك أوضاع المجتمع، ونقود أوضاع المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية قيادة إسلامية بواسطة المفاهيم الإسلامية لترتقي تدريجيا بهذا المجتمع نحو الله عز وجل ونحو دولة العدل الإلهية.

إذن الموكب في كل زمان وفي كل مكان له أهداف إصلاحية في المجتمع، ومن خلال الموكب نعالج جميع قضايا المجتمع معالجة إسلامية. الهدف هو الارتقاء بهذا المجتمع نحو الإسلام ومبادئه وأهدافه التي تنتهي من عندنا على مستوى هذا الزمن؛ لإقامة الدولة الإسلامية، ثم في النهاية إلى عصر صاحب الزمان دولة العدل الإلهي العالمية.

ولهذا ينبغي أن نأخذ النقاط التالية بعين الاعتبار بممارساتنا وقيادتنا وإرادتنا للموكب الحسيني أو المواكب الحسينية:

النقطة الأولى

الالتزام بالأحكام الشرعية لجميع الممارسات الشعارية؛ الالتزام التام

والتدقيق للأحكام الشرعية في جميع الممارسات الموكبية، وألا نسمح لأنفسنا بإدخال أي ممارسة هي مخالفة للأحكام الشرعية؛ لأن بهذه الممارسة هي مصادرة لأهداف ورسالة الموكب.

النقطة الثانية

التعبير عن الصورة الحضارية المشرقة للإسلام، وفي مقدمة الأمور بهذا الجانب المحافظة على التلاحم والمحبة ووحدة الصف بين المؤمنين، وتجنب الفرقة والاختلاف، فاعلم يقينا بأن الحسين يجمع ولا يفرق «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»، فأي خلافات وأي منازعات باسم الحسين هي خلافات يرفضها الحسين، فالحسين يجمع ولا يفرق فعلينا أن نترفع على النوازع الذاتية والمصالح الشخصية ونبني أهداف الحسين عليه السلام، إلى جانب الاهتمام بالجوانب الأخرى مثل النظافة وتنظيم الموكب، ففي الشعائر الحسينية، سواء كانت في المنابر أو في المآتم أو في المواكب الحسينية وفي أي ممارسة شعائرية، يجب أن يكون هناك اهتمام بالنظافة والنظام وما شابه ذلك.

بعض الأخوة الأعزاء فيما يتعلق بموكب النويدرات - وهذه الملاحظات موجودة حتى في المواكب الأخرى - يشيرون إلى الأشخاص الذين يمشون خلف الموكب وأمام الموكب، هؤلاء ينبغي عليهم أن ينتظموا

في الموكب، يجب أن يهتموا بهذا الجانب لإضفاء الهيبة التي تتناسب مع الموكب الحسيني. تصور لو أن الحسين عليه السلام شخصيا سائر في الموكب، كيف يكون هذا الموكب؟! كيف تكون هيبة هذا الموكب ووقاره؟! ينبغي أن نحافظ على هيبة ووقار الموكب الحسيني، وعلى المنظمين أن يهتموا بذلك.

هذا بالإضافة إلى تنظيف الموكب من كل ممارسة تشين بالموكب أو تسيء إلى الموكب، وتسيء إلى أهل البيت وشيعتهم، وتسيء إلى الشعائر، ومن المسائل التي تثار في الوقت الحاضر مسألة التطبير. مسألة التطبير فيها إهانة كبيرة للموكب الحسيني وإلى الشعائر الدينية وإلى أهل البيت وإلى شيعتهم، فلو افترضنا وجود شخص واحد مصاب بمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) في هذا الموكب وفي التطبير، فيمكن أن ينتقل هذا المرض في وقت واحد إلى عشرات الأشخاص، وكذلك الأمراض الفيروسية الأخرى، فلو أن ثمة شخصاً من المطبرين مصابٌ بمرض معدٍ كالتهاب الكبد الوبائي فسيتتقل عدوى هذا المرض مباشرة إلى أشخاص آخرين.

هذا جانب، ومن جانب آخر، الآن لا يوجد أحد من الفقهاء يقول بأن التطبير واجب، وإنما البعض يقول بأنه جائز، وأعلى مستوى أو أكثر شيء يرتقي في هذا الجانب أنه مستحب، فلا أحد يقول بأنه واجب، وإنما هو

جائز. ولنفترض جدلا بأن من يقول بأنه جائز في مقابل من الفقهاء من يقول أنه محرم، فإذا وثقنا من هذين القولين الاستحباب والحرمة فالإنسان الذي يتعبد إلى الله ويخلص إلى الله عز وجل ماذا يفعل؟ هناك عمل من الأعمال يقول عنه البعض أنه مستحب، وهناك من يقول أنه محرم، أيفعل أم يترك؟! الإنسان الذي يخلص إلى الله في العبادة يفعل هذا الشيء أم يتركه؟

النقطة الثالثة

إن هناك فتوى من السيد علي الخامنئي، يقول بحرمة هذا العمل، ونحن سواء اتفقنا فقهيا أو فكريا أو سياسيا مع الإمام علي الخامنئي أو اختلفنا معه، فهو اليوم يمثل رمزا سياسيا على الساحة الدولية وكسر شوكة السيد علي الخامنئي هو كسر لشوكة الإسلام، ويؤثر تأثيرا سلبيا وضارا على مكانة الإسلام في الأرض وعلى عزة الإسلام أيضا.

وكل إنسان مؤمن مخلص لله عز وجل ينأى بنفسه عن ذلك سواء اتفق مع السيد علي الخامنئي أم خالفه فقهيا أو سياسيا أو فكريا. أرجو أن تؤخذ هذا المسألة بعين الاعتبار. وهذا النقطة جاءت فيما يتعلق بالمحافظة أو التعبير عن الصورة المشرقة للإسلام، ومنها التطبير لأنه لا يتناسب مع الصورة الحضارية المشرقة للإسلام، بالإضافة إلى الجوانب الأخرى التي ذكرتها.

من جهة أخرى، ينبغي على الإخوة المؤمنين المشاركة في المواكب العزائية أو المسيرات الحسينية عموما والابتعاد عن رفع أي شعار وأي ممارسة تضر بالإصلاحات الحالية المباركة في البلاد. الآن نعيش في مرحلة الإصلاحات، والمطلوب منا ترسيخ هذه الإصلاحات ودفعها للأمام، والمطلوب من كافة المؤمنين تجنب كل ممارسة من شأنها أن تضر بهذه الإصلاحات، ورفض كل شعار يضر بهذه الإصلاحات، كما نتمنى أن يكون لهذه الشعائر حضور في وسائل الإعلام المحلية (التلفزيون أو الراديو أو الصحف)، وقد تكلمنا في هذا الشأن مع ولي العهد، وأكد بأن هذه المسالة سوف تؤخذ بعين الاعتبار، فنرجو أن يكون احترام لهذه الشعائر، وأن يكون لها حضور قوي في وسائل الإعلام المحلية.

النقطة الأخيرة

نرجو من الإخوة الخطباء إلى جانب اهتمامهم بالحديث أو البحث في العقائد والفقه والأخلاق الإسلامية وبحث السيرة الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام، أن يهتموا بالقضايا المحلية، القضايا الاجتماعية، سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية، مع التأكيد على أن تكون المعالجة معالجة علمية، وليست معالجة الجهل التي تقوم على مفاهيم غير دقيقة ومعالجات غير علمية، فعلى الخطباء ألا يثيروا أي مسألة من المسائل دون أن يرجعوا إلى

أهل الاختصاص أو يقرءوا في الكتب المختصة قبل أن يبحثوا في هذا المسائل. لا تعالج هذه المسائل ومسائل الساحة معالجة سطحية أو معالجة ساذجة فجَّة، ويجب أن تكون هذه المعالجة معالجة علمية دقيقة؛ لأن المعالجة الفجَّة تسيء إلى الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر، ونحن نعيش منافسة حقيقية في هذا الجانب.

وبهذه المناسبة أتقدم لكل أخ قادر على العطاء أن يقدم رؤيته إذا كانت رؤيته تخدم المشروع الإسلامي للعمل الوطني أو البرنامج السياسي، وكل من له القدرة على العطاء في هذا الجانب يستطيع أن يقدم رأيه، وإن شاء الله نستقبل منكم آراء كثيرة جدا، وأن تكون لكم مشاركة قوية في هذا الجانب، (أكرر) كل من يحب وله القدرة على العطاء والمشاركة فعليه أن يتقدم بما عنده، سواء كان للمشروع الإسلامي للعمل الوطني أو البرنامج السياسي.

وفي الختام، أذكّركم بأنه في يوم السبت القادم في الساعة الثالثة والنصف وحتى الساعة الخامسة سوف يكون هناك مهرجان شعبي (مهرجان حوار الشعبي)، الذي دعا إليه أصحاب المبادرة وسوف يكون هذا المهرجان بساحة نادي سترة في منطقة (أبو العيش)، ونرجو أن يكون هناك حضور كثيف ومبارك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مسألتان من سيرة الإمام السجاد عليه السلام[1]

أعوذ بـالله السـميع العلـيم، مـن شر نفسيـ الأمـارة بالسـوء، ومـن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وأهل بيته الطيبين الطـاهرين، وأصحابه المنتجبين الأخيار.

السلام عليكم أيها الأحبـة، أيهـا الإخـوة والأخـوات في الله، ورحمـة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني والتبريك إلى مقام إمامنا وسـيدنا وشـفيع ذنوبنا الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنـا لـتراب مقدمـه الفـداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها ـ لاسـيما ولي أمـر المسـلمين – وإلى كافـة المـؤمنين والمؤمنـات، والمسـلمين والمسـلمات، في مشـارق الأرض

---

١. بمناسبة مواليد أبطال كربلاء عليهم السلام. المكان (١): مأتم أنصـار الحسـين عليه السلام – الـبلاد القـديم. التاريخ: ٤/ شعبان/ ١٤٣١هـ. الموافق: ١٧/ يوليو ـ حزيران/ ٢٠١٠م. المكان (٢): مسجد أبو طالب ـ مدينة حمد. التاريخ: ٦/ شعبان/ ١٤٣١هـ. الموافق: ١٩/ يوليو ـ حزيران/ ٢٠١٠م.

ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة الأعزاء بمناسبة الذكرى السنوية الميمونة لمواليد أبطال كربلاء عليه السلام.

أيها الأحبة الأعزاء، حديثي لهذه الليلة من المناسبة يدور حول الإمام السجاد عليه السلام....

نبذة عن الإمام السجاد عليه السلام

الإمام السجاد عليه السلام هو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الاثني عشر عليه السلام، وقد ولد في الكوفة، بتاريخ: (٥/ شعبان/ ٣٨هـ)، في زمن خلافة جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أي: قبل سنتين من شهادته غيلة على يد أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بتاريخ: (٢١/ رمضان/ ٤٠هـ)، وقد سجد جده أمير المؤمنين لولادته شكرا لله تبارك وتعالى، وسماه عليا.

وقد تولى الإمام السجاد عليه السلام زمام الإمامة في يوم الجمعة، بتاريخ: (١٠/ محرم/ ٦١هـ)، بعد شهادة سيد الشهداء أبيه الإمام الحسين عليه السلام مظلوما عطشانا في كربلاء، وكان عمر الإمام السجاد عليه السلام يوم توليه الإمامة (٢٢ سنة)، ودامت إمامته لمدة (٣٤ سنة)، حيث استشهد مسموما في المدينة المنورة على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان،

بتاريخ: (٢٥/ محرم/ ٩٥هـ).

وبهذه المناسبة سوف أتحدث عن مسألتين من سيرة الإمام السجاد عليه السلام:

المسألة (١) نجاته من القتل في كربلاء

من المعلوم أن الإمام السجاد عليه السلام كان مريضا مرضا أقعده عن القتال في كربلاء، وكان ذلك هو الحجة الشرعية الظاهرة لعدم مشاركته في القتال لنصرة أبيه الإمام المظلوم الحسين بن علي؛ قول الله تعالى: (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1]، والعلة الظاهرة لنجاته من القتل، إلا أن وراء نجاته من القتل علة كبرى، وهي أرادة الله العليا التي تعلقت ببقائه وذلك لتوقف بقاء الرسالة التي تكفل الله عز وجل ببقائها ووصولها للناس كما أنزلها على بقائه عليه السلام، فقد تكفل الله عز وجل ببقاء الرسالة، قول الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[2]، وبقاء الرسالة متوقف على بقائه عليه السلام، فهو الإمام الحامل للرسالة والحافظ لها بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام، وهو السبيل الوحيد الباقي بعد فاجعة كربلاء لبقاء نسل الإمام

---

١. سورة التوبة، الآية: ٩١.

٢. سورة الحجر، الآية: ٩.

الحسين عليه السلام، ومنهم الأئمة الأطهار عليهم السلام، فمـن المعلـوم: أن الأئمـة التسـعة المتبقين بعد الإمام الحسين عليه السلام هم جميعا من نسله، وقد قتـل في كـربلاء جميـع أولاد الإمـام الحسـين عليه السلام، ولم يبـق مـنهم إلا الإمـام السـجاد عليه السلام، ففيـه انحصر نسل الإمام الحسين عليه السلام من الأئمة ومن سواهم. وقد كانـت أسـباب الموت القريبة والشديدة تخفُق فوق رأس الإمام السجاد عليه السلام، وتحـف بـه مـن كل جانب وصوب في كربلاء أثناء الفاجعـة وفي الكوفـة والشـام أثنـاء الأسر، وقد شمل القتل في كربلاء حتى بعض الأطفـال مـن آل الحسـين عليه السلام، إلا إن إرادة الله عز وجل تعلقت ببقاء الإمام علي بـن الحسـين السـجاد، فلـو اجتمـع أهل الدنيا كلهم جميعا على أن يقتلوا الإمام السجاد عليه السلام لما استطاعوا قتله ولـو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فإرادة الله عز وجل التي تعلقت ببقائه لا تقهـر ولا تغلب ولا بأي حال من الأحوال، قول الله تعالى: (كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[١].

والدرس

أن لله عز وجل إرادة نافذة لا تقهر ولا تغلب في تـدبير المسـيرة التاريخيـة للإنسان، وأن هذه المسيرة سوف تنتهي حتما للنتائج التي يريـدها الله تبـارك

---

١. سورة المجادلة، الآية: ٢١.

وتعالى بدون أن يعطل ذلك ملكة الاختيـار لـدى الإنسـان أو يعطـل دوره ومسؤوليته في حمل الرسالة والدفاع عن الحق والحقوق، حيث تكفل الله عز وجل بأن يقيّض لحمل الرسالة أناساً شرفاء صادقين يكونون في نصرة الحق والعدل والخير والفضيلة دائما وأبدا، فإن لم نكن نحن فسوف يكون غيرنـا، قول الله تعالى: (وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[١]، فعلى كل إنسان أن ينظر لنفسه ويحدد موقعه مـن هـذه الإرادة الربانية القاهرة:

فإما أن يكون معها وفي صفوف أناسها فيكون من الفائزين.

أو يكون ضدها وخارج صفوف أناسها فيكون من الخاسرين.

وقد ورد ضمن الدعاء المأثور للقائم الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف المروي عن الإمـام الرضا عليه السلام قوله: «واجعلنا ممن تنتصر به لـدينك وتعـز بـه نصرـوليـك، ولا تستبدل بنا غيرنا فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير وهو علينا كثير»[٢].

---

١. سورة محمد، الآية: ٣٨.

٢. مفاتيح الجنان: ص٧١٢.

المسألة (٢) خصوصية دوره عليه السلام

الإمام السجاد عليه السلام هو الإمام الرابع من الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، وقد سبق القول أن ولادته عليه السلام كانت في الكوفة في زمن خلافة جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو أول إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يكن موجودا في عصر النبوة، فالأئمة الذين سبقوه: (الإمام علي بن أبي طالب، والإمام الحسن بن علي، والإمام الحسين بن علي) كانوا جميعا موجودين في زمن النبوة، وقد قال فيهم الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله الكثير من الأحاديث الشريفة التي تُعرّف الناس بمنزلتهم عند الله تبارك وتعالى، وبموقعهم القيادي كأئمة للمسلمين، وقد أحاطتهم تلك الأحاديث بهالة قدسية لدى المسلمين جميعا، ولم تكن للإمام السجاد عليه السلام في أول عهده بالإمامة مثل تلك الهالة من القدسية، وكان ذلك يمثل له تحديا في ممارسة دوره الرسالي كإمام في الأمة الإسلامية.

كما واجه الإمام السجاد عليه السلام تحدياً آخر، حيث إن إمامته جاءت بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام بشكل مروّع في كربلاء، وبروز الشعور بالذنب والغضب لدى المسلمين، والحاجة إلى الانتقام من قتلته والتكفير عن ذنب خذلانه والتقصير في نصرته، وهذا يتطلب مواقف ثورية من الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة النظام الأموي الباغي.

وفي الوقت نفسه:

فإن خطة عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في التبليغ بالرسالة وتصحيح مسار الأمة، تقتضي انتقال عملهم بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام من المواجهة العسكرية إلى العمل الفكري والسياسي وبناء الكيان المؤمن (كيان التشيع)،

وبالتالي فإن الإمام السجاد عليه السلام كان أمام مهمتين تسيران في اتجاهين متعاكسين:

- الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يتطلب مواجهة عسكرية.
- انتقال عمل الأئمة عليهم السلام من المواجهة العسكرية إلى مرحلة العمل الفكري والسياسي وبناء الكيان المؤمن.

وقد نجح الإمام السجاد عليه السلام في السير المتوازن جدا بحكمة بالغة على الحد الحاد والدقيق في الإدارة السياسية للملفات الساخنة والمواقف المطلوبة سياسيا ودينيا.

فسمح لحركات الانتقام والثورة في الانطلاق بدون إعاقة، والانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وتصفية جميع زعمائهم المجرمين، والتمهيد لسقوط النظام الأموي الباغي، فكانت ثورة المدينة بقيادة عبد الله بن

حنظلة الأنصاري في العام (٦٣هـ)، وثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي في العام (٦٥هـ)، وثورة المختار الثقفي في العام (٦٦هـ)، وغيرهم.

وسار هو مع بعض أصحابه بكفاءة منقطعة النظير في العمل الفكري والسياسي، وبناء الكيان المؤمن، والمحافظة على المثلية الحقيقية للرسالة وعملها على المدى البعيد للرسالة، وتصحيح الأوضاع العامة في الأمة الإسلامية.

وقد نجحت خطط الإمام السجاد عليه السلام وسياساته في كسب ثقة العامة والخاصة من أبناء الأمة، فغرس فيهم الولاء العميق والواعي لخط الإمامة، وظهرت له في الأمة قدسية ضخمة لا تقل عن القدسية التي كانت للأئمة المعصومين الذين سبقوه من أهل البيت عليهم السلام، وهم: (الإمام علي بن أبي طالب، والإمام الحسن بن علي، والإمام الحسين بن علي)، وحظي في وسط الأمة بولاء جماهيري واسع النطاق، والدليل على ذلك ما حصل في البيت الحرام مع الزعيم الأموي هشام بن عبد الملك، فقد روى المؤرخون أن هشام بن عبد الملك بن مروان، حضر في أحد مواسم الحج، وقد حاول أن يستلم الحجر الأسود، فلم يستطع لزحمة الحجيج، فأمر مرافقيه من أهل الشام أن يُحضروا له منبرا ليجلس عليه حتى تحين فرصة يقل فيها تدفق

الحجيج فيستلم الحجر، وبينما هو جالسٌ ومرافقوه محيطون به بالقرب من الكعبة الشريفة، إذ أقبل الإمام السجاد عليه السلام يسير على سكينة ووقار، فطاف حول البيت حتى بلغ الحجر الأسود، فانفرج الناس إجلالا له، فاستلم الحجر في يسر وسهولة، وأدى منسكه - وهذا يدل على عمق تأثير الإمام السجاد في الأمة وصلتها غير الاعتيادية به - مما أذهل الشاميين المرافقين لهشام بن عبد الملك، فسألوه من يكون هذا الذي انفرج له الناس إجلالا ليستلم الحجر الأسود ويؤدي منسكه ولم ينفرجوا لك وأنت الزعيم الأموي الكبير؟ فأجاب بأنه لا يعرفه!! وكان الشاعر المعروف (الفرزدق) حاضرا، وكان من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، فقال: أنا أعرفه، فطلب الشاميون تعريفهم به، فأنشد قصيدته المعروفة التي قال فيها:

هذا الذي تَعرِفُ البطحاءُ وطأَتَهُ ... والبيتُ يَعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَهُ ... بجدِّهِ أنبياءُ الله قد خُتموا
هذا ابنُ خيرِ عِبَادِ الله كلِّهِمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
وليس قولُكَ مَن هذا بضائرِهِ ... العُربُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ والعَجَمُ
إذا رأتْهُ قُرَيشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إلى مَكَارِمِ هذا يَنتَهِي الكَرَمُ

وقد قُبض على الفرزدق بعد هذه القصيدة وحبس في عسفان بين مكة

والمدينة.

والدرس

أن نميز بين القيادة الشجاعة التي تمتلك رؤية واضحة في العمل وتسير بوعي كامل على هديها، وبالتالي تستطيع الاستجابة الواقعية المناسبة لمقتضيات الرسالة والساحة، وبين القيادة الضعيفة أو القيادة التي ليس لها رؤية واضحة فتتخبط في العمل ذات اليمين وذات الشمال ولا تدري ماذا تفعل، أو تستجيب للحوادث استجابة انفعالية، وبالتالي لا تستطيع أن تستجيب الاستجابة الواقعية المناسبة لمقتضيات الرسالة وساحة العمل..

إما بسبب الضعف.

أو بسبب فقدان الرؤية الواضحة.

أو بسببهما معا.

أو الوقوع تحت تأثير الانفعال ونحوه.

خطأ يتداوله بعض المؤمنين

وفي ختام الحديث عن الإمام السجاد عليه السلام، أرغب في التنبيه إلى خطأ يتداوله بعض المؤمنين، وهو القول بتعايش بعض الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، مثل: الإمام الحسن، والإمام السجاد، والإمام الباقر، والإمام

الصادق عليه السلام مع الظلم والظالمين، وذلك لتبرير سلوك سياسي ما، فهذا القول ـ بحسب فهمي ـ لا يستند ـ مع حسن النية ـ إلى فهم صائب لحقيقة الإمامة، ودور الأئمة عليهم السلام في الحياة، وصاحبه يفتقر إلى البصيرة الكاشفة عن الحقائق في موضوع البحث، فجميع الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام هم القيادة العليا لمشروع السماء لهداية الأرض، وإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهداية، فهم قادة إصلاح ومواجهة لكافة أشكال الباطل والظلم والفساد والشر والرذيلة، وهم قادة بناء حضارة الخلافة الإلهية للإنسان على وجه الأرض، وذلك على أنقاض حضارات الفساد والطاغوت، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[١]، فلا أحد من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين يركن إلى الظلم والظالمين، لأنه ركون إلى غير الله عز وجل، وإلى غير الحق، وهو من الجهل والضلال، وعاقبته النار.

---

١. سورة هود، الآية: ١١٣.

من حياة الإمام السجاد عليه السلام[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي ـ الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد طرفة عين أبدا في الدنيا والآخرة يا كريم.

اللهم معهم.. معهم، لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني وأطيبها إلى مقام إمامنا ومولانا وسيدنا

---

١. بمناسبة مولد أبطال كربلاء عليهم السلام، وتكريم طلبة الدروس الصيفية، في مدينة سترة/ مركوبان ـ مأتم آل رضي. اليوم: مساء الثلاثاء ـ ليلة الأربعاء. التاريخ: ٤/ شعبان/ ١٤٢٧هـ. الموافق: ٢٩/ أغسطس ـ آب/ ٢٠٠٦م.

وشفيع ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى كافة المؤمنين والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة الأعزاء، بمناسبة الذكرى السنوية المباركة للمولد السعيد لأبطال كربلاء عليهم السلام.

أيها الأحبة الأعزاء، لقد اخترت أن يكون حديثي في هذه الليلة المباركة حول الإمام السجاد من بين أبطال كربلاء عليهم السلام الذين نحتفل بذكرى مولدهم المبارك في هذه الليلة العظيمة، وهم: الإمام الحسين، والإمام السجاد، وأبو الفضل العباس، وعلي الأكبر عليهم السلام.

نبذة عن الإمام السجاد عليه السلام

الإمام السجاد عليه السلام: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو الإمام الرابع في سلسلة أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، وهو أول إمام لم يكن موجودا على عهد الرسول الأعظم الكرم صلى الله عليه وآله، فقد سبقه في الإمامة: جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعمه الحسن بن علي بن أبي طالب، وأبوه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وقد ولد الإمام السجاد عليه السلام في المدينة المنورة في زمن خلافة جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بتاريخ: (٥/ شعبان/ ٣٨هـ)، أي أنه عاش مع جده أمير المؤمنين

(سنتين فقط) حيث كانت شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بتاريخ: (٢١/ رمضان/ ٤٠هـ) وتولى الإمام السجاد عليه السلام زمام الإمامة بعد شهادة والده الإمام الحسين عليه السلام بتاريخ: (١٠/ محرم/ ٦١هـ) وله من العمر (٢٣ سنة)، وكان عليه السلام حاضرا في كربلاء، إلا أنه لم يُستشهد لأنه لم يقاتل بسبب المرض، وقد حفظه الله جل جلاله من الأعداء رغم محاولاتهم المتكررة لقتله، وهنا ينبغي أن تعلموا: بأن الدنيا لو اجتمعت كلها لقتل الإمام السجاد عليه السلام في كربلاء فلن تستطيع؛ لأن بقاء الدين الحنيف واستمراره يتوقف على وجوده، وهكذا كان الحال بالنسبة إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على عهد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله ونفس الحال بالنسبة إلى ولده الإمام الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، فلو اجتمعت مخابرات الدنيا كلها لكشفه والقضاء عليه لفشلت؛ لأن بقاء الدين وتحقيق الوعد الإلهي متوقف على وجوده وسلامته. فإذا عجزت الأسباب الطبيعية عن حفظه، فإن الله جل جلاله يتدخل عن طريق الإعجاز لحفظه وسلامته، كما يدل على ذلك العقل والنصوص القرآنية. وقد استشهد الإمام السجاد عليه السلام بتاريخ (٢٥/ محرم/ ٩٥ هـ) بعد أن دسّ له الوليد بن عبد الملك السم في طعامه بواسطة أخيه سليمان وله من العمر (٥٧ سنة)، ودفن في البقيع إلى جانب قبر عمّه الإمام الحسن بن علي عليه السلام،

فكانت مدة إمامته (٣٤ سنة).

وقد واجهت الإمام السجاد عليه السلام في إمامته ثلاثة تحديات أساسية، وهي:

التحدي الأول ـ إثبات مكانته كإمام

حيث كان أول إمام لم يكن موجودا على عهد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وبالتالي لم تعرف له تلك الكارزمية التي عرفت للأئمة الثلاثة الذين سبقوه، وهم: جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعمه الحسن بن علي بن أبي طالب، وأبوه الحسين بن علي بن أبي طالب، حيث قال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله فيهم الكثير من الأحاديث الشريفة التي تبين فضلهم ومنزلتهم، وكان يتصرف معهم بصورة متميزة تدل على مكانتهم ومنزلتهم عند الله جل جلاله ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله، فكانوا معروفين بفضلهم ومنزلتهم لدى الصحابة، وانتقل ذلك التراث من السنة النبوية: القولية والفعلية إلى التابعين، وبقي خالدا لدى المسلمين إلى وقتنا الحاضر. وقد تطلب ذلك من الإمام السجاد عليه السلام أن يثبت مكانته التي تضعه في مصاف من سبقه من الأئمة عليهم السلام.

أضف إلى ذلك: أن الإمام السجاد عليه السلام واجه تحديا خطيرا، فقد جاء بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وكان مطالبا بالمحافظة على وهجها بين

المسلمين، وفي الوقت ذاته كان مطالبا، بحسب إستراتيجية عمل الأئمة عليهم السلام، بالانتقال إلى مرحلة جديدة تقوم على أساس النشاط العلمي والتربوي والاجتماعي والعمل السياسي السلمي، بعيدا عن العمل الثوري والمواجهة العسكرية، والتوفيق بين الأمرين يحتاج إلى براعة سياسية وحركية وإدارية فائقة لا تتأتى لكل أحد.

وقد نجح الإمام السجاد عليه السلام فعلا في إثبات جدارته واستحقاقه لمنصب الإمامة، وفرض وجوده العلمي والمعنوي والاجتماعي والسياسي على كافة الأصعدة: على النخبة من الصحابة والفقهاء والمفكرين، وعلى الجماهير الإسلامية، وعلى النخبة السياسية من الرسميين والمعارضين، فقد رأوا فيه من الناحية المعنوية: التجسيد الحي لقيم الإسلام، وبحسب الكفاءة: الامتداد القيادي والرسالي المشرق لجده الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله فقد امتاز عليه السلام بقوة الشخصية وبُعد النظر وحسن القيادة والإدارة والتصرف، ولم يعرف في زمانه من يضارعه أو يجاريه في علمه وحكمته وحسن تدبيره وورعه وتقواه وشدة إنابته إلى الله (ذي الجلال والإكرام)، وقد حكت سيرته سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فقد شابه المسيح عليه السلام في زهده وإنابته إلى الله (ذي الجلال والإكرام)، وشابه النبي أيوب عليه السلام في بلواه وصبره، وشابه الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله في علمه

وسمو أخلاقه وقوة شكيمته.

وكان له الدور الكبير في إنارة الفكر الإسلامي بشتى العلوم والمعارف الإسلامية. فقد بدأ بعد واقعة كربلاء العظيمة وعودته إلى المدينة المنورة في إقامة حلقات الدرس بشكل يومي في مسجد الرسول العظم الأكرم ﷺ، وأقبل الناس بلهفة على طلب العلم ودراسته، وكان الجمهور الأعظم من تلامذته من القرّاء (أي حملة القرآن والحديث) الذين أخذ يحدثهم بصنوف المعرفة الإسلامية، ويفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين عليهم السلام في الحديث والفقه والتفسير وعلم الكلام والفلسفة والعرفان والتربية والاجتماع والسياسة والأخلاق.

وقد تخرّج على يديه عدد كبير من القيادات العلمية من الفقهاء والعلماء والمفكرين والمربين الذين تحرروا من قيود السلطة الغاشمة وهيمنتها الفكرية والروحية والسياسية، وعملوا باستقلالية أو من خلال الارتباط الفكري والروحي والقيادي بالإمام السجاد عليه السلام، وقد حملوا العلم والمعرفة والإرشاد إلى كافة البلاد الإسلامية، منهم: سعيد بن المسيّب الذي وصفه الإمام نفسه: بأنه أعلم النّاس وأفهمهم في زمانه، وأبو حمزة الثمالي الذي وصفه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: بأنه سلمان زمانه، وسعيد بن جبير الذي قيل عنه لكثرة علمه: «ليس على وجه الأرض من هو

مستغنٍ عن علم ابن جبير». وقد أحصى الشيخ الطوسي في رجاله وغيره من المؤلفين في الرجال أكثر من مئة وستين من الصحابة والتابعين كانوا ينهلون من معينه ويروون عنه في مختلف العلوم. وهكذا نمت ببركة الإمام السجاد عليه السلام الشجرة العلمية الزيتونية المباركة التي غرسها الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث كانت تلك الحلقات العلمية المباركة الأساس للحركة الفكرية الناشطة في العالم الإسلامي، والمنطلق لنشأة مدارس الفقه الإسلامي المستقلة عن السلطة السياسية، وبداية عهد جديد انفصلت فيه الحركة العلمية عن السلطة السياسية، وهو واحد من أهم الأهداف المباركة لعمل الأئمة عليهم السلام التي ترمي إلى تطويق عوامل التحريف للفكر الإسلامي ومحاصرتها.

فكان الإمام السجاد عليه السلام بحق من ألمع المؤسسين للكيان العلمي والحضاري في دنيا الإسلام الحنيف. ويكتسي الدور العلمي للإمام السجاد عليه السلام أهمية خاصة لكونه جاء في وقت انفتاح الأمة الإسلامية على الحضارات الأخرى والثقافات المتنوعة، مما يهدد أصالتها ويعرّضها إلى التميّع والذوبان وفقدان الهوية، ما لم تشهد الساحة الإسلامية عملا علميا أصيلا يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية والروحية، ويحفظ هويتهم الإسلامية المتميّزة المستمدة من الكتاب والسنّة.

وقد اهتم الإمام السجاد عليه السلام اهتماماً بالغاً بالتربية الروحية والأخلاقية؛ وذلك لأنه رأى انهيارا في الحالة الإسلامية: الروحية والأخلاقية، وابتعادا من الناس عن دينهم الحنيف، بفعل الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية والروحية الإسلامية، وظهور موجات الرخاء المادي والانسياق وراء زخارف الحياة الدنيا وملذاتها والإسراف في زينتها، مما أدى بطبيعة الحال إلى ضمور الشعور بالقيم الروحية والأخلاقية الإسلامية.

وقد اتّخذ الإمام زين العابدين عليه السلام من الدعاء وسيلة لمواجهة ذلك الخطر الكبير الذي يهدد الشخصية الإسلامية ويهزّها من الداخل، ويحول بينها وبين الاستمرار في حمل الرسالة الربانية والسعي إلى العمل بها وتطبيقها كمنهج شامل في الحياة. وهكذا كانت (الصحيفة السجادية) تعبيراً صادقاً عن عمل فكري وروحي واجتماعي هادف تطلبته المرحلة. إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً خالدا تحتاجه البشرية على مرّ الدهور، وتزداد الحاجة إليه كلّما ازدادت النزعة المادية في الحياة، وازداد التكالب على زخارف الحياة الدنيا الفانية والتنافس على حطامها الزائل، وازداد إغراء الشيطان للإنسان على وجه الأرض.

أيها الأحبة الأعزاء، لقد ملك الإمام السجاد عليه السلام القلوب والعواطف

بعلمه وتقواه وأخلاقه الإسلامية الرفيعة وحسن تدبيره وإدارته وتصرفه، ونجح في إثبات وجوده كإمام معصوم يمثل الامتداد الفكري والروحي والأخلاقي والقيادي للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله في الأمة الإسلامية العظيمة. فهتفت الجماهير باسمه، واعترفت النخبة بفضله وتميزه، وتوّجوه بتاج الإمامة والرئاسة، فكانوا لا يرون غيره أهلاً لقيادتهم الفكرية والروحية والسياسية، وأقرت السلطة أيضا بفضله، إلا أنها عمدت إلى اغتياله كما اغتالت غيره من أئمة المسلمين وأعلام الإسلام الذين كانوا يشكلون خطراً جديا على نظامها المستبد الظالم والمنحرف عن طريق الإسلام الحنيف.

مؤشرات نجاح الإمام السجاد عليه السلام

وفي سبيل توضيح مدى النجاح الذي حققه الإمام السجاد عليه السلام في إثبات وجوده، أذكر المؤشرات التالية:

المؤشر الأول ـ على الصعيد الشعبي

حجّ هشام بن عبد الملك وطاف حول البيت وحاول استلام الحجر الأسود فأخفق من شدّة الزحام، فجلس ينتظر، ووقف حوله أهل الشام. وفي هذه الأثناء أقبل الإمام السجاد عليه السلام وهو يفوح طيبا، فطاف بالبيت،

فلمّا وصل إلى الحجر الأسود، انفرج له الناس، ووقفوا له إجلالا وتعظيما، حتى إذا استلم الحجر الأسود وقبّله وانصرف عاد الناس إلى طوافهم. وكان أهل الشام لا يعرفون الإمام السجاد عليه السلام، وعندما رأوا ذلك المشهد أثارهم فسألوا عن هويّته، فقال هشام باستياء: لا أعرفه. وكان الفرزدق (الشاعر المعروف) حاضرا، فارتجل قصيدة تعدّ من روائع الأدب العربي، قال فيها:

هـذا الـذي تَعـرِفُ البطحـاءُ وطأَتَـهُ   والبيـتُ يَعرِفُـهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ
هــذا ابــنُ خــيرِ عِبَــادِ اللهِ كلِّهِــمُ   هـذا التقـيُّ النقـيُّ الطـاهرُ العلـمُ
هـذا ابـنُ فاطمـةٍ إنْ كنـتَ جاهلَـهُ   بجــدِّهِ أنبيــاءُ اللهِ قــد خُتمــوا

المؤشر الثاني ـ على الصعيد الرسمي

روي أن الإمام السجاد عليه السلام كان جالسا في مجلس عمر بن عبد العزيز، فلما خرج سأل عمر من في المجلس: من أشرف الناس؟ فقالوا تزلفا: أنتم يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: كلا!! أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفا، من أحب الناس أن يكونوا منه، ولم يحب أن يكون من أحد.

المؤشر الثالث ـ على الصعيد النخبوي

سؤل محمد بن شهاب الزهري: هل لقيت علي بن الحسين؟

فقال: نعم!! لقيته وما لقيت أحدا أفضل منه، والله ما علمت له صديقا في السر ولا عدوا في العلانية.

فقال السائل: وكيف ذلك؟

فقال الزهري: لأني لم أر أحدا وإن كان يحبه إلا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحدا وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه.

التحدي الثاني ـ الحفاظ على وهج ثورة الإمام الحسين

وهو واحد من أهم الأهداف الرئيسية التي عمل أهل البيت عليهم السلام عليها وفق إستراتيجية عملهم، وكان للإمام السجاد عليه السلام دور التأسيس لتحقيق هذا الهدف الرباني المقدس. فقد استطاع بمهارته السياسية والإدارية والحركية الفائقة، ومن خلال الرؤية الإستراتيجية الواضحة، أن ينهض بمهام الإمامة، ويحقق أهدافها المرحلية المطلوب منه تحقيقها على أكمل وجه، رغم القيود والرقابة الأمنية المشددة التي فرضها الأمويون عليه. واستطاع ببراعة سياسية وحركية وإدارية خارقة للعادة أن يوفق بين الانتقال إلى المرحلة الجديدة التي تقوم على العمل السياسي السلمي – وفق

إستراتيجية عمل أهل البيت عليهم السلام – وبين المحافظة على وهج ثورة الإمام الحسين عليه السلام. وقد برز الإمام السجاد عليه السلام على مسرح الحياة الإسلامية كسياسي لامع ومتميز، لا يجاريه في براعته السياسية سوى آبائه عليهم السلام.

أيها الأحبة الأعزاء، سوف أتحدث الآن عن دوره عليه السلام في المحافظة على وهج الثورة، ثم أتحدث بعد ذلك عن الانتقال إلى المرحلة الجديدة.

لقد سعى الإمام السجاد عليه السلام لتكريس حياته كلها لتخليد ثورة أبيه المظلوم الإمام الحسين عليه السلام، وتحقيق أهدافها الرسالية العظيمة على المدى البعيد، ومواجهة المشروع الأموي الذي كان يشكل الخطر الأكبر على الإسلام على المدى القريب. وقد تجلّى دور الإمام السجاد عليه السلام في عدة مجالات برزت فيها الشجاعة والبطولة والحس القيادي وحسن التدبير والتصرف في أروع الصور وأبهاها، منها:

أولا ـ خطبته في الكوفة والشام

فقد دخل موكب سبايا الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وقد احتشد الناس لاستقبال الموكب، وأهل الكوفة يعلمون جيداً من هم هؤلاء السبايا، لذلك أراد الإمام السجاد أن يصوّر لهم حجم المأساة التي تسبّبوا بها بخذلانهم إمامهم الحسين عليه السلام، فخطب فيهم قائلا: أيها النّاس!! أنا

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن من انتُهكت حرمته، وسُلبت نعمته، ونُهب ماله، وسُبي عياله، أنا ابن من قُتلَ مظلوماً عند شط الفرات، بلا دم أراق، ولا حق أضاع.

أيها الناس!! بالله عليكم، أما كتبتم إلى أبي تدعونه ليجيء الكوفة فلما جاءكم قتلتموه؟

أيها النّاس!! كيف بكم إذا رأيتم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة يقول لكم: قتلتم أهل بيتي ولم ترقبوا حرمتي فلستم من أمتي؟

فاضطرب أهل الكوفة لسماعهم كلمات الإمام السجاد عليه السلام وهاجوا وماجوا، وأخذوا يبكون ويتلاومون: أن هلكتم وأنتم لا تعلمون.

وهكذا نجح الإمام السجاد عليه السلام في هز ضمائرهم، وتحريك وعيهم وعواطفهم إزاء المأساة المروعة، وتثويرهم ضد النظام الأموي الفاسد.

ثم انتقل الموكب إلى الشام حيث كان يزيد غارقا في نشوة النصر، وقد أقيمت الأفراح في كل مكان من أرض الشام، فلم يكن أهل الشام يعرفون الحقيقة، فانبرى سليل النبوة الإمام السجاد عليه السلام ليكشف لهم الحقيقة بحضرة يزيد، فقال: «أيها الناس!! أُعطينا ستا وفُضّلنا بسبع. أُعطينا: العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب

المؤمنين . وفُضّلنا: بأن منا النبي المختار محمدا، ومنا الصديق، ومنا الطيـار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة. من عرفني فقـد عرفنـي، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي.

أيها الناس!! أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنـا ابـن مـن حمـل الحجر بأطراف الرداء، أنا ابن خير من أحرم وطاف وحجّ وسعى، أنـا ابـن من أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن مـن أوحـى الله له ما أوحى، أنا ابن الحسين المقتول بكربلاء، أنا ابن محمد المصطفى، أنـا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنـا ابـن المضرـج بالـدماء». ولم يزل يقول: أنا.. أنا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيـب، وخشي ـ يزيـد مـن انقلاب الوضع عليه، فأمر المؤذن بالأذان ليقطع عليه الكلام.

فلما قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر.

قال عليه السلام: لا شيء أكبر من الله.

فلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله.

قال عليه السلام: شهد بها شعري، وبشري، ولحمي، ودمي.

فلما قال المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله.

التفت عليه السلام من فوق المنبر إلى يزيد، فقال: محمد هذا جـدي أم جـدك يـا

يزيد؟! فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي، فلم قتلت عترته؟!

وهكذا كشف الإمام السجاد عليه السلام حقيقة الأمر لأهل الشام، وفضح ببيانه الحكم الأموي الفاسد، وعرّاه تماما أمامهم، فغادر بعضهم المسجد ولم يحضر صلاة الجماعة بإمامة يزيد.

ثانيا ـ إقامة العزاء البكاء

فقد قرأ الإمام السجاد عليه السلام مصرع أبيه على الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري عند قبر الإمام الحسين عليه السلام عندما التقى به في يوم الأربعين، فقال: «يا جابر!! ها هنا والله قتلت رجالنا وذبحت أطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا». ولما رجع إلى المدينة المنورة لم يدخلها وإنما نزل قريبا من حدودها، وطلب من بشر بن جذيم أن يدخلها وينعى الحسين عليه السلام ففعل، فخرج أهلها إليه وهم يبكون ويندبون، فخرج إليهم وفي يده خرقة يمسح بها دموعه، فتعالت أصواتهم بالبكاء من حوله يعزونه بأبيه، فأومأ إليهم بيده أن اسكتوا، وخطب فيهم وقال بعد الحمد والثناء على الله: «أيها القوم!! إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس!! فأي رجالات منكم يسرّون بعد قتله، أم أي فؤاد لا يحزن من أجله، أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها، وأي قلب لا يتصدع لقتله، وأي فؤاد لا يحن إليه، وأي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم.

أيها الناس!! أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأمصار، من غير جرم أجرمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق. والله لو أن النبي صلى الله عليه وآله تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأكظها وأفظعها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب ما أصابنا وما بلغ منا إنه عزيز ذو انتقام».

وكان من مظاهر تخليده للثورة الحسينية كثرة بكائه على ما حل بأبيه وأهل بيته وأصحابه من أهوال يوم الطف الفجيعة، فقد بكى على أبيه طوال حياته عليه السلام، وكان كلما وُضع بين يديه طعام أو شراب بكى، ويقول: كيف آكل وقد قتل أبو عبد الله جائعا؟ وكيف أشرب وقد قتل أبو عبد الله عطشان؟ وكان كلما اجتمع إليه جماعة أو وفد عليه وفد من الخارج يردد عليهم أخبار فاجعة كربلاء. وكان يخرج إلى السوق أحيانا، فإذا رأى جزاراً

يريد أن يذبح شاة أو غيرها يدنو منه ويسأله: هل سقيتها الماء؟ ويكون الجواب بحسب العادة: نعم يا بن رسول الله، إنا لا نذبح حيوانا حتى نسقيه ولو قليلا من الماء. فيبكي عند ذلك ويقول: لقد ذبح أبو عبد الله عطشان. وقال مخاطبا أحد ضيوفه بحضور جمع من الناس: أترى لو أصابك الموت وأنت غريب عن أهلك، هل تجد من يغسلك ويدفنك؟ فقال الجمع: يا بن رسول الله!! كلنا يقوم بهذا الواجب. فبكى وقال: لقد قتل أبو عبد الله غريبا، وبقي ثلاثة أيام تصهره الشمس بلا غسل ولا كفن. وكان لهذا الأسلوب الأثر الكبير في إدخال الثورة إلى الوجدان الإسلامي وعواطف المجتمع وأحاسيسه، ودفع المسلمين نحو التحرر من الظلم والعبودية والطغيان.

وهكذا شحنت حركة الإمام السجاد عليه السلام النفوس في الكوفة والشام والمدينة المنورة ضد النظام الأموي الظالم المستهتر بالدين والقيم وحقوق الإنسان، وفتحت الباب على مصراعيه لثورات متلاحقة ضده. فكانت ثورة المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة الأنصاري الذي طرد آل أمية من المدينة. ثم جاءت ثورة مكة بقيادة عبد الله بن الزبير التي لم تنتهِ إلاّ بعد محاصرة مكة ورميها بالمنجنيق، ثم جاءت ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي تحت شعار: وجوب التكفير عن ذنبهم لعدم نصرتهم

الحسين عليه السلام، ثم جاءت ثورة المختار الثقفي الذي تتبَّع قتلة الحسين عليه السلام فقتل منهم مائتين وثمانين رجلاً منهم عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، والشمر بن ذي الجوشن. وتوالت الثورات ضد النظام الأموي الغاشم حتى تحطمت دولته وسقطت في مزبلة التاريخ بدون رجعة. **واستمرت الثورات التي تقودها روح كربلاء العظيمة تطحن الظالمين والمستكبرين والمفسدين في الأرض طول التاريخ، وكان آخرها ثورة الإمام الخميني العظيم في إيران، والمقاومة الإسلامية في لبنان، وإني لأرجو أن تثمر الروح الكربلائية، لدى أبناء شعب البحرين المسلم الغيور، حركةً مطلبيةً إصلاحيةً مستميتةً تمنحهم الحرية وحق تقرير المصير، وتقيم العدل والمساواة بينهم، وتضعهم على طريق الرقي والتقدم بين شعوب العالم.**

وقد أدرك عبد الملك بن مروان خطورة تحركات الإمام السجاد عليه السلام التي أثمرت في توسيع القاعدة الشعبية المتعاطفة معه، فاعتقله وأحضره إلى دمشق مقيدا، لكن قوّة شخصية الإمام عليه السلام أثارت الاحترام في نفسه فأمر بإطلاق سراحه وإعادته سالماً إلى المدينة، ثم قرّر الوليد بن عبد الملك تصفيته، فأوعز إلى أخيه سليمان فدسّ له السم وقضى على حياته المباركة.

التحدي الثالث ـ الانتقال إلى مرحلة جديدة في عمل الأئمة

يعمل أهل البيت عليهم السلام وفق إستراتيجية واضحة الأهداف والمراحل،

وقد اقتضت الإستراتيجية أن يلجأ الإمام السجاد عليه السلام إلى النشاط العلمي والتربوي والاجتماعي والعمل السياسي السلمي، في الوقت الذي يحافظ فيه على وهج ثورة أبيه الإمام الحسين، ومواجهة المشروع الأموي التخريبي سياسيا. فقد عمل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام على سحب بساط الشرعية الدينية من تحت الخلفاء، وغلب لتحقيق ذلك الهدف الجانب العلمي والوجداني على دور الإمام علي بن أبي طالب، والجانب السياسي على دور الإمام الحسن، والجانب الثوري الاستشهادي على دور الإمام الحسين؛ ليثبت بصورة نهائية قاطعة: بأن الخليفة فاقد للشرعية، ولا يمثل المرجعية الدينية والروحية للأمة. وقد وضح فيما سبق من البحث مدى النجاح السياسي الذي حققه الإمام السجاد عليه السلام في المحافظة على وهج الثورة ومواجهة المشروع الأموي، وفي الوقت نفسه انطلق ببراعة متميزة وفق إستراتيجية عمل الأئمة عليه السلام إلى المرحلة الجديد في نشاطه العلمي والتربوي والاجتماعي، بهدف توسيع بناء الكيان الإسلامي الشيعي الموالي لأهل البيت عليه السلام، والتبليغ بأطروحتهم الفكرية الشاملة على كافة المستويات والأصعدة: عقائديا، وفقهيا، وفي التفسير، والأخلاق، والسيرة، وغيرها من مجالات الفكر والثقافة. كما نجح في خلق انطلاقة فكرية نشيطة على مستوى الأمة، مستقلة عن الحكام

الفاسقين والظالمين، قادها الفقهاء وأئمة الحديث وقادة الفكر من الفلاسفة والمفكرين، وكانت ترمي (بحسب خطة عمل الأئمة عليهم السلام) إلى تطوير حرية التفكير في البحث عن الحقيقة، والحد من تأثير السياسة المنحرفة على الفكر الإسلامي، وتطويق عوامل التحريف ومحاصرتها، مع التأكيد من ناحية المبدأ: على المرجعية الدينية الشاملة: الزمانية والروحية لأهل البيت عليهم السلام في الأمة الإسلامية.

وقد استخدم الإمام السجاد عليه السلام أدوات عديدة لتحقيق أهدافه، منها: حلقات الدرس، والحوار، والكتابة، والمراسلة، والدعاء، والسعي في قضاء حوائج الناس لاسيما الفقراء والمحتاجين، وشراء العبيد وتحريرهم بعد تعليمهم وتربيتهم وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وحقق نجاحا باهرا في تحقيق أهدافه الرسالية في المجال محل البحث كغيره من المجالات التي خاض غمار العمل فيها. وقد ذكر ما يدل على نجاحه فيما سبق من البحث.

وفي ختام الحديث: أشير إلى أهم النتائج التي يمكننا التوصل إليها من خلال تحليل الدور الذي قام به الإمام السجاد عليه السلام في حياته المباركة، ومنها:

النتيجة الأولى

أهمية البصيرة، والإستراتيجية الواضحة، والشخصية القوية، والجرأة والبطولة والشجاعة والتقوى (ضمن شروط أخرى)، في تحقيق النجاح في العمل الرسالي والسياسي، وأن نسبة النجاح والفشل تتحدد بحسب نسبة وجودها أو غيابها.

النتيجة الثانية

أن الإمام السجاد عليه السلام كان يتمتع بشجاعة وبطولة فائقة، وأنه لم يكن مسايرا للنظام الأموي الغاشم، مع التنبيه: بأن الإمام (بحسب العقل والنص) لا يمكن أن يفترق ولو قليلا مع القرآن الكريم (بما هو عليه من الكمال) في فكرة أو سلوك أو موقف، فهو في ذروة الكمال والعصمة من جميع الوجوه وعلى كافة المستويات، ومع القرآن الكريم دائما في فكره وسلوكه ومواقفه، لا يتخلف عنه فيها بأي حال من الأحوال، وأن إرادته لا يمكن أن تفترق أو تختلف مع إرادة الله جل جلاله في شيء كبير أو صغير، وأنه لا يقع حتى فيما وقع فيه الأنبياء السابقون عليهم السلام من المآخذ التي ذكرها القرآن الكريم عنهم، وهي لا تخالف العصمة بالطبع؛ لأنه كالرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله فوقهم في درجة العصمة والكمال، وأن كماله وعصمته فوق كل كمال وعصمة لمخلوق بشري أو غير بشري سوى

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

النتيجة الثالثة

أن الـدور العلمـي والتربـوي والاجتماعـي والعمـل السـلمي لا يعنـي بالضرورة مسايرة النظام الحاكم الفاسد أو المنحرف.

النتيجة الرابعة

أهمية النشـاط العلمـي والتربـوي والاجتماعـي في الرسـالة الإسـلامية، ودوره في تحقيق أهدافها المقدسة العظيمة. وهذا ممـا يعطـي القيمـة الكبـيرة للتكريم الذي نقوم به الليلة لطلبة الدروس الصيفية. وإني أطلب منهم بذل المزيد من الجهد والوقت والمال لطلب العلم وتحصيل الخبرة؛ لأنهم بـالعلم والخبرة يستطيعون أن يخدموا دينهم ووطنهم أكثر. أسـأل الله العـلي القـدير أن يجعلهم من الذين ينتصر بهم لدينه، ويعز بهـم نصرـ وليـه، وأن يـوفقهم لخدمة وطنهم العزيز، وأبناء شعبهم المستضعف المظلوم.

النتيجة الخامسة

أن الحالة الإسلامية الفكرية والروحية والأخلاقية الصافية، تصب دائـما في خدمة العدالة والعزة والكرامة والتحرر للشعوب، ولا يمكن أن تكـون غير ذلك. ولهذا خدم البكاء على الإمام الحسين عليه السلام - كما خدم الدعاء (في

أقصى حالات الإخلاص لله جلّ جلاله)، والسعي في قضاء حوائج الفقراء والمحتاجين، وتحرير العبيد قربة لله تعالى - ثورة الأمة ضد الظلم والظالمين والمفسدين في الأرض؛ لأنها تلتقي معها في الجوهر والطريق. وعليه فإن كل طرح بخلاف ذلك: هو طرح ملوّث لا يلتقي مع حقيقة عقيدة التوحيد وروحيتها.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

محنة الإمام الرضا عليه السلام [1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد طرفة عين أبدا في الدنيا والآخرة يا كريم.

اللهم معهم.. معهم، لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

١. بمناسبة مولد الإمام الرضا عليه السلام .في مأتم سيد الشهداء ـ قرية المعامير. اليوم: مساء الجمعة ـ ليلة السبت. بتاريخ: ١١/ ذو القعدة/ ١٤٣٠هـ. الموافق: ٣٠/ أكتوبر ـ تشرين الأول/ ٢٠٠٩م.

في البداية، أرفع أسمى التهاني والتبريكات إلى مقام إمامنا وسيدنا ومولانا وشفيع ذنوبنا في يوم القيامة الحجة بين الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى كافة المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة، بمناسبة المولد السعيد لإمامنا الرضا عليه السلام.

الأهداف الإستراتيجية والتفصيلية لعمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام

أيها الأحبة الأعزاء..

الإمام الرضا عليه السلام هو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وللأئمة جميعا هدف إستراتيجي يعملون من أجل تحقيقه، وهذا الهدف هو نفسه الهدف الإستراتيجي لجميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وهو إقامة دولة العدل الإلهي العالمية التي تتجسد فيها الخلافة الإلهية للإنسان في الأرض، قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[١]، والتي تتجلى في أحوالها وأوضاعها العامة صفات الله ذي الجلال والإكرام، مثل: الحياة الروحية العالية، والعلم، والرحمة، والقدرة، والحاكمية، وفرض السيطرة، وغيرها من صفات الجمال والجلال.

---

١. سورة البقرة، الآية: ٣٠.

أهم الأهداف التفصيلية لعمل الأئمة عليهم السلام

وإلى جانب هذا الهدف الإستراتيجي، هناك أهداف تفصيلية عمل الأئمة عليهم السلام من أجل تحقيقها، على الطريق إلى تحقيق الهدف الإستراتيجي المذكر، **وأهم هذه الأهداف التفصيلية، أربعة، وهي:**

الهدف (١)

إثبات الحق الحصري لأهل البيت عليهم السلام في خلافتهم الشاملة الكاملة التامة للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا يتطلب إثبات خطأ الرأي الآخر؛ لكي يسلّم المسلمون بإمامة أهل البيت عليهم السلام ويرجعوا إليهم في أمور الدين والدنيا، كما قال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «يا أيّها الناس!! قد تركت فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»[١].

الهدف (٢)

التبليغ بعلوم أهل البيت عليهم السلام التي تمثل الإسلام المحمدي الصحيح، وتشمل: الرؤية الكونية والقيمية، والتشريع (الفقه)، وغيرها من العلوم.

١. صحيح الترمذي: ج٥ ص٦٢١.

وهذا يتطلب النقد العلمي للأطروحات الأخرى في العقيدة، والتشريع، والأخلاق، والسيرة، وغيرها.

الهدف (٣)

بناء الكيان المجتمعي الذي يؤمن بإمامة أهل البيت عليهم السلام، ويحمل علومهم، ويسعى معهم بجد واجتهاد، ويبذل النفس والنفيس في سبيل تحقيق أهدافهم الإستراتيجية والتفصيلية.

الهدف (٤)

تشخيص القيادة الشرعية للأمة في عصر الغيبة الكبرى، المتمثلة في الفقهاء الجامعين للشرائط؛ لتواصل المسيرة على نفس النهج، وتتحمل مسؤولية الإعداد للظهور.

ثلاث ملاحظات مهمة..

وهنا تجدر الإشارة إلى ثلاث ملاحظات مهمة في عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وهي:

الملاحظة (١)

أن عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عمل تراكمي متصل، بمعنى: أن عمل كل إمام يتصل بعمل الأئمة الذين قبله، والأئمة الذين بعده، وتتراكم

الإنجازات في عمل الجميع على طريق تحقيق الأهداف الإستراتيجية والتفصيلية.

فكل إمام على علم وبصيرة تامة:

- بالمسيرة العامة المتكاملة الحلقات لمجموع الأئمة عليهم السلام.
- وبالإنجازات والأهداف التي حققها الأئمة الذين سبقوه.
- والأعمال والأهداف التي يجب أن ينجزها الأئمة الذين بعده.
- والأعمال والأهداف التي يجب عليه إنجازها، في سبيل المحافظة على ما سبق إنجازه، ومواصلة الطريق من حيث انتهى الذين قبله، والتمهيد للذين هم بعده.

الملاحظة (٢)

أن الأئمة عليهم السلام قد اعتمدوا في جميع عملهم على قوة الحق الذي معهم وقوة الحجة والبرهان، إلا أن أعداءهم واجهوهم بقوة السلاح والعنف والإرهاب، فقتلوا من قتلوا، وسجنوا وعذبوا، ومارسوا النفي عن الوطن للأئمة وشيعتهم، ووطّنوا الأجانب، فقد استخدم كل فريق السلاح الذي يناسبه ويعبر عن حقيقة نفسه وحقيقة أمره، إلا أن قوة الحق والحجة والبرهان، قد انتصرت في هذه المعركة على قوة السلاح والعنف

والإرهاب.

ولكي نعرف هذه الحقيقة الناصعة، علينا أن ننظر إلى التأريخ الطويل ونتفحصه جيدا..

- فقد حارب النظام الأموي أهل البيت عليهم السلام بشتى وسائل وصنوف العنف والإرهاب المتاحة لديه في ذلك الوقت، إلا أن النظام الأموي ذهب وبقي أهل البيت عليهم السلام.
- ثم جاء النظام العباسي، وقد فعل في أهل البيت عليهم السلام أسوأ مما فعله النظام الأموي، إلا أن النظام العباسي ذهب وبقي أهل البيت عليهم السلام.
- ثم جاء النظام العثماني، وقد فعل في أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مثل ما فعله النظامان: الأموي والعباسي، إلا أن النظام العثماني ذهب وبقيت مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا يكون دائما: يذهب كل نظام يعتمد في وجوده على الباطل وقوة السلاح والعنف والإرهاب، ويبقى الحق وأصحابه طال الزمن أم قصر.

الجدير بالذكر: أن رئيس الوزراء التركي الحالي: (الطيب أردغان) قد ذكر في خطاب له قبل زمن غير بعيد، وجوب الاعتذار لأهل البيت عليهم السلام عما لحق بهم من الظلم والأذى على أيدي المسلمين أنفسهم، وهذا خطاب

جريء، وهو جدير بالاحترام والتقدير حقا.

الملاحظة (٣)

أن كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام قد واجهته محنة أو مجموعة من المحن العظيمة، التي كان عليه أن يواجهها، ويبذل في مواجهتها النفس والنفيس، في سبيل البقاء على الطريق الصحيح والصراط المستقيم، ومواصلة السير لتحقيق الأهداف المطلوبة.

محنة الإمام الرضا عليه السلام

وكانت المحنة العظيمة التي واجهت الإمام الرضا عليه السلام هي فرض ولاية العهد عليه.

انظروا أيها الأحبة، فرض ولاية العهد التي تجعل منه الرجل الثاني وصاحب النفوذ القوي في الدولة ـ لو أراد ذلك ـ هي محنة عظيمة، وليست مكسبا بالنسبة للإمام الرضا عليه السلام الذي ينظر بعين الله ذي الجلال والإكرام، وبعين الحق والعدل والفضيلة والجمال، وليس بعيون الدنيا والمكاسب الدنيوية.

وقد جاء فرض ولاية العهد من الخليفة المأمون على الإمام الرضا عليه السلام في ظل:

- نتائج الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة، حيث التصدعات والانقسامات الخطيرة في النظام العباسي، التي تتطلب من المأمون معالجتها في سبيل المحافظة على وجوده على رأس السلطة، وعلى نظامه من الانهيار.

- وجود التشيع كقوة عقائدية وسياسية معارضة للنظام، وكانت قوة فاعلة ومؤثرة على الساحة الإسلامية التي تمثل ساحة سلطة النظام العباسي كلها، وكانت مصدر قلق للنظام.

- وجود الإمام الرضا عليه السلام كقائد عقائدي وسياسي رسالي قوي وفاعل وناجح، وهو قائد معارض للنظام، وكان وجوده مصدر قلق كبير للنظام.

وقد تصرف المأمون بدهاء حينما عرض ولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام، وفرضها عليه حينها رفضها، وكانت للمأمون ثلاثة أهداف سياسية رئيسية من وراء ذلك، وهي:

- دمج الإمام الرضا عليه السلام في النظام، وهذه وسيلة جهنمية لاحتوائه وفرض

الرقابة على نشاطه. وهذا العمل يستهدف الإمام الرضا عليه السلام كقائد، والكيان العقائدي والسياسي الذي يقوده، فلا شك أن السيطرة على القائد، مدخل للسيطرة على الكيان الذي يقوده.

- احتواء التشيع ودمجه في النظام؛ للقضاء على استقلاليته، وعلى دوره المعارض للنظام.
- تضليل الرأي العام، والإساءة إلى طهارة الإمام الرضا عليه السلام كقائد رسالي، وطهارة الكيان الذي يقوده، وهذه نتيجة طبيعة للدخول في أي نظام فاسد بدون حصانة كافية: فكرية، وروحية، وقانونية، وسياسية، وعملية.

مواجهة الإمام الرضا عليه السلام للمحنة

لم يجد الإمام الرضا عليه السلام مناصا من القبول بولاية العهد، فهو أفضل في الحسابات: الدينية والقيمية والسياسية، من تقديم نفسه لقمة سائغة وسهلة للمأمون، وقد شرط على المأمون أن يكون توليه للمنصب شكليا، وليس حقيقيا أو فعليا، وقد قبل المأمون بالشرط؛ لأن فيه تحقيق الحد الأدنى من أهدافه، ويغنيه عن المواجهة مع الإمام الرضا عليه السلام وشيعته ومحبيه.

وفي ظل هذه المحنة: كيف تصرف الإمام الرضا عليه السلام؟

الجواب: لقد حرص الإمام الرضا عليه السلام في مواجهة المحنة على أمور عديدة، وهي أمور واضحة لمن وقف على سيرة الإمام عليه السلام، منها:

- التأكيد على إمامته، وأنها امتداد لإمامة آبائه الطاهرين عليهم السلام، وقد فرض القبول بذلك عمليا على المأمون ورجال السلطة والبلاط، وتعاطوا معه عمليا على هذا الأساس، حتى قال بعضهم بتشيع المأمون!!
- واصل مسيرته العلمية في التبليغ بعلوم أهل البيت عليهم السلام، وسعى لفضح أجندة النظام وخططه، من خلال ممارسات ذكية وقوية في تحقيق أهدافها، مثل: الهيئة التي خرج بها إلى صلاة العيد، حتى اضطر المأمون إلى إرجاعه قبل أن يصل إلى الجامع.
- حافظ على استقلالية التشيع وأصالته وصفاء مشاربه ـ كما فعل آباؤه من قبل ـ ولم يسمح بذوبانه في النظام العباسي بأي شكل من الأشكال، مع المحافظة على سلامة الوجود الإسلامي العام.

وقد ضاق المأمون ذرعا بالإمام الرضا عليه السلام، ولم يستطع عليه صبرا، فدس إليه السم، فقضى الإمام عليه السلام حياته ومضى شهيدا مظلوما، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها مع السعداء.

وفي الختام، هنا مسألة أرغب في طرحها باختصار، وأطلب من الجميع أن يفهموها فهما علميا لا غير، فالمناسبة جيدة لطرحِها، وطرحُها والتفكير فيها يمكن أن يفيدنا عمليا في عملنا الإسلامي والوطني، وهذا هو القصد.

أيها الأحبة الأعزاء، منصب ولاية العهد منصب مهم وحساس جدا في تحديد مستقبل النظام، ويجعل صاحبه في موقع نفوذ قوي ومؤثر جدا في الدولة ومصالح المواطنين.

والسؤال: لماذا لم يطبق الإمام الرضا عليه السلام قاعدة «دفع الضرر» وقاعدة «تحصيل ما يمكن تحصيله»، وهما قاعدتان صحيحتان في نفسهما في القبول التام والفعلي بولاية العهد؟

الجواب: لقد طبق الإمام الرضا عليه السلام ـ بحسب ما أفهم ـ قاعدة «دفع الضرر» في القبول الشكلي الذي أكره عليه بولاية العهد، ولم يطبق أياً من القاعدتين المذكورتين للقبول التام والفعلي بولاية العهد؛ وذلك لأنه ليس كل قاعدة صحيحة في نفسها يصح تطبيقها في جميع الأحوال والأوضاع، فيجب البحث عن ملاءمة الأوضاع العامة لتطبيق القاعدة الصحيحة في نفسها أو عدم ملاءمتها، ليكون التطبيق صحيحا ويأتي بالنتائج المطلوبة، ولم تكن الأوضاع العامة في زمن الإمام الرضا عليه السلام ملائمة لتطبيق تلكما القاعدتين للقبول التام والفعلي بولاية العهد، ولهذا لم يطبقهما.

وهكذا ينبغي أن يكون دائما: البحث عن ملاءمة أو عدم ملاءمة تطبيق القواعد الصحيحة في نفسها في الأوضاع العامة، ليكون التطبيق صحيحا، ويأتي بالنتائج المطلوبة، ولا يكفي أن تكون القاعدة صحيحة في نفسها ليكون تطبيقها صحيحا في جميع الأحوال والأوضاع.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

دروس من حياة الإمام العسكري عليه السلام [1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد طرفة عين أبدا في الدنيا والآخرة يا كريم.

اللهم معهم.. معهم، لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أهنئكم وأبارك لكم بهذا المهرجان الجميل والرائع، واسأل

---

١. بمناسبة افتتاح المهرجان الرابع للإمام الحسن العسكري عليه السلام. في قرية عراد. ليلة الإثنين بتاريخ: ٦/ جمادى الثانية/ ١٤٢٧هـ. الموافق: ٢/ يوليو ـ تموز/ ٢٠٠٦م.

الله الكريم لكم التوفيق والتسديد والنجاح فيه. وسوف أجعل كلمتي القصيرة هذه تدور في دائرة عنوان المهرجان وأجوائه. فسوف أقف في أول الحديث على بعض الدروس المستخلصة من حياة الإمام الخالص الحسن العسكري عليه السلام، وأختمه بما يناسب المهرجان عن إحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام.

أيها الأحبة الأعزاء، إن حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام غنية جدا بالدروس والعظات والعبر لمن يريد أن يتعلم ويتعظ ويعتبر (لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[1]، وسوف أقف منها على **درسين مهمين، وهما:**

الدرس الأول ـ عمره الشريف

لقد تولى الإمام التقي الحسن العسكري عليه السلام زمام الإمامة بعد وفاة والده الإمام علي الهادي عليه السلام بتاريخ: (٢٦/ جمادى الثانية/ ٢٥٤هـ) وكان عمره الشريف (٢٢ عاما)، واستشهد (روحي فداه) على يد الخليفة العباسي (المعتمد) بتاريخ: (٨/ ربيع الأول/ ٢٦٠هـ)، وعمره الشريف (٢٨ عاما)، فكان زمن إمامته (٦ سنوات) فقط.

---

١. سورة ق، الآية: ٣٧.

والدرس الذي نستخلصه من ذلك:

أن قيمة الإنسان ليست في كبر سنه (كم يعيش في هذه الحياة الدنيا)، وكم يملك فيها من السلطة والقوة والنفوذ والجاه والرمزية أو المال والثروة، وإنما تكمن قيمة الإنسان في قربه الحقيقي من الله (ذي الجلال والإكرام) ومنزلته الرفيعة عنده ورضاه جل جلاله عنه، وفيما ينجزه من أعمال نافعة ومواقف صادقة تساهم في خدمة الإنسانية واستقامة الحياة وتطويرها في جميع المجالات وعلى كافة الأصعدة. فقد استشهد الإمامان الجواد والعسكري وجدتهما الزهراء عليها السلام، وهم في ريعان الشباب، في العشرينات من أعمارهم الشريفة المباركة، وقد قال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم يحي بن زكريا: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)[١]، وهذا بخلاف حرص بعضنا على الحياة الدنيا، وتركيز همه الأكبر على طول البقاء فيها، بعيدا عن المضمون والدور الذي يلعبه الفرد في الحياة وصلته برسالتها وغاية وجودنا فيها. فكثيرا ما نردد: يا طويل العمر، وأطال الله عمرك، حتى وإن كان طول بقاء الفرد سببا لمزيد من الشقاء له وللآخرين؛ بسبب الذنوب والجرائم التي يرتكبها، ويحمل أوزارها فوق ظهوره، ومواقفه

١. سورة مريم، الآية: ١٢.

المخزية التي تترك آثارها السلبية على الإنسان والمجتمع، أو كانت أيامه تكرارا لبعضها بدون زيادة في العلم أو العمل الصالح. وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من تساوى يوماه فهو مغبون».

أيها الأحبة الأعزاء،علينا ونحن نقف على سيرة هذا الإمام العظيم عليه السلام وحياته أن نتعلم هذا الدرس البليغ من حياته الشريفة المباركة، بأن تكون حياتنا مزرعة استثمار للآخرة، وساحة تجارية نشيطة مع الله (تبارك وتعالى)، فتكون جهودنا الحقيقية، وتوجهاتنا الصادقة، منصبّة على رسالة الحياة، وغاية وجودنا فيها، بإثراء إنسانيتنا الكريمة، وتحصيل الكمال الإنساني الذي هيأنا الله جل جلاله له، ليحصل لنا القرب من الله (ذي الجلال والإكرام) والمنزلة الرفيعة لديه جل جلاله والفوز برضاه عز وجل وذلك كله من خلال: تحصيل المعرفة اليقينية به (سبحانه وتعالى)، والنظر إلى جميع جوانب الحياة وزواياها وقضاياها وشؤونها من خلال تلك المعرفة، والحرص الشديد على إنجاز الأعمال الصالحة النافعة في الدين والدنيا والآخرة، واتخاذ المواقف الصادقة معه عز وجل ومع العباد. والحذر كل الحذر من القشور ومن الادعاءات الكاذبة، ومن اللجوء إلى الطلاسم والأعمال المموهة (كما يفعل بعض المشعوذين)، ومن ترديد الكلمات التي ليس وراءها يقين، ولا أعمال صالحة، ولا مواقف صادقة؛ للإيهام الكاذب بالمعرفة والقرب والمنزلة الرفيعة عند الله جل جلاله، فإنها من الكذب،

وهي لا تسمن ولا تغني من جوع، وإن ضررها كبير، ونتائجها وخيمة على العبد في الدنيا والآخرة.

الدرس الثاني ـ التمهيد للغيبة

يعتبر الإمام الحسن العسكري عليه السلام الحلقة الأخيرة في سلسلة الظهور، وبعد عهده الشريف بدأ عصر الغيبة الصغرى ثم الكبرى. وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يخضع للإقامة الجبرية والرقابة الدقيقة من السلطة الغاشمة، وممارسة الإرهاب والعنف ضده وضد شيعته الأبرار؛ لأنهم يمثلون القوة المعارضة الأبرز والأكثر جدية وفاعلية وخطورة على السلطة الغاشمة. وفي ظل تلك الظروف الصعبة والمعقدة تحمل الإمام عليه السلام مسؤولية الإعداد والتهيئة لعصر الغيبة، بما تطلبته من حذر شديد وحسن التدبير والتخطيط والتربية والقيادة، وقد أنجزت المهمة على أحسن وأكمل وجه. وهذا يدل على أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام كقائد: كان يمتلك شجاعة كبيرة، ورؤية دينية وفكرية وسياسية واضحة، ورؤية واضحة للأهداف، ويمتلك تخطيطا محكما لحركته، وتربية صحيحة كاملة لقواعده الجماهيرية وللكوادر القيادية الفاعلة في حركته، وإدارة دقيقة لها وللمواقف والأوضاع العامة في ساحة الحركة. ولم يكن مسايرا للسلطة والقوى الغاشمة، ولم يقبل القبول الذليل بالأمر الواقع - كما يتوهم البعض - وإنما

كان رافضا ومقاوما لها ومستعدا للتضحية في سبيل الله (تبارك وتعالى) وتحقيق الأهداف المقدسة لمشروع السماء العظيم. وقد حذرت المؤمنين الأعزاء في مناسبات سابقة من تلك الأطروحات التي توهم الناس بقبول الأئمة عليهم السلام بالأمر الواقع الظالم والمنحرف، وتعايشهم مع الطواغيت والظالمين والمستبدين والمفسدين في الأرض، في سبيل تبرير مواقف بعض الرموز والقيادات أو منهجهم في العمل أو تبرير بعض التوجهات المسايرة للسلطة وقوى الاستكبار العالمي؛ وذلك لأنها أطروحات مخالفة للواقع، وفيها إساءة للرب الجليل الذي استخلص الأئمة عليهم السلام لنفسه ودينه، ورفدهم بعلمه، وجعلهم الذريعة إليه، والوسيلة إلى رضوانه، وفيها كذلك: إساءة لمقام الإمامة العظيم، وجهل لدور الإمام في مشروع السماء العظيم، ورسالته في حياة الإنسان وخدمة الإنسانية.

والدرس الذي نستخلصه من ذلك:

أن نرفض الانحراف والظلم والاستبداد والاستكبار والفساد؛ لأن القبول بها: ضد الفطرة والعقل والدين والضمير والأخلاق والاقتداء بالأولياء الصالحين عليهم السلام، وأن تكون لنا قيادة مؤمنة واعية مقدامة وشجاعة وجريئة في مواقفها، تمتلك رؤية دينية وفكرية وسياسية واضحة، ورؤية واضحة للأهداف، وتمتلك تخطيطا محكما للحركة، وتتمتع بحسن

التربيـة والقيـادة والإدارة للكـوادر والقواعـد الجماهيريـة وللمواقـف والأوضاع العامة، ولا تأخـذها في الله عَزَّوَجَلَّ لومـة لائـم، وذلـك مـن أجـل تحقيق الأهداف الإسلامية والوطنية المقدسة للحركة.

وفي الختام، وبمناسبة افتتاح هـذا المهرجـان المبـارك، وفي ظـل الإحبـاط المتزايد في الساحة السياسية المحلية، فإني أدعوكم - أيها الأحبـة الأعـزاء - لزيادة الاهتمام بإحياء المناسبات الدينية (الوفيات والمواليد وغيرهـا)، فإنهـا (كـما ذكـرت في مناسـبات كثـيرة سـابقة) المـلاذ الأول الحصـين لجماهيرنـا المسلمة الغيورة على دينها ووطنهـا؛ للمحافظـة عـلى حضـورها الفاعـل في الساحة، وارتفاع معنوياتها في الرفض والمقاومة والبناء والتعمير.

أوصيكم - أيها الأحبة الأعزاء - بالسعي لتطوير الاحتفالات الدينية وتنويع أشكال الإحياء، وذلك على الأسس الثلاثة التالية:

الأساس الأول ـ الأصالة والنقاء

وذلك من خلال مراعاة الأطر والأحكام الشرـعية في الإحيـاء، وتنقيتـه من كل شوائب الانحراف والإساءة.

الأساس الثاني ـ توسيع دائرة المشاركة الشعبية

وذلك من خلال الحرص على مشاركة كافـة الشرـائح والمسـتويات مـن

الجنسين: الرجال والنساء، ولكافة الأعمار: الأطفال والشباب والشيوخ، وتنويع الأنشطة لتستوعب كافة المواهب الفكرية والأدبية والفنية وتلبي كافة الأذواق في المجتمع. على أن تكون المشاركة ليست بالحضور فحسب، وإنما بالاشتراك في الأنشطة المتنوعة في الإحياء، كما هو موجود فعلا في مهرجانكم هذا.

الأساس الثالث ـ المنفعة

وذلك من خلال الحرص على أن يكون الإحياء مفيدا لكافة الشرائح والمستويات المشاركة في الإحياء في الدين والدنيا، بأن تخرج بفوائد عملية بعد المشاركة، بأن تحصل على المزيد من المعرفة بالله (سبحانه وتعالى) والقرب منه عزّ وجلّ والمعرفة النافعة بأهل البيت عليهم السلام وطاعتهم والقرب من منهجهم وخطهم في الحياة، والاقتداء بهم عليهم السلام في السلوك الصالح، والمواقف الصادقة، والأعمال النافعة في الدين والدنيا والآخرة، والمعرفة بكافة شؤون الحياة العامة وقضاياها الجوهرية والحيوية، وتحمّل المسؤولية العامة الشرعية والأخلاقية نحو الدين والوطن والعباد، وليس الدخول والخروج بدون فائدة، كما يقال: "دخلت وأنا جوعان، وخرجت وأنا جوعان"، فيفقد الإحياء قيمته، وتضيع غايته ورسالته والهدف منه في الحياة.

أيها الأحبة الأعزاء، إن حقيقة الإحياء والمشاركة والزيارة لأهل البيت عليهم السلام وقيمتها تكمن في قدرتها على أن تجعلنا قريبين من منهجهم عليهم السلام وخطهم في الحياة، وتحملنا على الاقتداء بهم عليهم السلام في السلوك والمواقف والأعمال الصالحة. وبدون ذلك: يصبح الإحياء ممارسة فارغة من المضمون، وتصبح المشاركة والزيارة فاقدة للقيمة والمعنى، وتضيع رسالتها وأهدافها في الحياة، وتصبح بدون فائدة حقيقية!!

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

جوانب من حياة الإمام العسكري عليه السلام[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي ـ الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد طرفة عين أبدا في الدنيا والآخرة يا كريم.

اللهم معهم.. معهم، لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني إلى مقام إمامنا وسيدنا ومولانا وشفيع

---

١. بمناسبة مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام. في قرية كرزكان ـ مأتم كرزكان. التاريخ: ٧/ ربيع الثاني/ ١٤٢٩هـ. الموافق: ١٣/ أبريل ـ نيسان ٢٠٠٨م.

ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى كافة المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة الأعزاء، بمناسبة مولد الإمام الحادي عشر ـ الحسن بن علي العسكري عليه السلام، سائلا المولى عز وجل أن يعطينا الكثير من الثمار الملكوتية الطيبة لمولده الشريف المبارك، إن الله على كل شيء قدير.

أيها الأحبة الأعزاء، سوف أختار للحديث في هذه الليلة المباركة بعض الجوانب المهمة من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام محاولا استفادة بعض الدروس النيرة منها.

البطاقة الشخصية للإمام

الاسم

الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب.

كنيته

أبو محمد، **ولقبه**: العسكري نسبةً إلى مكان سكناه سامراء حيث كانت

تسمى العسكر، وكان قد انتقل إليها مع أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام باستدعاء من الخليفة العباسي المتوكل سنة (٢٣٤هـ)، وعمره الشريف سنتان وبضعة شهور.

مكان وتاريخ الولادة

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالمدينة المنورة بتاريخ: ١٠ وقيل (١٤/ ربيع الثاني/ ٢٣٢هـ).

مكان وتاريخ استشهاده

قضى الإمام الحسن العسكري عليه السلام شهيدا بعد مرض رافقه لمدة ثمانية أيام نتيجة عمل عدواني قام به الخليفة العباسي المعتمد، حيث شعر بخطره الرسالي على سلطته غير الشرعية، فكلف من يضع له السم في طعامه، وذلك في سامراء بتاريخ: (٨/ ربيع الأول/ ٢٦٠هـ).

وكان عمره الشريف (٢٨ سنة)، ودفن إلى جانب أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام في سامراء، حيث مشهدهما الشريف قبلة للزوار وملاذ للمحبين. وقد تعرض هذا المشهد الشريف إلى اعتداء آثم على يد التكفيريين بتاريخ: (٢٣/ محرم/ ١٤٢٧هـ).

إمامته

عاش الإمام الحسن العسكري مع أبيه علي الهادي عليه السلام عشرين سنة، وتولى الإمامة بعد وفاته سنة (٢٤٥هـ) وعمره الشريف (٢٢ سنة)، واستمرت إمامته لمدة (٦ سنوات) فقط، تعرض خلالها للرقابة والملاحقة، وسُجن مرات عديدة في ظل إرهاب الدولة الذي مارسه الخلفاء الثلاثة الذين عاصرهم في عهد إمامته، وهم: المعتز، والمهتدي، والمعتمد.

الدرس المهم المستفاد من الوقوف على عمره الشريف

وهو: العلم بأن قيمة عمر الإنسان ليس في عدد السنوات التي يقضيها في هذه الحياة، وإنما بنوعية العمل الذي يقوم به. فالزهراء: وهي سيدة نساء العالمين لم يتجاوز عمرها الشريف العشرين سنة، والإمامان: الجواد والعسكري عليهما السلام لم يصلا إلى الثلاثين سنة من العمر.. وهكذا، بينما يزيد عمر الكثير من عامة الناس على المائة سنة. ففضل الزهراء وهذين الإمامين العظيمين عليهم السلام ليس بعدد السنوات وكم العمل، وإنما بنوعية العمل الصالح الذي يقومون به. فليكن حرصنا على تجويد عملنا وتحسينه، مثل: تجويد صلاتنا وتحسينها، وتجويد صيامنا وتحسينه، وتجويد حجنا وعمرتنا وتحسينهما، وتجويد صدقاتنا وتحسينها، أكثر من حرصنا على إطالة العمر، وزيادة كمية هذه الأعمال العبادية، فالعبرة والفضل بنوعية العمل / الكيف

وليس بالعدد.

أخلاقه

لن أتعرض لأخلاقه العامة فهي بالتأكيد ــ بحسب معرفة المحبين والمؤمنين بإمامته ـ أخلاق ربانية في غاية السمو والشموخ والرفعة في سماء العارفين بالله والعاشقين الواهين بجماله، وإنما أرغب في الإشارة إلى أخلاقه في بعدها السياسي. **فقد نجح الإمام الحسن العسكري عليه السلام، من خلال أخلاقه العالية وسياسته الحكيمة وحسن تصرفه وما يتمتع به من الهيبة والوقار، التي هي انعكاس ملكوتي لروحه الإيمانية العالية ووثيق صلته بالله عز وجل، من فرض احترامه على أشد الناس عداوة وحقدا على أهل البيت عليهم السلام، والتأثير على بعض رجال السلطة وكسبهم إلى صفه.**

مثال (١) الوزير عبد الله بن يحيى بن خاقان

كان معروفا بشدة العداوة والبغض لأهل البيت عليهم السلام ويحاول الوقيعة بهم، ولكن أخلاق الإمام الحسن العسكري عليه السلام وحسن سياسته وتصرفه الحكيم، اضطرته لاحترامه، والقول فيه: «ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، ولا سمعت بمثله في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني

هاشم، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك القواد والوزراء والكتاب وعوام الناس، وما سألت عنه أحدا من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على أهل بيته ومشائخه وغيرهم، ولم أرَ له وليا ولا عدوا إلا ويحسن القول فيه والثناء عليه. وقال: لو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره، لفضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه».

مثال (٢)

حبسه الخليفة المعتمد لدى السجان صالح بن وصيف، وطلب رجال السلطة منه التضييق عليه، فوكل به رجلين شرسين من أشر ما يكون عليه الناس، فصارا من الصلاة والصيام والعبادة على جانب عظيم، فأحضرهما صالح بن وصيف أمام رجال السلطة وسألهما: ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ قالا: ما نقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله ولا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا ودخلنا ما لا نملكه من أنفسنا.

مثال (٣)

الوزير النصراني أبو العلاء صاعد بن مخلد الذي أسلم على يـدي الإمـام الحسن العسكري عليه السلام، وأصبح من خيرة الموالين لـه. والسـجان عـلي بـن اوتامش الذي كان شديد العـداوة والـبغض لأهـل البيـت عليهم السلام والغلظـة عليهم، ثم انتهى به الأمر إلى أن يضع خديه للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالا وإعظاما، وأصبح من أحسن الناس بصـيرة به وأجودهم قولا فيه.

والخلاصة

هكذا ينبغي أن تكون الرموز والقيادات الإسلامية في هـديها وأخلاقهـا وحسن تصرفها، نوراً ورحمة للعالمين.

أوضاع الدولة العباسية على عهده

تميزت أوضاع الدولة العباسية على عهد بالميزات التالية:

الميزة (١) الضعف وسوء الإدارة

وذلك بسبب تدخلات الأتراك في شؤون الدولـة، وتسـلمهم المناصـب الحساسة والمهمة فيها، مثل: الولاة والجباة وقادة الجيش، حتى وصل الحـال

إلى إهانتهم الخلفاء، وسلب إرادتهم، وعزلهم، وقتلهم، والتلاعب بالثروة وبيت المال.

الميزة (٢) الظلم والاستبداد والتدهور الأمني

لقد شاع الظلم والجور والقهر والاستبداد في الدولة العباسية على عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مما أدى إلى ظهور الفوضى والشغب والاضطراب وقيام الثورات المسلحة متنوعة الأطياف ضد السلطة العباسية، مثل: ثورة الزنج (٢٥٥ ـ ٢٧٠هـ)، وثورة الخوارج (٢٤٨هـ)، والعديد من ثورات الطالبيين. وكان نصيب الشيعة والطالبيين هو الأوفر من الظلم والاضطهاد والكبت، حيث كانوا عرضة للمطاردة والحصار والسجن والقتل لمجرد الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام، وقد قتل في ربيع الأول سنة (٢٥٤هـ) الكثير من الشيعة في مدينة قم المقدسة التي كانت تمثل آنذاك قاعدة لشيعة أهل البيت عليهم السلام، ومعقل العلماء والمحدثين منهم، مما دفع بعض الطالبيين للتفرق في نواحي بعيدة عن مكان سكناهم، والاختفاء فيها وإخفاء أسمائهم وهويتهم، وشجع آخرين – كسلوك طبيعي – على الثورة لمواجهة الظلم والاضطهاد والطغيان والحصار والقهر والاستبداد الذي كانت تمارسه السلطة ضدهم بغير حق. وقد أحصت كتب التاريخ أسماء حوالي (١٨ ثائرا من الطالبيين) في أقل من ثلاثين سنة

(٢٣٢ ـ ٢٦٠هـ)، مما يعكس مدى الحيف والظلم الذي لحق بهم آنذاك.

الميزة (٣) الترف والاستئثار بالثروة

لقد غلب على الخلفاء العباسيين والقائمين على السلطة في عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام البذخ والترف والإسراف، والاستئثار بالثروة وبيت المال، وتسخير مقدرات الدولة لخدمة مصالحهم الخاصة، وحرمان الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب من حقهم في الثروة، وظهر الغلاء الفاحش جدا في الأسعار، فعاشت الأغلبية الساحقة من الناس الجوع والكفاف، وتدهورت الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، وظهر الفساد في الأرض بما كسبت أيدي الحكام الظالمين وأعوانهم الفسقة المجرمين.

موقف الإمام من الثورات المخالفة لخطه

لقد كان موقف الإمام من الثورات المخالفة لخطه، مثل: ثورة الزنج، وثورة الخوارج التي اندلعت كنتيجة لظلم السلطة وطغيانها واستبدادها وانغماسها في البذخ والترف ونهب الثروة، ولما تعيشه الطبقات المستضعفة التي تمثل غالبية الشعب من الظلم والضيق والكبت والحرمان والكفاف، في غاية العدل والحكمة والدقة والتوازن، حيث كان ينطلق من الالتزام

الصارم برؤية فكرية وسياسية وأخلاقية واضحة وعالية جدا، وليس من شعور غريزي حيواني والسعي لحماية نفسه على حساب الآخرين. فرفض ما ارتكبته تلك الثورات من جرائم القتل للأبرياء، والسبي للنساء، والسلب والحرق، وغيره من الجرائم. وفي الوقت نفسه تفهّم دوافع تلك الثورات وظروفها، فلم يساند السلطة ضدها، ولم يوفر الغطاء الشرعي للسلطة لضربها.

وقوف الإمام إلى صف قواعده

أما بالنسبة إلى قواعده الشعبية وجماهيره، فكان يتتبع أخبارهم بدقة، ويتحسس أحوالهم، ويتواصل معهم، ويدعو الله عز وجل لهم، ويواسيهم في الأحزان والأفراح، ويمدهم بالمال اللازم لحل مشاكلهم، ويزوّدهم بالإرشادات والتوجيهات اللازمة من أجل تربيتهم الفكرية والروحية والأخلاقية ونشر الوعي الديني والسياسي والتنظيمي بينهم، ويمدهم بمقومات السمو والصمود والثبات، وكان يشجع العلماء منهم على الكتابة والتأليف، ويقوم بمراجعة وتصحيح الكثير مما يكتبون، مما أدى إلى تماسكهم، والتفافهم الصادق بوعي وإرادة فولاذية حول منهج أهل البيت عليهم السلام، واستعدادهم لدفع الأثمان الضخمة لولائهم الطاهر لأهل البيت عليهم السلام.

وهذا نموذج لدعائه لبعض شيعته يحمل الكثير من الدروس والعبر:

الدعاء الذي رواه عبد الله بن جعفر الحميري، قال: كنت عند مولاي أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، إذ وردت إليه رقعة من الحبس من بعض مواليه، يذكر فيها ثقل الحديد وسوء الحال وتحامل السلطان، فكتب إليه: «يا أبا عبد الله، إن الله عز وجل يمتحن عباده ليختبر صبرهم، فيثيبهم علي ذلك ثواب الصالحين، فعليك بالصبر، واكتب إلى الله عز وجل رقعة وأنفذها إلى مشهد الحسين بن علي عليه السلام، وارفعها عنده إلى الله عز وجل، وادفعها حيث لا يراك أحد، واكتب في الرقعة... »، وأورد دعاء طويلا كان منه قوله: «اللهم إني قصدت بابك، ونزلت بفنائك، واعتصمت بحبلك، واستغثت بك، واستجرت بك، يا غياث المستغيثين أغثني، يا جار المستجيرين أجرني، يا إله العاملين خذ بيدي، إنه قد علا الجبارة في أرضك، وظهروا في بلادك، واتخذوا أهل دينك خولا، واستأثروا بفيء المسلمين، ومنعوا ذوي الحقوق حقوقهم التي جعلتها لهم، وصرفوها في الملاهي والمعازف، واستصغروا آلاءك، وكذبوا أولياءك، وتسلطوا بجبروتهم ليعزوا من أذللت، ويذلوا من أعززت، واحتجبوا عمن يسألهم حاجة، أومن ينتجع منهم فائدة...».

وفي هذا الدعاء يشير الإمام العسكري عليه السلام إلى مظاهر الفوضى والفساد

والظلم التي طبعت الحياة السياسية آنذاك، كأسلوب من أساليب التوعية السياسية الممزوجة بالتربية الروحية وترسيخ الولاء العميق لأهل البيت عليهم السلام في تلك الظروف القاسية.

موقف السلطة من الإمام

في ظل تدهور الأوضاع العامة في الدولة، واستياء الناس الشديد من السلطة، وظهور الثورات ضدها، وفي المقابل: بزوغ نجم الإمام الحسن العسكري عليه السلام، واشتهار صلاحه وهديه بين الناس، وظهور التأثر به لدى العامة والنخبة والخاصة حتى المقربين جدا من السلطة، اشتد خوف السلطة إلى درجة الرعب من الانقلاب على السلطة لصالح خط الإمامة والولاية، فقامت بالتضييق على الإمام وحصاره وفرض الرقابة الدائمة والإقامة الجبرية عليه. وقد فرض الخليفة عليه: الحضور الإلزامي إلى قصر الخلافة كل يوم إثنين وخميس ـ كما فعلت السلطة من قبل مع أبيه ـ بهدف صهره في بوتقة الجهاز الحاكم. إلا أن الإمام عليه السلام لم يستسلم لضغوط السلطة، وواصل رغم كل ذلك التضييق والحصار، دوره الرسالي في الدعوة إلى الله عز وجل وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وقد نجح بصموده وحسن تخطيطه وإدارته في اختراق الحصار المفروض عليه، من خلال مجموعة إجراءات كانت في غاية الحيطة والدقة والكتمان. فقد شكل

لنفسه شبكة من الوكلاء الثقاة الذين يمثلون خط الإمامة الأصيل، ونشرهم على امتداد الساحة الإسلامية، فكان له وكيل في كل بقعة له فيها شيعة وأتباع، وكانوا يشكلون حلقة الاتصال بينه وبين قواعده الشعبية وجماهيره، وكان يعتمد أسلوب المكاتبة والتوقيع المحدد المعروف، ومن خلاله كان يجيب على الأسئلة، ويمارس الإرشاد والتوجيه على كافة الأصعدة، بهدف المحافظة على الإسلام الأصيل والمفاهيم الصحيحة والقيم الإسلامية الرفيعة، وخلق جيل مؤمن يتحلى بالوعي والسمو والصمود والثبات، وكل ذلك في غاية الحيطة والحذر والكتمان.

مثال: كان محمد بن علي السمري يحمل الرسائل والأسئلة والأموال في جرة السمن ويدخل بها على الإمام بصفته بائعا، ليرجع منه بالإجابة على الأسئلة، ويحمل منه الإرشادات والتوجيهات إلى شيعته وأتباعه.

وهذه قائمة بأسماء بعض الوكلاء:

١ ـ إبراهيم بن عبدة النيسابوري.

٢ ـ أيوب بن نوح بن دراج النخعي.

٣ ـ جعفر بن سهيل الصيقل.

٤ ـ حفص بن عمرو العمري المعروف بالجمّال.

٥ ـ علي بن جعفر البرمكي.

٦ ـ القاسم بن العلاء الهمداني.

٧ ـ عثمان بن سعيد العمري.

٨ ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٩ ـ محمد بن أحمد بن جعفر القمي.

١٠ ـ محمد بن صالح بن محمد الهمداني.. وغيرهم الكثير.

والخلاصة: لقد كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام مقاوما وممانعا من الطراز الأول، ومن سيرته العطرة نتعلم دروس الإرادة والثبات والصمود وحسن الإدارة والتخطيط. إن التخطيط وحسن الإدارة من أهم السمات البارزة في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وسببا لنجاحه في اختراق الحصار المفروض عليه ليؤدي دوره في التكليف الإلهي الواجب عليه وعلى شيعته وأتباعه، ولم يبحث لنفسه ولشيعته وأتباعه عن الذرائع والمبررات للقبول بالأمر الواقع، والتعايش مع الظلم والظالمين، والتخلي عن التكليف بالمقاومة والعمل على الهداية للناس والإصلاح في أمة الإسلام.

ينبغي أن نعلم:

بأن للتخطيط وحسن الإدارة أهمية كبيرة في النجاح وتحقيق الأهداف،

فمع توفر التخطيط وحسن الإدارة ينجح الأفراد والجماعات في تحقيق أهدافهم مهما كانت الظروف صعبة وقاسية، ومع غياب التخطيط وحسن الإدارة يفشل الأفراد والجماعات في تحقيق أهدافهم مهما كانت الظروف سهلة ومؤاتية، وهذا من أهم الدروس التي ينبغي أن نتعلمها من سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيث كان التخطيط وحسن الإدارة يتجليان في عمله في أبهى صورهما وأعظمها.

التمهيد لغيبة ولده المهدي

تميز العباسيون عن الأمويين بأن لهم بصيرة بأمور مهمة من أمور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بسبب قربهم منهم ومعرفتهم بهم. ولم يستخدم العباسيون هذه البصيرة لأداء حق أهل البيت عليهم السلام إليهم، وإنما استخدموها لحصارهم والتضييق عليهم بدافع غريزة الحكم والسلطة، وهي الحقيقة التي أظهرها هارون الرشيد إلى ولده المأمون بكل واقعية ووضوح، بقوله: الملك عقيم، ولو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك. ومن الأمور التي كان العباسيون على بصيرة بها من أمور أهل البيت عليهم السلام قضية الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكانوا يعلمون أو يتوقعون بدرجة كبيرة، أنه من ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا، فهو يمثل تهديدا جديا إلى سلطتهم. ولهذا قاموا

بمداهمات عديدة لمنزل الإمام الحسن العسكري عليه السلام بحثا عنه من أجل القضاء عليه!! يريدون بجهلهم حيث أعمت شهوة الحكم والسلطة بصيرتهم، محاربة الله جبار السماوات والأرض وكسر إرادته، وأنّى لهم، فكانوا كما قال الله تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)[1].

والدرس المستفاد من ذلك:

ضرورة فرض الرقابة والمحاسبة المنظمة على السلطة والقيادة؛ لأن تعطيل هذا الدور يؤدي ـ كنتيجة طبيعية ـ إلى ظهور الفساد حتى لو كان القائد أو الحاكم مؤمنا. وقد أثبتت التجارب: أن غياب الرقابة والمحاسبة للحاكم أو القائد مع وجود شهوة الحكم والرئاسة التي هي آخر ما يخرج من قلوب الصديقين، مما يغريه بالخطأ، لاسيما مع وجود المتملقين الذي يزيّنون له الخطأ، والجهّال الذين يبررونه له.

فمن حق القائد والحاكم على الأتباع والرعية:

فرض المراقبة والمحاسبة المنظمة عليه، من أجل حمايته من الخطأ والفساد

---

١. سورة الصف، الآية: ٨.

لكي لا يكون من الهالكين.

وأعتقد:

أن القيادة والرئاسة أخطر وأصعب ما تكون بالنسبة إلى المخلصين الشرفاء من الناس مع غياب الرقابة والمحاسبة المنظمة عليهم، مما يدفعهم إلى الابتعاد عنها.

وقد نجح الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التعاطي الدقيق والحكيم مع قضية ولده الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، بعد أن تكفل الله عز وجل بإخفاء حمله إلى اللحظة الأخيرة لولادته، ثم تولى الإمام الحسن العسكري عليه السلام مسؤولية المحافظة عليه وإثبات وجوده لشيعته، فأخفاه عن عيون الناس، وأظهره لخاصة شيعته وأوليائه، وعرّفهم آداب التعامل معه، مثل: عدم التصريح باسمه والدعاء له، وأن الاتصال به في غيبته الصغرى سوف يكون من خلال وكلائه بواسطة المكاتبات والتوقيعات، وقد لجأ هو وأبوه الإمام علي الهادي عليه السلام لهذا الأسلوب، تعويدا للشيعة عليه وتمهيدا للغيبة، حيث ابتعدا عن المجالس العامة، وكان الاتصال مع جماهيرهما وقواعدهما الشعبية يتم غالبا من خلال القنوات الخاصة المتمثلة في الوكلاء الخاصين بواسطة المكاتبات والتوقيعات، وكان السفيران: الأول عثمان بن سعيد، والثاني (ابنه) محمد بن عثمان بن سعيد، من وكلاء الإمامين: علي الهادي والحسن

العسكري عليه السلام، وكانت مكاتباتهما وتوقيعاتهما ومكاتبات وتوقيعات الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف تخرج بنفس الخط من أجل زيادة الاطمئنان إلى صحتها.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأعتذر إليكم عن كل خطأ أو تقصير، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الإسراء والمعراج مسيرة العرفان والحقيقة [1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي ومن سوء عملي، ومن شر الشيطان الغوي الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين ومن اتبعه بإحسان إلى قيام يوم الدين، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام على فاطمة الزهراء سيدتي وسيدة نساء العالمين، السلام على خديجة الكبرى، السلام على الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام على جميع الأوصياء، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، ومنار التقى، والعروة الوثقى، والحبل المتين والصراط المستقيم، السلام على الخلف الصالح الحجة بن الحسن العسكري (روحي وأرواح المؤمنين لتراب مقدمه الفداء)، السلام على العلماء والشهداء، السلام على شهداء الانتفاضة، السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله وبركاته.

---

١. بتاريخ ٢٧/ رجب/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٤/ ١٠/ ٢٠٠٢م في مسجد الشيخ خلف في قرية النويدرات.

قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[1]

الآيه الشريفة المباركة تتحدث عن رحلتي الإسراء والمعراج، ويطلق العلماء اسم الإسراء على رحلة الرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويطلقون اسم المعراج على عروج الرسول (رحلته) من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا.

المسيرة

وفي تقديري وفهمي أن رحلة الإسراء فيها تصوير رمزي مكثف للمسيرة التاريخية للإنسان، كما أن رحلة المعراج فيها تصوير رمزي مكثف لمسيرة الوجود ككل، الذي يعد الإنسان جزءاً منها وله دور محوري فيها، وأقدر أن رحلة الإسراء والمعراج تمثل ملحمة عظيمة من ملاحم القرآن الكريم. أسأل الله عز وجل أن يوفقني لإبراز بعض فصولها.

حدث ثابت ولكن

حدث رحلتي الإسراء والمعراج ثابت بإجماع علماء المسلمين، لكن

---

١. سورة الإسراء، الآية: ١.

الاختلاف وقع بينهم: هل أنه بالجسد والروح معا أم بالروح فقط، وهل هي في اليقظة أم في المنام،

وهناك ثلاثة أقوال:

القول الأول

أن الرحلتين تمتا بالروح والجسد معا.

القول الثاني

أن رحلة الإسراء تمت بالروح والجسد معا، أما رحلة المعراج فتمت بالروح دون الجسد، أي هي حالة من حالات الشهود أو الكشف الباطني، وهو يختلف عن القول الثالث.

القول الثالث

أنها رؤية في المنام، وهذا القول ضعيف، ومستبعد عند جل العلماء، ويستدلون على ذلك من قوله تعالى (أَسْرَى بِعَبْدِهِ)، ولفظ "العبد" في القرآن الكريم يدل على الروح والجسد معا، كقوله تعالى (الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى)[١]. أما الدليل الثاني الذي يستدلون به فهو استنكار المشركين على

---

١. سورة العلق، الآية: ٩ ـ ١٠.

الرسول بأنه أسري به من مكة إلى المسجد الأقصى، وعروجه إلى السماء ولـو تم ذلك في عالم الرؤيا لما احتاج الأمر إلى استنكار المشركين.

سيناريوهات الحادثة

في واقع الأمر نحن أمام ثلاثة مستويات لتبيُّن الأمر:

المستوى الأول

أن النبي ﷺ يدّعي بأنه رأى في المنام ما حدث له في الإسراء والمعراج، وأن المشـركين يكذبونـه في إخبـاره بالرؤيـا، ولـيس عـدم تصـديق إمكـان حدوث الرؤيا في حد ذاتها، وهـذا مسـتبعد؛ لأن الرسـول موصـوف عنـد المشركين بالصادق الأمين قبل البعثة.

المستوى الثاني

أن الرسول يدّعي بأنه رأى في المنام مـا حـدَّثَ بـه عـن رحلتـي الإسراء والمعراج، ويدّعي بأن له مكانة معنوية وأخلاقية عاليـة اسـتنادا إلى الرؤيـا، وهــذا أيضــا مســتبعد؛ لأن المشـركين لا ينكــرون هــذه المكانــة المعنويــة والأخلاقية للرسول ﷺ. ومن جهة ثانية، فإن الرؤيا الحسـنة قـد تحصـل لدى الإنسان الكافر أكثر مما تحصل للإنسان المؤمن، كما حصل لفرعـون في عهد النبي يوسف عليه السلام عندما رأى رؤياه التي عبرت عن مستقبل الدولـة،

فعندها لا يصبح هذا الأمر ميزة للرسول باعتباره نبيا مرسلا من قبل الله.

المستوى الثالث – موقع وجودي

أن الرسول يدّعي، بأن له موقعا وجوديا، وهذا الموقع الوجودي متصل بصدق النبوة، والاتصال بالسماء والملأ الأعلى، وهذا ما ينكره عليه المشركون، ينكرون عليه هذا الموقع الوجودي أو هذه المكانة الوجودية، والاتصال بالسماء، والملأ الأعلى، يعني النبوة.

ضرورة التفكير المنهجي

وهنا ينبغي أن نقف عند حادثة ارتداد بعض المسلمين، بعد سماعهم بأخبار حادثة الإسراء والمعراج، إننا نتفهم استنكار المشركين لأخبار حادثة الإسراء والمعراج؛ لأنهم لا يؤمنون أصلا بالموقع الوجودي، أو المكانة الوجودية للنبي محمد صلى الله عليه وآله، التي تعني النبوة، أما المسلمون فهم يؤمنون بالموقع الوجودي، أو المكانة الوجودية، التي أهلت النبي محمد صلى الله عليه وآله للنبوة وتلقي الوحي، وبالتالي فإن أخبار رحلتي الإسراء والمعراج، تنسجم مع هذا الموقع، ومع هذه المكانة، وهذا يشير إلى مسألة في غاية الأهمية، يجب أن نلتفت إليها، ونأخذ منها درسا في عقيدتنا، وهي: أهمية التفكير المنهجي السليم، فكثير من الأخطاء الفكرية والشبهات، هي وليدة الخطأ في منهج

التفكير، ولو التفت الباحث أو المفكر إلى هذا الخطأ، لما وقع في الانحراف أو الخطأ الفكري، ولما تولدت الشبهات في تفكيره. إن الكثير من الأخطاء الفكرية والشبهات، لا تحتاج لأكثر من الالتفات إلى الخطأ في المنهج الفكري وتصحيحه.

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) التنزيه يتطلب

التسبيح: معناه التنزيه، والناحية البلاغية في الصياغة تدل على المبالغة في التنزيه بمعنى ينزهه تنزيها، والتنزيه يتطلب أن ننفي عن الله كل ما لا يليق بساحة قدسه من الصفات والأفعال والأسماء، وفي المقابل نثبت له كل الأسماء الحسنى (وَللهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)[1]، والصفات العليا (صفات الجمال والجلال في اصطلاح علم الكلام)، والفعل الجميل، فالإنسان المؤمن إذا فكر في الله وصفاته وأسمائه وأفعاله، يدرك المقام العلي لله جل جلاله وبالتالي يتحرك قلبه ولسانه بتنزيه الله جل وعلا.

(أَسْرَى بِعَبْدِهِ) يختزن...

المقصود بالعبد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولفظ العبد هنا يختزن عدة

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

أمور بالنظر إلى مقام النبي محمد صلى الله عليه وآله ورسالته، حيث يختزن اللفظ الإخلاص لله عز وجل في الطاعة والعبادة، والإخلاص للرسالة أي المشروع، في التبليغ والتطبيق والتضحية من أجله، والإخلاص للناس الذين يستهدفهم المشروع أي الرسالة.

وصف الله نبيه بالعبد فيه عدة دروس مستفادة:

ضرورة الفصل

الدرس الأول

يكون من خلال المقابلة بين التسبيح لله وبين وصف النبي بالعبودية، وهذا يفيدنا بضرورة الفصل بين مقام الربوبية والعبودية، فمهما كان العبد عظيما لابد أن يكون بينه وبين الرب فاصل عظيم لا حدود له، هو الحد الفاصل بين المتناهي واللامتناهي، أو بين المحدود والمطلق. وفي ذلك تحذير مما وقع فيه النصارى مع النبي عيسى عليه السلام عندما ألهوه، وفيه أيضا تحذير مما وقع فيه فرعون عندما ادّعى الألوهية، فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[1]، وصدّقه الناس في ذلك واتبعوه.

---

١. سورة النازعات، الآية: ٢٤.

الدرس الثاني

أن هذه الأية فيها إشارة إلى أن الإنسان يصل إلى أعلى درجات الكمال كلما أخلص العبودية لله.

لا نستغرق.. فنألّه

الدرس الثالث

أن الأية تعلمنا كيف نتعامل مع العظماء، سواء كان العظيم ملكا أو قائدا أو رمزا، أو غير ذلك، فالآية تنبهنا بألا نستغرق في شخصية العظيم فنألّهه، بل نستغرق في ذات الله من خلال ذلك العظيم، فيجب أن ننظر إلى عظمة العظماء من خلال إخلاصهم وعبوديتهم لله أولا، ثم من خلال مشاريع عملهم، التي تهدف إلى خدمة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، ولا نستغرق في ذات العظيم من خلال موقعه أو ألقابه، وما يضفيه على نفسه من مظاهر زائفة أو غير حقيقية، بعيدة عن عمله وعبوديته لله.

(أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً)، السُّرى: يعني السير ليلا، فإذا كان الإسراء هو المسير ليلا، فلماذا ذكر سبحانه الليل؟ هنا نجد لهذا التعبير عدة فوائد:

المؤثرات في الدعوة

الفائدة الأولى

أن رحلتي الإسراء والمعراج تمت في ليلة واحدة بل في بعضها.

الفائدة الثانية

تنبّهنا الآية إلى المؤثرات الخارجية التي صاحبت الرحلة، وتركت آثارها في روحية النبي صلى الله عليه وآله، والتي تخدم أهداف الرحلة، وهنا نشير إلى: هدوء الليل وسكونه وهيبته، وجمال السماء بنجومها وأجرامها، وأن هذا الجو ترك أثره في معنوية النبي صلى الله عليه وآله وروحانيته بحيث تصعَّد روحيا، وتجلت له عظمة الذي أسرى به في ذلك الليل. هذا الصفاء يتناسب وغاية الرحلة ومنتهاها (**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**)، ونستفيد من ذلك درسا مهما، وذلك بأن نهتم بالمؤثرات الخارجية في إيصال الدعوة أو الرسالة إلى الناس، فالرسالة بطبيعتها قوية ومؤثرة، ولكنها تستفيد من الدعامات والمؤثرات الخارجية لتقوية أثرها في النفوس، فإننا نحتاج للمؤثرات الخارجية في إحياء مناسباتنا، فلا نقتصر على القصائد والكلمات بل نضفي شيئا من المؤثرات الخارجية ليكون وقعها أكبر، وقد جاء النص على تحسين الصوت في تلاوة القرآن، وبعض المؤثرات الأخرى في الصلاة مثلا.

(مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) واحة سلام

أي من الحرم المكي، الحرم الآمن، وفيه إشارة إلى الأمن (مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)[١]، فالمسجد الحرام يمثل واحة سلام في صحراء مادية ومعنوية، محفوفة بالمخاطر. نستفيد من القرآن الكريم وهو يحدثنا عن حادثة الإسراء والمعراج، بأنه يعطينا قيمة لهذا البيت، تلك القيمة المعنوية والمادية، التي تنبع من صلة هذا البيت بالله عز وجل، قوله تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)[٢]، فمن يريد الأمن والخير والسلام فليرتبط برب هذا البيت.

(إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) بركة عظيمة

المسجد الأقصى هو بيت المقدس، وسُمّي الأقصى؛ لأنه أبعد مسجد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في ذلك الزمان.

(بَارَكْنَا)، نسب البركة إلى نفسه، مما يدل على أن هذه البركة عظيمة، وقوله تعالى: (حَوْلَهُ) يدل على أنها شاملة وذات سعة، وأن البركة نابعة من هذا البيت. والبركة قد تكون مادية بما تعطيه الأرض من زراعة وأنهار، وتجارة

١. سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

٢. سورة قريش، الآية: ٣ ـ ٤.

وعمران، وقد تكون بركة معنوية، فالبيت كان مركزا للرسالات السماوية، ومأوى الأنبياء الذين يحملون الهداية للإنسان.

فالمسجد الحرام والمسجد الأقصى كلاهما مصدر للخير والأمن والسلام، ومن خلال هذين البيتين هناك حماية للحق والحياة، والسلام والعدل، وذِكرُ هذه الرحلة فيه الكثير من الدروس:

الدرس الأول: تعصب صليبي صهيوني

ما يحدث الآن في فلسطين في ظل الهيمنة الصهيونية على المسجد الأقصى، يعطينا أو يدلنا على أن البيت والرسالة التي يحملها في غربة تامة، ففي ظل الهيمنة الصهيونية هناك انتهاك لحرمة الأقصى والمقدسات الدينية، وذبح وتضييع لتراث الأنبياء، وانتهاك لحقوق الإنسان وحرماته، فلا أمن ولا سلام ولا هداية للناس، بل إضلال وتضييع، وأن ذلك كله يتم تحت رعاية من أمريكا والغرب، بما يقدمونه من دعم مادي سخي للصهاينة، وغطاء في مجلس الأمن والأمم المتحدة، ضد أي قرار محتمل يدين الصهاينة، في الوقت الذي يدّعون فيه أنهم أتباع المسيح، والصهاينة يدنسون المقدسات المسيحية والإسلامية على حد سواء، ويحاربون رسالة المسيح عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله على حد سواء، مما يعني أن أمريكا والغرب ينطلقون من تعصب صليبي بغيض ضد الإسلام والمسلمين، بعيد كل

البعد عن الرسالة الحقيقية للمسيحية، فالصليبية كالصهيونية لا علاقة لها بالمسيحية كدين، فكما أنه لا علاقة للصهيونية باليهودية كدين، كذلك لا علاقة للصليبية بالمسيحية كدين. فهؤلاء يدّعون بأنهم مسيحيون وهم يقدّمون العون لمن ينتهك المقدسات المسيحية بشكل سافر. هؤلاء مثلهم مثل الصهيونية لديهم مشروع سياسي صليبي حاقد تجاه الاسلام، والصهاينة لديهم مشروع سياسي صهيوني حاقد تجاه الإسلام، فالصهيونية ليس لها علاقة باليهودية كدين، والصليبية ليس لها علاقة بالمسيحية كدين، سوى التذرّع ولبس الغطاء الديني للوصول إلى مشاريعهم الحاقدة. وقد عبّر الرئيس الأمريكي بشكل فاضح عن ذلك التوجه الصليبي، وعن نواياه تجاه المسلمين، عندما وقّع على قرار الكونجرس بأن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل.

الدرس الثاني: وارث الرسالات والمقدسات

أنه في الأحاديث أن النبي محمد ﷺ تمثل له الأنبياء في بيت المقدس، وأنه أمَّهم في الصلاة، وفيه دليل على الوحدة التاريخية لخط الرسالات، قال

تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[١]، وتمثلت هذه الوحدة في الرموز الذين هم الأنبياء، والمقدسات الدينية التي ترتبط بتاريخهم ورسالتهم، ومن خلال ائتمام الأنبياء خلف الرسول الأكرم نستدل على أن النبي ورث الأنبياء وورث رسالاتهم ومقدساتهم، وأن ذلك كله أمانة اليوم لدى أمة محمد صلى الله عليه وآله، وعلينا أن نسأل أنفسنا عن هذه الأمانة، هل حفظناها؟!! أم ضيَّعناها؟!!.

الدرس الثالث: تتجاوز الجغرافيا والسياسة

أن المسئولية الرسالية، وهي المسئولية تجاه العقيدة ورموزها ومقدساتها، هذه المسئولية تتجاوز الحدود السياسة والجغرافيا، فالرسول صلى الله عليه وآله خرج من بلده مكة إلى المسجد الأقصى، وبه تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية، وهذا يدلنا على أن سلطة العقيدة ومقدساتها فوق كل سلطة، ومسئولية المؤمن تجاه رسالته ورموز الرسالة ومقدساتها تتجاوز حدود الجغرافيا والسياسة، فلا يجوز أن تتحكم الجغرافيا أو السياسة في حرية الإنسان في عقيدته، ومسئولياته تجاه عقديته ورموزها ومقدساتها، فلا أحد يستطيع

---

١. سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

اليوم أن يقول – مثلا – بأن المسجد الأقصى هو مسئولية الفلسطينيين فقط.

الدرس الرابع: مؤشر العزة أو الذلة

أن مسألة القدس هي سر عزة المسلمين ومجدهم وكرامتهم، فهي المؤشر على ما هم عليه من العزة أو الذلة. فإذا أردنا أن نعرف عزة السلمين أو ذلهم اليوم، فلننظر إلى وضع القدس لتعطينا مؤشراً لما هم عليه الآن، باعتبارها أمانة لديهم، فإذا انتهكت حرمة المسجد الأقصى على يد الصهاينة، والمسلمون لا يحركون ساكنا تجاه مصيره، فأي عزة وكرامة لديهم؟ فإذا كانت هذه الانتهاكات الصارخة لحرمة المسجد الأقصى لا تحرّك نخوة المسلمين، وضمير المسلمين، فأي شيء بعد الأقصى يمكنه أن يحرّكهم؟ إن وضع الأقصى اليوم، يدلنا على ما يعانيه المسلمون من ذل واستصغار وهوان، وإن استعادة العزة والكرامة للمسلمين، مرهون بتحرير المسجد الأقصى، وسوف تكون قمة الكرامة والعزة، بظهور صاحب العصر الزمان، الحجة ابن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الذي سيحرّر الأقصى والمسلمين من ذلتهم، ويعرج في مدارج الكمال إلى الله رب العباد جميعا.

الغاية من الرحلتين (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)

تبين الغاية من رحلة الإسراء والمعراج بأن يمتلأ قلب النبي صلى الله عليه وآله بآيات الله، فيخشع قلبه ويمتلئ إيمانا، وتزويده بكل ما يحتاجه في قيادته وهدايته للأمة، بحيث يستوعب الرسالة وقيمتها، وتزوّده الآيات بالطاقة التي يحتاجها في السعي لتحقيق أهداف الرسالة وتطبيقها على أرض الواقع. وقد نسب ذو العزة والجلال الآيات إلى نفسه لتعطي دلالة على عظمتها. وقوله تعالى: (مِنْ) تفيد التبعيض بحيث تخبرنا الآية بأن النبي لم يرَ كل الآيات وإنما رأى بعضها؛ لأن الانسان مهما كان عظيما، وإن كان بعظمة النبي صلى الله عليه وآله ، الذي دنا فتدلى من العلي الأعلى، فبينه وبين الرب حدود لا نهاية لها.

والسؤال ما هي الآيات الكبرى التي رآها صلى الله عليه وآله ؟

الآيات العظيمة

الجواب: لقد رأى صلى الله عليه وآله الكثير من الآيات العظيمة، فقد دنا فتدلى، ورأى من الآيات الكبرى ما لا حدود له في عقل الإنسان. وأول هذه الآيات الفترة الزمنية التي استغرقتها رحلتا الإسراء والمعراج، وهي فترة وجيزة من ليلة واحدة. أما الإسراء، وهي رحلته صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فإن العقل البشري في الوقت الراهن، يستوعب

الانتقال السريع بين المكانين في فترة وجيزة بالوسائل المادية، فقد استوعب العقل البشري اليوم، سرعة الضوء، والصواريخ والمركبات الفضائية، ويستطيع أن يفهم "البراق" على أنها وسيلة نقل سريعة هيأها الله جل جلاله لنبيه صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت، وليس ذلك على الله بعسير.

تأثير الملكوت

ونستطيع أن نعطي فهما آخر لوسيلة الانتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، في ضوء آيات ومفاهيم القرآن، وذلك عن طريق تأثير الملكوت في عالم الأشياء، ومثال ذلك من القرآن، قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)[١]، فقد استطاع هذا الذي عنده علم من الكتاب، أن ينقل عرش بلقيس، وهو شيء مادي، بكماله وتمامه، وبدون أن يلحق به أي ضرر، أو يتغير شيء من وجوده أو شكله، من اليمن إلى القدس ـ واليمن أبعد مسافة من مكة التي انتقل منها الرسول صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس ـ في أقل من طرفة عين، وذلك بفعل أو تأثير عامل ملكوتي، فيمكن أن نفهم أيضا "البراق" بأنها من عوامل الملكوت.

---

١. سورة النمل، الآية: ٤٠.

عروج كعروج الملائكة

أما المعراج، فهو يقينا بوسيلة ملكوتية، تماما كعروج الملائكة إلى الملأ الأعلى، قوله تعالى في سورة المعارج: (مِّنَ اللهِّ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[١]، وقد جاء في الروايات، أن جبرئيل عليه السلام حمل رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذه أول الآيات العظيمة، التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله في رحلتي الإسراء والمعراج، وأقدر بأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد عرج به، وقطع من المسافة في تلك الفترة الوجيزة، أكثر بكثير مما تقطعه الملائكة في عروجها إلى الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فأي آية عظيمة رآها صلى الله عليه وآله في ذلك.

الصور الملكوتية

ومن الآيات التي رآها صلى الله عليه وآله تمثل الأنبياء له في المسجد الأقصى وفي السماوات السبع، وتحدّثه إليهم، وتحدّثهم إليه، ورؤيته الملائكة، وتحدّثه إليهم، وتحدّثهم إليه، وقد رأى جبرئيل عليه السلام في صورته الملكوتية الحقيقية، رآه مرتين في تلك الرحلة على هذه الصورة، ورؤيته المتجسدة للصور الملكوتية للأشياء والأعمال في عالم البرزخ، ورؤيته لسدرة المنتهى، التي

---

١. سورة المعارج، الآية: ٣ ـ ٤.

تنتهي عندها الأعمال، وعروج الملائكة... إلخ، ورؤيته النار، ودخوله جنة الخلد، ثم ذهب في عروجه إلى الله ودنوّه منه، حتى تجاوز الحجب الأربعة، بعد سدرة المنتهى، التي توقف عندها عروج جبرئيل عليه السلام، وقال: (لو دنوت أنملة لاحترقت)، وذهب صلى الله عليه وآله منفردا في عروجه حتى بلغ السبحة، التي فسرها أهل البيت عليهم السلام بجلال الله، أي أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، قد بلغ الحد الفاصل بين الخالق والمخلوق، أي الحد الذي لا يمكن أن يتجاوزه أي مخلوق في كماله، أي مهما بلغت درجة كماله. وإليك أن تتأمل وتفهم عظمة الآيات التي رآها صلى الله عليه وآله في هذه الرحلة الملحمية العظيمة، وهي تدل على عظمة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى حد يتصاغر دون استيعابها واستيعاب أبعادها عقل الإنسان، ولكي نفهم ذلك، نقف على قوله تعالى عن نبيه العظيم موسى بن عمران عليه السلام: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا)[١]، فقد صعق موسى عليه السلام لهذه الآية العظيمة، ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من آيات ربه، ما هو أعظم وأعظم بكثير من هذه الآية، ولم يصعق صلى الله عليه وآله، فإليك أن تتأمل وتفهم عظمة الرسول صلى الله عليه وآله.

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ورؤية الآيات فيها الكثير من الدروس والعبر منها:

تأهيل.. تفكر.. تطوير

الدرس الأول: أن الآية تنبّهنا إلى ضرورة تأهيل الرموز والقادة، وتزويدهم بكل ما يحتاجونه من علم ومعرفة في أداء مسئولياتهم.

الدرس الثاني: أن الآية لتحض الإنسان على التفكر، وتجاوز حدود المألوف والنظر إلى البعيد، فلا يقيده في ذلك سوى المنهج العلمي المحكم.

الدرس الثالث: تنبهنا الآيات إلى ضرورة التطوير من وسائلنا، والاستعانة بالتكنولوجيا في حياتنا ومسيرتنا؛ لأن البراق وسيلة متطورة، وهو حالة غير مألوفة في الانتقال.

البعد الملكوتي للعلم

الدرس الرابع: وهو نظرتنا إلى العلم، أي يجب أن ننظر إلى العلم من ناحية ملكية وملكوتية، فلا نكتفي بالنظر إلى الأشياء من خلال وجهها المادي الذي يواجهنا فقط، وإنما يجب أن ننظر إلى الأشياء من وجهها الملكوتي، أي الوجه الذي يربطها بالله جل جلاله، فهو الذي خلقها، فهي تدل عليه وعلى أسمائه وصفاته، فنحن بهذا ننظر إلى عظمة الله من خلالها، قوله

تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)[١]، فالنظر إلى الأشياء من خلال وجهها المادي فقط ظلم عظيم من الإنسان إلى نفسه، وتضييع إلى الحقيقة، وابتعاد عن الغاية التي يجب أن يتوجه إليها الإنسان في حياته، وهي كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[٢]، وقوله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[٣]، فلا نضيّع الفرصة، بتسخير العلم للأغراض المادية، دون النظر إلى البعد الملكوتي الذي يربطنا بالله جلّ جلاله، ويخدم الغاية القصوى التي من أجلها خلقنا سبحانه وتعالى.

الدرس الخامس: ترشدنا الآية الشريفة المباركة إلى أهمية وأفضلية السلوك والمعرفة العرفانية.

ساحة قدرة وسلطة ولطف (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)

الضمير (إِنَّهُ) يعود إلى الله، ويبعث اللفظ إلى قلوبنا الهيبة من الله والرهبة منه، ويدلنا على أن رحلة الإسراء والمعراج جاءت من ساحة القدرة،

---

١. سورة فصلت، الآية: ٥٣.

٢. سورة الذاريات، الآية: ٥.

٣. سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

فبقدرته جل جلاله، أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعـرج به إلى السماوات العلا، ومن ساحة السـلطة، أي بسـلطته جل جلاله عـلى مسـيرة الإنسان في الأرض، ومسيرة السماء والوجود ككـل، أسرى وعـرج بعبـده، وأيضا من ساحة لطفه وحكمته ورحمته فعل ذلك بعبده ورسوله صلى الله عليه وآله.

أهلية الرسول (السَّمِيعُ البَصِيرُ)

أي السميع والبصير بكل ما دقَّ ولطُف في السماء والأرض، فهو العليم بكل ما هو مسموع ومبصر في الأرض والسماء، ويذكرنا ذلـك في سـياق الآية بقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء يوم الجمعة: (العليم الـذي لا ينسى من ذكره، ولا ينقص من شكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه)، فهو السـميع بـأقوال النبـي وهـو البصـير بأفعالـه، ولقـد رأى وسمع من أقواله وأفعاله ما يدل عـلى إخلاصـه لله جل جلاله، وأهليتـه لكرامـة رحلتي الإسراء والمعراج.

في المكان المناسب

والدرس المستفاد بأن نضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وألا نغتر بالمظاهر، وإنما نبحث عن حقـائق الرجـال وإمكانيـاتهم الفعليـة، لنـوليهم المناصب والمسئوليات العامة. وقال بعض المفسرين إن قوله تعالى: (السَّمِيعُ

البَصِيرُ) فيها بشارة للمـؤمنين، وفيهـا تهديـد للعاصـين؛ لأنـه تعـالى يعلـم المؤمنين برحلة الإسراء والمعراج، فيبشّرهم بالجنة والثواب العظيم، ويعلـم الكافرين بالإسراء والمعراج، فيحذّرهم من النار والعذاب الأليم.

وقفة مع عيد الغدير الأغر[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة طرفة عين أبدا يا كريم.

اللهم معهم.. معهم، لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني والتبريك إلى مقام إمامنا ومولانا وسيدنا

---

١. بمناسبة عيد الغدير الأغر. في مأتم الحدادة ـ مدينة المحرق. ليلة الجمعة. التاريخ: ٢٠/ ذو الحجة/ ١٤٢٩هـ. الموافق: ١٨/ كانون الأول/ ٢٠٠٨م.

وشفيع ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى كافة المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة، بمناسبة عيد الغدير الأغر، أعاده الله عز وجل علينا ونحن على حال أحسن من هذا الحال: إسلاميا ووطنيا، إنه سميع عليم قادر على ما يشاء.

أيها الأحبة الأعزاء، سوف تكون لي في هذه الليلة الشريفة المباركة وقفة تأمل مع عيد الغدير الأغر، محددة في نقاط، وهي:

النقطة (١) أهمية الولاية في الإسلام

عيد الغدير الأغر يعبر عن الفرح الروحي بالولاية للأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأوّلهم وأفضلهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي توّجهُ الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بتاج الإمامة والولاية في يوم الغدير بتاريخ (١٨/ ذو الحجة/ ١٠هـ)، وأمر المسلمين بمصافحته ومبايعته والإقرار له بالولاية، وفعلوا ذلك ولم يتخلف منهم أحد. والاحتفال بعيد الغدير ـ الذي هو عيد الإمامة والولاية ـ يدل على الأهمية العظمى للإمامة والولاية في الإسلام، ونظرا لأهميتها فقد عُدّ عيد الغدير العيد الأكبر في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، إذ قال فيه الإمام الرضا عليه السلام:

«وإن يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب»؛ لأن الولاية لأهل البيت عليهم السلام من الإسلام بمثابة الروح من الجسد، فالطريق إلى الله ذي الجلال والإكرام لا يمرّ إلا عبر النبوة والولاية لأهل البيت عليهم السلام، وأن ما في الإسلام من الخير والصلاح والفلاح والهداية والسعادة مشروط بالولاية لأهل البيت عليهم السلام،

فبدون النبوة والولاية:

- لا يمكن أن يُعرف الله سبحانه وتعالى حق المعرفة.
- ولا يمكن أن يُعبد الله سبحانه وتعالى ويُطاع بشكل صحيح.
- ولا يمكن أن يُطبق الإسلام الحنيف، وتُقام دولة العدل الإلهي على أرض الواقع بشكل تام وصحيح.
- ولا يمكن أن تُقام الحجة التامة لله عز وجل على الناس.

ويدل على ذلك من ناحية النص:

قول الله تعالى قبل التبليغ بالولاية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]، حيث يدل

---

١. سورة المائدة، الآية: ٦٧.

على أن عدم التبليغ بالولاية يلغي كل الجهد التبلغي الذي قام به الرسول الأعظم الأكرم ﷺ للرسالة.

وقول الله تعالى بعد التبليغ بالولاية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا)[١]، حيث يدل على أن كمال الدين وإتمام النعمة الربانية على الإنسانية والمسلمين قد تم بالتبلغ بالولاية ـ التي تمثل الامتداد الطبيعي لمشروع الرسالة ـ وليس قبلها.

ويدل على ذلك من الناحية الواقعية:

اختلاف المسلمين حول القرآن الكريم والسنة الشريفة وشروط الإمامة، وقد ذهب بعض المسلمين إلى القول بصحة خلافة الفاسق وحرمة الخروج عليه، وما جرى بين المسلمين في عهد مبكر من حروب وفتن، وصراعات دامية وتمزق، وضياع الخلافة والسيادة، وهيمنة القوى العظمى على أراضي المسلمين ومقدراتهم، وما تعيشه الشعوب الإسلامية اليوم من مآزق لا تعرف السبيل للانتصار عليها ولا كيفية الخروج منها، وأصبح من المستحيل ـ وفق رؤية مدرسة الخلفاء للخلافة الإسلامية ـ تحقيق الوعد الإلهي بظهور المهدي الموعود في آخر الزمان وقيامه بالدور الموعود بإظهار

---

١. سورة المائدة، الآية: ٣.

الدين الحق على الدين كله وإقامة دولة العدل الإلهي العالمي، إذ يستحيل ـ نظريا وعمليا ـ الاجتماع على إمامته، إذ لا يعدو كونه ـ من الناحية الدينية ـ مجتهدا في مقابل المجتهدين الآخرين ـ ومن الناحية السياسية ـ سلطانا في مقابل السلاطين الآخرين، فلا يمكن الاجتماع على إمامته عجل الله فرجه الشريف إلا إذا كان إماماً منصوصاً عليه ينوب عن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله في التشريع والحكم والقضاء، فهو يمتلك التصور المعصوم الواضح للإسلام وتطبيقاته على الواقع بنفس القوة التي كان يمتلكها الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، فيحفظ بذلك للإسلام خطه وامتداده الطبيعي ونقاءه وعمقه وقوته، وبهذا يكون اختياره أمراً لا دخل للناس فيه، كما لا دخل لهم في اختيار الأنبياء، فيكون هو الفيصل في فهم النصوص الشرعية وتطبيقاتها، وفي فضّ المنازعات بين المتخاصمين، وفض الاختلافات السياسية كما كان الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، فيمنع بذلك الاختلاف في الدين، والانقسام والتناحر في السياسة.

النقطة (٢) الولاية ووحدة الأمة

رغم تمسّك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بحقه في الخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله إلا أنه لم يتخذ ذلك سبيلا لمواجهة الخلفاء، وإضعاف الأمة، وتقويض دعائم المجتمع الإسلامي، والإخلال بالنظام

العام للمجتمع والدولة، وإنما كان له كامل الحرص على حفظ الدين الحنيف، وحفظ وحدة الأمة ومصالحها العليا.

- فقد أبان عليه السلام حقه في الخلافة، وعمل على تكوين الحركة التصحيحية في الأمة في بعدها: الفكري، والعملي، والمجتمعي.

- ونصح للخلفاء وأشار عليهم بما فيه مصلحة الدين والأمة، وزهد في المنافسة الدنيوية على السلطة والتزاحم على المكانة والزعامة السياسية، فلم يدخل فيها، وابتعد عنها ابتغاء لمرضاة الله عز وجل ونصيحة للمؤمنين والمسلمين، وقام فقط بما يمليه عليه التكليف الشرعي في جميع الظروف والأحوال.

- ونظر إلى الحركة التصحيحية التي أقامها على أنها جزء لا يتجزأ من الأمة، وأنها غير منفصلة عنها، وأنهما (الأمة والحركة) يرتبطان بمصير واحد، فلم يفرط في مصير الأمة ومصالحها العليا، بدعوى مقتضى مصلحة الحركة التصحيحية التي أقامها.

- ودفع بشيعته - وخاصة أصحابه - للمشاركة في الأنشطة العامة للأمة والفتوحات الإسلامية بقيادة الخلفاء، وقدم كل ما لديه من الدعم المادي والمعنوي، ولم يأمر شيعته - وخاصة أصحابه - بالعزلة أو الانفصال عن

الأمة وأنشطتها العامة.

وقد سار الأئمة من أبنائه عليهم السلام، ثم خلفاؤهم الفقهاء في عصر الغيبة، على المنهج ذاته الذي سار عليه، ولم يخالفوه.

النقطة (٣) الولاية والمعارضة

رغم تأكيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على أنه الإمام المفترض الطاعة في التشريع والحكم والقضاء، بالنص الإلهي على إمامته، إلا أنه لم يتخذ ذلك سبيلا لمنع الرأي الآخر، ومنع مراقبة الحاكم والمسؤولين في الدولة ومحاسبتهم، بهدف التصحيح والتطوير في المجتمع والدولة.

- فقد سمح للمدارس الفكرية بالظهور ودعاها للحوار والمناقشة، وناقش آراءها مناقشة علمية تقوم على الحجج الشرعية والبراهين العقلية، ورفض سياسة الانغلاق والسباب والشتم والعنف والخداع؛ لأن هدفه في الحياة هداية البشرية، وإنقاذها من الجهالة والضلال.

- ومارس المعارضة النزيهة الصادقة، وسمح بظهورها وإبداء رأيها في كل الشؤون العامة – السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها – في فترة حكمه، ولم يتعرض للقائمين على المعارضة بسوء، ما لم يخرجوا على قواعد المعارضة وشروطها الشرعية واستخدامها كوسيلة للإفساد في

الأرض والإخلال بالنظام العام والإضرار بالمصالح العليا للمسلمين، فلم يبطش بهم، ولم يكرههم على الالتزام بسياسته، ولم يحرمهم من حقوقهم الطبيعية، ولم يقطع معهم سبل الحوار، ولم يمنعهم العطاء من بيت المال، ومن أخلَّ بالقواعد والشروط قام بمواجهته سياسيا وعسكريا ـ بمقدار الحاجة بدون إفراط ولا تفريط ـ حفاظا على الدين والنظام والمصالح العليا للمسلمين، وليس من أجل الاستبداد بالرأي والدكتاتورية في الحكم. وأدار الحكم على أساس الشورى، وسمح للأمة بالمراقبة والمحاسبة والنقد، ورتّب على ذلك آثارا فيما يتعلق بالمواقف والولاة والمسؤولين في الدولة.

النقطة (٤) الولاية والكفاءة

إن تمسك مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بعقيدة الإمامة والولاية لـه دلالات عديدة، منها:

- الرفض والمقاومة وعدم القبول بـالأمر الواقـع، فلـم يقبـل الأئمـة عليهم السلام وشـيعتهم بـالأمر الواقـع الـذي فرضـه الخلفـاء عـلى الأمـة، وقـاوموه بالأساليب المشروعة.

- أن الأصل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو التمسك بالمبادئ الربانيـة، وفي

مقدمتها: الحق والعدل الاجتماعي، وعدم التنازل عنها تحت طائلة الترغيب والترهيب، وكان لديهم الاستعداد التام لتقديم التضحيات الجسام في سبيل إقامتها.

- تتشدد مدرسة أهل البيت عليهم السلام في صفات وشروط القيادة، مما يؤكد شرط الكفاءة لدى القيادة، وقدرتها على خدمة القضايا العامة للأمة، وتحقيق الأهداف الرسالية في الدولة والمجتمع. وبحسب مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإن الأهداف الرسالية والقضايا العامة للأمة مقدّمة على الأشخاص وليس العكس. وهذه القاعدة تشمل القيادة، بل القيادة هي أول ما يُنظر إليه في العمل بهذه القاعدة وتطبيقها؛ لأن القيادة هي الوسيلة إلى تحقيق الأهداف وخدمة القضايا العامة، وأن التسامح في شروط القيادة وصفاتها وكفاءتها يؤدي إلى ضياع القضايا والفشل في تحقيق الأهداف، وهذا بخلاف العقل والحكمة والدين.

- أن عقيدة الولاية تقتضي الالتزام بمرجعية أهل البيت عليهم السلام الدينية والزمانية، وبمنهجهم الفكري والتشريعي والسياسي والأخلاقي، والاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم السامية، مثل: العلم، والحلم، والسخاء، والإيثار، والصبر على النوائب، والشجاعة في المواقف، وتحمل المشاق، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الله عز وجل،

وإعلاء كلمة الحق، وإقامة العدل، ونشر الفضيلة، والتوكل على الله عز وجل، والتسليم لأمره، والابتعاد عن كل فتنة وتنازع وتفريق بين المسلمين والمؤمنين، والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح ابتغاء مرضاة الله عز وجل والزلفى لديه، وبدون ذلك تفقد الولاية فلسفتها وقيمتها العملية في الحياة.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

في ذكرى عاشوراء[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة طرفة عين أبدا يا كريم.

اللهم معهم.. معهم، لا مع عدوهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أحر التعازي وأصدق المواساة إلى مقام إمامنا ومولانا

---

١. في قرية النويدرات ـ مأتم الجمعية الحسينية. ليلة الثلاثاء. بتاريخ: ١/ محرم/ ١٤٣٠هـ . الموافق: ٢٩/ ديسمبر ـ كانون الأول/ ٢٠٠٨م.

وسيدنا وشفيع ذنوبنا في يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة الأعزاء، بمناسبة ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المعظمة.

أيها الأحبة الأعزاء، نقف في هذه الأيام العظيمة على مناسبتين جليلتين، وهما:

- توديع عام واستقبال عام هجري جديد.
- ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

وسوف أقف عند كل من هاتين المناسبتين وقفة تأمل ونظر؛ لنأخذ منها بعض الدروس والعبر على طريق الكدح في ذات الله ذي الجلال والإكرام، والارتقاء إليه على الصعيدين: الفردي والمجتمعي.

الوقفة (١) توديع عام واستقبال عام هجري جديد

ثمة حقائق مصيرية يجب أن يقف عليها الإنسان، ويأخذها مأخذ الجد الذي ليس فوقه جد، وهي:

- أن الإنسان مخلوق، وهو مفتقر إلى خالقه في كل شيء، وأنه راحل إليه ولا

مناص له من المثول بين يديه، ومحاسبٌ في يوم القيامة.

• أن الحياة الدنيا دار الفقر والفناء، وأن الآخرة هي دار الغنى والبقاء، وأن الإنسان في الآخرة إما شقي معذب مع الشياطين في نار جهنم، أو سعيد منعّم بصنوف الطيبات مع الأولياء الصالحين في الجنة.

ونخلص مما سبق إلى النتائج المهمة التالية:

• يجب على الإنسان أن يتجهز للآخرة، وأن يسلك طريق السعادة فيها، وهو طريق الطاعة لله وحده لا شريك.

• وأن الإنسان العاقل لا يمكن أن يؤثر الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية، مهما أعطي من منافع الدنيا وسلطانها، وكل تقديم للدنيا على الآخرة فهو دليل على ضعف العقل والإيمان وقلة الحياء مع الله سبحانه وتعالى، وفاعله محجوب بحجاب الهوى والذنوب عن رؤية الحق وعن التعلق بعالم القدس والطهارة، ومحروم من القرب والزلفى لدى الرب الرؤوف الرحيم، ومن مجاورة الأولياء الطاهرين في الفردوس الأعلى في الآخرة.

والخلاصة

أن الإنسان العاقل يعمل من أجل الآخرة بكامل الجد والاجتهاد، ولا

يتوانى أو يقصر في العمل من أجلها، ولا يمكن أن يُخدع عنها بالآمال والأماني الفارغة، وأنه يبادر إلى الاستغفار عن كل تقصير والتوبة من كل ذنب.

وقفة مع الزمن

أيها الأحبة الأعزاء، كل شيء في الوجود خلق لغاية بالغة، وهو خاضع للتدبير الإلهي المحكم، ومنتهاه إلى الله العزيز الجبار، وإن الإنسان هو لب الوجود، وإنه قادر على أن يمنح الوجود قيمة إضافية لا يستطيع غيره أن يمنحها إياه. فالإنسان هو الكائن الذي يحمل الوعي وإرادة الاختيار بامتياز مع درجة الشرف، وهو الكائن الوحيد الذي يصنع ماهيته بنفسه من خلال علمه وعمله، فهو بعمله: إما شيطان شرير أو ملك عظيم. والزمن هو حلبة السباق والمنافسة التي تمنح الإنسان الفرصة الواسعة والوحيدة للفوز والارتقاء والتقدم في ساحة الشرف والنبل والتسامي، حيث لا يعود الزمن، ولا تتكرر الفرصة. والساعات والليالي والأيام والشهور والسنوات هي محطات الطريق والمراقبة، ولكل منها خاصيتها، والزاد هو التقوى، والغاية هي رضا الرب تبارك وتعالى وتحقيق أفضل نموذج للإنسان.

فقد جعل الله تبارك وتعالى من الأوقات (الساعات والليالي والأيام

والشهور والسنوات) منازل سفر الإنسان إلى الآخرة، وشاهدا يحيط بحركة الإنسان من جميع الجوانب؛ ليقدم شهادته بين يدي الله جل جلاله في يوم القيامة، فيما حمل (أي الإنسان) من المسؤوليات الربانية: الفردية والمجتمعية في الحياة، وبدون هذه المسؤوليات يفقد الزمن قيمته وتفقد حياة الإنسان قيمتها.

وقد جعل الله تبارك وتعالى في الأوقات نفحات طيبة، يجب على الإنسان مراقبتها، والعمل بما ورد فيها من الأعمال الواجبة والمستحبة قدر استطاعته، مع مراعاة الصدق والاخلاص في النية؛ ليحصل الإنسان على فوائدها القدسية وكمالاتها الروحية؛ ليكون من أهل السبق والفوز والسعادة والزلفى لدى الرب الجليل في يوم القيامة.

قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1].

وقال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «إن لربكم في أيام دهركم

١. سورة السجدة، الآية: ١٥ ـ ١٧.

نفحاتٍ، ألا فتعرّضوا لها ولا تُعرِضوا عنها».

والخلاصة

يجب أن تكون لنا في نهايات الأوقات (الليالي والأيام والشهور والسنوات) وقفات تأمل وحسابٌ مع النفس، لنعلم أين نقف من الحقيقة العظمى وإلى أين نسير، وأن نحذر من الغفلة والتجاهل، فإن الأمر خطير.. خطير.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

وتمتاز السنة الهجرية في شعور المسلم: بأنها تحمل ــ لصلتها بالهجرة النبوية ــ معنى المسؤولية في حياة كل مسلم نحو الرسالة والبشرية، والاستعداد التام لتقديم التضحيات بكافة أشكالها من أجل خدمة الرسالة والبشرية قربة لله تعالى، وتلغي التعذر بالضعف وقلة العدد والعدة، ما دامت الفرصة متاحة أمام الإنسان لتغيير المعادلة من خلال:

---

١. سورة الحشر، الآية: ١٨ ـ ١٩.

- الإبداع في التفكير والتخطيط.
- والإخلاص في العمل.
- والصدق في تقديم التضحيات.

فلا يجوز للمسلم، وهو يستحضر ذكرى الهجرة النبوية الجليلة، أن يقف موقف الحياد واللامبالاة أمام القضايا الكبرى والمصيرية في الحياة، ويتخلى عن مسؤولياته الرسالية المتمثلة في: إظهار الحق في مقابل الباطل، وإقامة العدل في مقابل الظلم، ونشر الفضيلة في مقابل الرذيلة، ومقارعة الطواغيت والظالمين والمفسدين في الأرض، فإنهم مظاهر الظلام والخراب والشؤم والفناء. وعليه أن يكون مستعدا لتقديم التضحيات بكافة أشكالها، بهدف كسر الطوق المفروض على المظلومين والمستضعفين، والتحرر من سيطرة الطغاة والمستكبرين والمفسدين في الأرض، ليفوز برضا الله تبارك وتعالى والزلفى لديه والحياة السعيدة الخالدة في الجنة.

الوقفة (٢) ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام

لن أذكر الليلة ما حدث على سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وعلى أهل بيته وأصحابه في كربلاء المقدسة، فكلكم يعرف ذلك ويقف عليه مع خطباء المنبر الحسيني، ولكن سأحاول تبيان النظرة المطلوبة لفاجعة كربلاء

الأليمة، وكيفية التعاطي في إحياء هذه المناسبة الجليلة.

كيفية التعاطي في إحياء هذه المناسبة الجليلة

• يجب على كل مؤمن موالٍ لأهل البيت عليهم السلام أن يُظهر في ذكرى عاشوراء الأليمة ـ بحسب إرشاد أئمة الهدى عليهم السلام، وهم أطباء النفوس والقلوب، وبحكم الولاية والمحبة والوفاء لأهل البيت عليهم السلام ـ الحزن والتفجع مواساة لأهل البيت عليهم السلام للمصائب الجليلة والرزايا الفجيعة التي أصابتهم عليهم السلام في كربلاء المقدسة في شهر محرم الحرام من العام (٦١هـ) على أيدي الأشرار من جنود إبليس وعبدة الطاغوت والحكام الظالمين، فيترك لذلك بعض لذاته في طعامه وشرابه ومنامه وكلامه، ويكون بمثابة من أصيب في أهله وأعزته وأقربائه، ولا يكون انتهاك حرمة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام مظاهر النور والمحبة والسعادة والحياة الذين هم أولى به من نفسه، أهون عليه من انتهاك حرمة نفسه وأهله وأعزته وأقربائه، لاسيما وأن ما أصابهم عليهم السلام كان من أجل نجاة المؤمنين وسعادتهم، ومن لا يفعل فإنه محجوب عن رؤية الحقائق الملكوتية للأمور والأشياء، ولا وجدان له ولا شرف ولا كرامة. وعلى المؤمن أن يحذر من خديعة الشيطان له بطول الزمان على المصيبة الفجيعة ـ كما يُروج له البعض هذه

الأيام ـ فالمصيبة حاضرة متجددة في قلوب المؤمنين الصادقين في كل لحظة، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ﴾[١]، ولكل شهر خاصيته وآدابه وأعماله، فلشهر رمضان خاصيته وهي الصيام، ولشهر الحج خاصيه وهي الحج، ولشهر المحرم خاصيته، وخاصية شهر المحرم إظهار الحزن لمصائب أهل البيت عليهم السلام ورزاياهم، فيجب على كل مؤمن أن يكون له كل الحرص على حضور مجالس العزاء، وقراءة زيارة عاشوراء، والبكاء أو التباكي، وأن يكون لسان حاله يقول بصدق وإخلاص: يا ليتني كنت فداء لك يا حسين من جميع ما أصابك، وكان أهلي فداء لأهلك من جميع ما أصابهم، ليعرج بذلك إلى عالم الملكوت الأعلى، ومن لا يعتقد بأنه يجب عليه أن يكون فداء للحسين عليه السلام وأهل بيته، فتلك مصيبة عظمى في يقينه ودينه وإيمانه يجب عليه أن يجد حلا لها.

• أن يعلم المؤمن بأن الحزن والتفجع إنما هو حالة إنسانية وجدانية فطرية، تتولد في قلوب المؤمنين الصادقين بشكل طبيعي تلقائي بسبب جرأة الأشرار من عبد الطاغوت والشيطان على انتهاك حرمات أولياء الله

---

١. سورة التوبة، الآية: ٣٦.

القديسين الذين امتلأت قلوب المؤمنين بعشقهم وموالاتهم والتعلق بهم والإنس بوجودهم والوحشة لفراقهم والتألم لكل ما يصيبهم من سوء ـ وهذه من الحالات الوجدانية الطبيعية الصادقة للإنسان في الحياة الدنيا بحكم الفطرة وسنن الحياة ومتطلبات عمرانها بالحق ـ وظهور الظلمة وتجلي الوحشة بسبب غلبة الطاغوت وإهانة نور الولاية وسلطانها على الأرض، ولهذا كله حقيقة ملكوتية هي في غاية الوحشة والإيلام، وهي حقيقة يراها كل من يملك قلبا طاهرا نقيا، ويخاف أصحاب هذه القلوب بسبب رؤية هذه الحقيقة الفجيعة التي تستبطن حقيقة كل ظلم يقع على كل مستضعف في الأرض من غضب الرب الجليل ومن نزول العذاب على أهل الأرض بسببها، ما لم يكن هناك استنكار ورفض ومقاومة، ولهذا كان شعار القائم من أهل البيت عليهم السلام في نهاية مشاور المآسي في تاريخ البشرية، هو: «يا لثارات الحسين» وهو الشعار الذي يستبطن الرفض والانتقام لظلامات جميع المستضعفين في الأرض. ولكن ليعلم المؤمن بأن ما أصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، لا يمثل إهانة حقيقية لهم ولا سبيلا لشعورهم بالذلة والإنكسار أمام طغيان يزيد وجيشه، وإنما هو سبيل للشعور بالعزة والرفعة والكرامة والمجد في الدنيا والآخرة، ففي كل إهانة وإساءة يوجهها جنود يزيد إلى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه،

كان الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه يرتقون إلى عالم القدس والطهارة حيث يسكن القديسون والملائكة المقربون، وكان يزيد وجنوده يهوون إلى الدرك الأسفل مع الشياطين في نار جهنم التي سجّرها الله جل جلاله بغضبه للانتقام من شرار خلقه، وحينما ارتقى الشمر بن ذي الجوشن على صدر الإمام الحسين عليه السلام وهو قمة الإهانة في الظاهر، فقد صعد الإمام الحسين عليه السلام في الحقيقة والباطن إلى أعلى عليّين، وهوى الشمر بن ذي الجوشن إلى أسفل سافلين في سجين في نار جهنم. ولهذا كان الإمام الحسين عليه السلام وخاصة أصحابه تشرق وجوههم بسبب لذة الشوق والوصال وما يصل إلى أرواحهم الشريفة الطاهرة من تجليات جمال المحبوب وسبحات جلاله، فلا يجوز أن يذهب الحزن لما أصاب الأجساد الشريفة من الهتك الظاهر والإساءة الجسدية بجمال هذه الحقيقة العرفانية الرفيعة.

- وليعلم الأحبة جميعا: بأن القيمة الحقيقة لإحياء عاشوراء تتمثل في إحياء قضية عاشوراء، وليس في إحياء المأساة وسردها، وذلك بالعزم الأكيد على الالتزام الصادق بمنهج سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في إمامته وصبره وشجاعته ورفضه ومقاومته لكل أشكال الباطل والظلم والرذيلة وتضحياته من أجل الدين والقيم والمبادئ والمصالح الإنسانية العليا، وأن يكون البكاء على الإمام الحسين عليه السلام - في حقيقته - ثورة عقائدية

وجدانية صادقة على الذين صنعوا المأساة الفجيعة في كربلاء، وعلى امتداداتهم الطبيعية في التاريخ من الطغاة والمستكبرين والظالمين والمفسدين في الأرض، ويترجم ذلك بالانتظار البناء والفاعل لظهور القائم من آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ليكون من أنصاره على الحق في السر والعلانية والظاهر والباطن، ويسهم معه في إقامة دولة العدل الإلهي العالمية، وتطهير الأرض من الطغاة والمستكبرين والمفسدين في الأرض، وبدون ذلك يفقد الإحياء والبكاء قيمتهما في العقل والدين والحقيقة.

وفي الختام أيها الأحبة، ليكُن لكم المزيد من الاهتمام بعاشوراء ورعايتها حق رعايتها والحرص على الالتزام بآدابها والقيام بأعمالها من حضور مجالس العزاء والزيارة والبكاء أو التباكي، والحذر من عدم التغير في هذه الأيام الجليلة، فإنه دليل على الخذلان وعدم التوفيق والاحتجاب عن رؤية عالم الحقيقة ـ عدم رؤية ملكوت الأشياء والأمور وحقائقها ـ بسبب الاستغراق في عالم المادة وحب الدنيا ومظاهرها وزخارفها الباطلة واستيلاء الذنوب على العقل والنفس، فتجب بذلك المبادرة إلى العلاج بالتفكر في النفس ومحاسبتها والاستغفار من الذنوب والتوبة منها إلى الله عز وجل والتعويض عما سلف من التقصير قبل حلول الأجل وملاقاة المصير الأسود في يوم القيامة.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الكـريم الـرحيم لي ولكم، وأعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قيام الأئمة بالتغيير[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وارحمنا بمحمد وآل محمد، واهدِ قلوبنا بمحمد وآل محمد، وعرّف بيننا وبين محمد وآل محمد، واجمع بيننا وبين محمد وآل محمد، ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة طرفة عين أبدا يا كريم.

اللهم معهم.. معهم لا مع أعدائهم.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله تعالى وبركاته.

وقع على أهل البيت عليهم السلام ظلم عظيم من بعض شيعتهم، حيث قالوا

---

١. بمناسبة برنامج ثقافي. في ديوانية الكرامة للدكتور عبد الجليل السنكيس/ كرباباد. بتاريخ ٢٨/ صفر/ ١٤٢٩هـ. الموافق: ٧/ مارس ـ آذار/ ٢٠٠٨م.

عنهم بأنهم تعايشوا مع الظلم وسايروا الظالمين، وذلك في سبيل تبرير منهج القبول بالأمر الواقع والمسايرة للظالمين، بدلا من الرفض والمقاومة والتضحية والفداء في سبيل الله عز وجل والتغيير والإصلاح.

وعنوان كلمتي في هذه الليلة: (**قيام الأئمة بالتغيير**)، وهي محاولة متواضعة للمساهمة في رفع هذا الظلم عن أهل البيت عليهم السلام. وسوف أجعلها على ثلاثة محاور، أتحدث فيها باختصار شديد، ثم أترك الباب مفتوحا للحوار، وذلك بحسب رغبة منظم هذا اللقاء: جناب الدكتور عبد الجليل السنكيس.

المحور الأول ـ صفة أهل البيت عليهم السلام ودورهم

وفيه نقاط عديدة:

النقطة (١)

تضافرت النصوص الشريفة في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام بالنهي عن الركون إلى الظالمين.

قال الله تعالى: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن

دُونِ اللهِّ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به، شركاء ثلاثة»[٢].

كما تضافرت النصوص في مدح المقاومين للظلم.

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ)[٣].

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : «بحقٍّ أقول لكم: إن الحريق ليقع في البيت الواحد فلا يزال ينتقل من بيت إلى بيت حتى تحترق بيوت كثيرة، إلا أن يستدرك البيت الأول فيهدم من قواعده فلا تجد النار محلا. وكذلك الظالم الأول لو أخذ على يديه لم يوجد من بعده إمام ظالم فيأتمون به، كما لو لم تجد النار في البيت الأول خشبا وألواحا لم تحرق شيئا»[٤].

وقد وُصف أهل البيت عليهم السلام بالصدق في القرآن الكريم.

---

١. سورة هود، الآية: ١١٣.

٢. البحار: ج٧٥ ص٣١٢.

٣. سورة الشورى، الآية: ٣٩.

٤. البحار: ج١٤ ص٣٠٨.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)[١].

المعية: تعني الاتباع، وهي تختلف عن الاتصاف بصفاتهم، الذي هو الكون منهم لا الكون معهم، والفرق ظاهر بين الحالتين. ومن الواضح: أن اتباع الصادقين يؤدي إلى اتصاف الأتباع بالصدق، إلا أن الآية الشريفة المباركة تدل: على أن تحصيل النجاة لا يكون إلا باتباع أئمة الحق بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله الذين يتحلون بصفة الصدق بصورة مطلقة، وهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

والصدق بمعناه الواسع يتضمن ثلاثة أنواع رئيسية، وهي:

النوع الأول ـ الصدق في الخبر

وفيه يكون الإنسان صادقا إذا طابق خبره الواقع.

النوع الثاني ـ الصدق في العقيدة

وفيه يكون الإنسان صادقا في حالتين، وهما:

الحالة (١): إذا كان الإنسان متجردا للحقيقة وباحثا عنها بجد ومثابرة

---

١. سورة التوبة، الآية: ١١٩.

وإخلاص، وباذلا كل ما لديه من الوسع والطاقة من أجل تحصيلها، وكانت عقيدته صحيحة (أي مطابقة للواقع)، وهذا يحتاج إلى أن يكون الإنسان ناقدا وبعيدا عن التبرير، ومقاوما لكل عوامل التأثير السلبي في التفكير والبحث عن الحقيقة.

الحالة (٢): إذا عمل بمقتضى ما يعتقد بعيدا عن النفاق والرياء والسمعة، فتكون أقواله وأفعاله ترجمة دقيقة لأفكاره وعقيدته، وتتسم أقواله وأفعاله ومواقفه بالصراحة والوضوح بعيدة عن الغدر والمراوغة والخداع والتبرير وغيرها.

النوع الثالث ـ الصدق في العزم والإرادة

وفيه يكون الإنسان صادقا إذا أتى بما يريده ويعزم عليه على نحو الجد، ويبذل فيه أقصى ما لديه من الوسع والطاقة.

والإطلاق في المعية ولفظ الصادقين: يدل على عصمتهم عليهم السلام وتنزُّههم عن التعايش مع الظلم ومسايرة الظالمين، لاسيما إذا أخذنا النصوص القرآنية والنصوص الصادرة عنهم بعين الاعتبار.

النقطة (٢)

أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أئمة هدى، يقومون بوظيفة الدعوة إلى

الله عز وجل وتطبيق شريعته، ومن الأهداف الرئيسية للرسالة السماوية إقامة العدل بين الناس.

قال الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[١].

ومن الواضح: أن القبول بالأمر الواقع والتعايش مع الظلم ومسايرة الظالمين فيه تعطيل لهذا التكليف الإلهي العظيم.

النقطة (٣)

يحتج الزاعمون لتعايش أهل البيت عليهم السلام مع الظلم ومسايرة الظالمين بصلح الإمام الحسن عليه السلام وعدم ثورة أي من الأئمة عليهم السلام ضد الحكومات الجائرة ماعدا الإمام الحسين عليه السلام، ويتوصلون إلى نتيجة خطيرة مفادها: أن التعايش مع الظلم ومسايرة الظالمين هو الأصل في سيرة أهل البيت عليهم السلام، والثورة استثناء. وأنا أعتقد **أن في هذا القول مغالطة كبرى وظلماً عظيماً لأهل البيت عليهم السلام، والدليل على ذلك ما يلي:**

---

١. سورة الحديد، الآية: ٢٥.

أولا: العقل والنص يحكـمان بـأن أفعـال أهـل البيـت عليهم السلام وسـلوكهم ومواقفهم العامة في الحياة واحدة كأقوالهم لا تختلـف أبـدا؛ لأنهـا مـن نـور واحد. والتعارض بين صلح الإمام الحسن وثورة الإمام الحسين عليه السلام يُحـل بالنظر إلى الظروف الموضوعية لكل منهما، ولا يصح تبرير الصلح أو الثورة في نفسهما بغض النظر عن الظروف الموضوعية المحيطة بكل منهما.

ثانيا: إن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد أولوا عناية خاصة لثورة الإمـام الحسين عليه السلام وشهادته - وهذا في غاية الوضـوح - ممـا يـدلل عـلى أهميتهـا الاستثنائية في سيرتهم عليهم السلام، ومحاولة منهم لتكريس الرفض للظلم والثـورة على الظالمين والمستكبرين لدى المؤمنين.

ثالثا: إن مقاومة الظلم والثورة على الظالمين هي الأصـل بحكـم الفطـرة والعقل ونصوص القرآن وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وقـد تقـدّم بعضـها، وهما السبيل لتحقيق غايـات السـماء والعـزة والكرامـة للإنسـان، والأمـن والرخـاء والتقـدم والازدهـار في المجتمعـات الإنسـانية. وإن الركـون إلى الظالمين ومسايرتهم هو خلاف الفطرة، وخلاف سيرة العقـلاء والنصـوص الدينية القطعية الصدور والدلالة.

رابعا: إن قضية الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، التي هي عصارة الرسالات السماوية وغايتها، وهدفها إقامة دولة العدل الإلهي العالمية عـلى أنقـاض دول الظلـم

والجور في العالم، تعني بما لا يدع مجالا للشك: أن الأصل في سيرة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هو مقاومة الظلم والثورة على أئمة الظلم والجور، وليس القبول بالأمر الواقع والتعايش مع الظلم ومسايرة الظالمين والمستكبرين في الأرض.

قال الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلما وعدوانا، ثم يخرج من عترتي من يملؤها قسطا وعدلا»[1].

المحور الثاني ـ إنجازات أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم

وفيه نقاط عديدة:

النقطة (١)

لقد أنجز أهل البيت عليهم السلام أهدافا عظيمة في حياتهم، لا اختلاف عليها لشدة وضوحها؛ ولأنها تلمس بالحس والوجدان، منها:

الهدف (١)

خلق الكيان العظيم للشيعة، وكان على عهدهم ولا يزال كيانا متناميا عابرا للحدود، وكان ذلك في ظل الإرهاب الشديد للدولة ضد الشيعة.

---

١. ينابيع المودة: ص٤٣٣.

الهدف (٢)

التبليغ بالرؤية الفكرية والتشريعية الكاملة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وكان يصاحب هذا التبليغ نقض الأطروحات المقابلة، وكان ذلك أيضا في ظل الإرهاب الشديد للدولة ضد الشيعة.

الهدف (٣)

تنظيم الحالة القيادية للشيعة، وتوضيح صلاحياتها في ظل الغيبة.

ولا شك في إن تحقيق هذه الأهداف العظيمة لا يتأتى إلا بالرفض والمقاومة، وتقديم التضحيات الجسيمة، وليس القبول بالأمر الواقع والتعايش مع الظلم ومسايرة الظالمين والركون إليهم.

النقطة (٢)

لنأخذ بعضا من سيرة أهل البيت عليهم السلام، ولنبدأ من عهد الإمام الصادق عليه السلام، فقد اعتقد بعض المؤرخين بأن الإمام الصادق عليه السلام قد استفاد من انشغال الأمويين والعباسيين بالصراع بينهما عن أهل البيت عليهم السلام، وقام بنشر علوم أهل البيت عليهم السلام، وقد تجنب الدخول في السياسية من أجل المحافظة على هذا الدور العظيم. ولكنا إذا نظرنا إلى حال الإمام من بعده، فإننا نستطيع أن نستنتج خطأ التصور السابق. فالإمام من بعده هو الإمام

الكاظم عليه السلام، ونحن نعلم بأنه قضى معظم حياته (الشطر الأخير منها) في السجن، فلم يخرج من السجن إلا إلى قبره الشريف. فإذا كان الإمام الصادق عليه السلام قد اشتغل بنشر العلوم ولم يتدخل في السياسة، ثم يقضي الإمام من بعده معظم حياته في السجن، فإن النتيجة الطبيعية لذلك: هو تفكك كيان الشيعة وضعف شوكتهم. إلا أن النتيجة كانت على خلاف ذلك: فقد اتفق المؤرخون على أن المأمون قد أعطى ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وفسروا ذلك برغبة المأمون في كسب ود الشيعة لما يمثلونه من قوة عظيمة في الدولة الإسلامية، وهذه النتيجة لا تتوافق مع القول بعدم اشتغال الإمام الصادق عليه السلام بالسياسة، والحقيقة: أن الإمام الصادق عليه السلام كان إلى جانب اشتغاله بنشر علوم أهل البيت عليهم السلام منكبا على تنظيم صفوف الشيعة، وقد نجح في ذلك إلى الدرجة التي استطاع فيها الشيعة المحافظة على وجودهم وقوتهم والاستمرار في حمل رسالتهم رغم إرهاب الدولة الشديد، ووجود إمامهم في داخل السجن.

ويؤكد صحة هذا الاستنتاج:

حال الأئمة بعد الإمام الرضا، وهم: الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام، فقد فُرضت عليهم الإقامة الجبرية، ووضعوا تحت الرقابة الدقيقة للسلطة، ولكنهم مع ذلك نجحوا في تهيئة الأرضية

الصالحة لغيبة الإمام المهدي ﷻ، وتسليم القيادة في الغيبة الصغرى للسفراء الأربعة (النيابة الخاصة)، وفي الغيبة الكبرى للفقهاء العدول (النيابة العامة)، وهذا يدل على الرفض والمقاومة وتقديم التضحيات الجسيمة، وليس القبول بالأمر الواقع والتعايش مع الظلم والمسايرة للظالمين والركون إليهم.

النقطة (٣)

إن جميع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد مضوا من هذه الحياة إلى الله عز وجل شهداء مظلومين «ما منا إلا مقتول أو مسموم»، وليس هذا إلا لشعور أئمة الظلم والجور بخطر الأئمة عليهم السلام على عروشهم. وهذا يدل على الرفض والمقاومة وتقديم التضحيات الجسيمة، وليس القبول بالأمر الواقع والتعايش مع الظلم والمسايرة للظالمين والركون إليهم.

المحور الثالث ـ المعارضة والإصلاح في عهد أهل البيت عليهم السلام

نستطيع تقسيم حركات المعارضة والتغيير والإصلاح على عهد أهل البيت عليهم السلام بصورة إجمالية إلى أربعة أقسام، وهي:

القسم (١)

الحركات التي قادها أهل البيت عليهم السلام بأنفسهم أو بواسطة وكلائهم،

ويضم هذا القسم حركة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وثورة الإمام الحسين عليه السلام وغيرهما.

القسم (٢)

الحركات التي قادتها شخصيات إسلامية مؤمنة موثوقة، مثل: حركة أبي نصير وأبي جندل ضد قريش على عهد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بعد صلح الحديبية، وثورة المختار الثقفي، وثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وثورة زيد، وثورة شهيد فخ، وغيرها، وهذه الحركات حظيت بمدح وثناء أهل البيت عليهم السلام ورضاهم، ويرى البعض: بأنها خرجت بإذنهم.

القسم (٣)

ردود الفعل الطبيعية، حيث كان المؤمنون يتعرضون لأذى السلطات وقوى الموالاة، وكانوا يدافعون عن أنفسهم كرد فعل طبيعي وبالقتال أحيانا، وقد أقرهم أهل البيت عليهم السلام على ذلك.

القسم (٤)

الحركات التي كانت تقودها شخصيات غير ملتزمة، وكانت ترتكب الجرائم وتنتهك الحرمات، مثل: حركة القرامطة وثورة الزنج، وقد تبرأ

أهل البيت عليهم السلام من هذه الحركات، إلا أنهم لم ينصروا السلطات الجائرة ضدهم.

والخلاصة

أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام متّصفون بالصدق، وقد قاوموا الظلم والظالمين والمفسدين في الأرض، ولم يقبلوا بالأمر الواقع، ولم يتعايشوا مع الظلم، ولم يسايروا الظالمين. وقد نجحوا رغم الإرهاب الشديد للسلطة ضدهم وضد شيعتهم في خلق كيان التشيع العظيم والتبليغ بالرؤية الكاملة: الفكرية والتشريعية والأخلاقية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وخلق الأرضية الصالحة لتسلم القيادة البديلة (الفقهاء) لأزمّة الأمر في عصر الغيبة. ونجحوا في تشريب المؤمنين بالحس الثوري (الرفض والمقاومة للظلم والانحراف) والسير على خطاهم، وحمّلوهم مسؤولية الإعداد للظهور الميمون لصاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)؛ حتى يتمكن من تحقيق وعد الله عز وجل في الأرض بإقامة دولة العدل الإلهي العالمية على أنقاض دول الظلم والجور في العالم. ونصيحتي إلى المؤمنين: أن يعودوا إلى فطرتهم ويسترشدوا بها في تقييم الأطروحات التي تتعلق بالتعايش مع الظلم أو الرفض والمقاومة. وفي عقيدتي: أن الفطرة لا تقبل بالتعايش مع الظلم والجور والفساد؛ لأن نتيجة هذا التعايش هو:

الذل والمهانة والصَّغار والضعف والتخلف والفشل في الحياة، وهو أمر لا يقبل به عقل ولا دين.

ومن جهة ثانية: فإن رفض الظلم، لا يعني التهور وتجاهل الظروف الموضوعية التي لها تأثيرها الواقعي في المواقف، وإنما يعني الصدق والإخلاص والسير بواقعية في طريق المقاومة للظلم والفساد، واتخاذ المواقف التي تصب في المصلحة العامة (بحسب الظروف الموضوعية) بعيدا عن تأثير الخوف والطمع وغيرهما من عوامل الضعف والوهن والركون إلى هذا الحياة الدنيا الدنية.

ملحق: الإجابة عن الأسئلة

السؤال (١): قال كارل ماركس: «الدين أفيون الشعوب»، ما رأيك في ذلك؟

الجواب (١): كان التوظيف السيّئ للدين في أوربا العصور الوسطى هو المسؤول عن ظهور العلمانية ومثل هذه المقولة الباطلة، وإسلامياً: كنا وما زلنا نرد على هذه المقولة الباطلة استنادا إلى النصوص الدينية القطعية الصدور والدلالة، واستنادا إلى سيرة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فالدين في نفسه هو السبيل إلى العدل والحرية والتقدم والازدهار في الحياة. وفي

الواقع: فإن الحكومات الجائرة وبمساندة وعاظ السلاطين وضعف بعض القائمين على الدين، قد حولوا الدين ـ وهو أقوى العوامل تأثيرا على الإنسان ـ إلى أفيون لتخدير الشعوب وقبولها بالأمر الواقع الظالم والمنحرف، والدليل على ذلك: تكرس الظلم والتخلف والفساد في الدول الإسلامية لقرون متعاقبة، وعجز الشعوب الإسلامية عن إزالتها رغم أنها تدين بالإسلام، وهذا عار يجب أن يغسل، والدين منه بريء.

السؤال (٢): هل يستفاد من كلام الأستاذ دعوته إلى المقاومة ورفض المسايرة بصورة مطلقة؟

الجواب (٢): المستفاد هو: أن الأصل هو رفض الظلم ومقاومته، وأن أساليب المقاومة وأشكالها تخضع إلى الظروف الموضوعية، ولهذا صالح الإمام الحسن عليه السلام، وثار الإمام الحسين عليه السلام.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير، وأستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ظاهرة الإمامة[1]

تحدّث الأستاذ عبد الوهاب ﵀ حول «ظاهرة الإمامة» وقال:

الإمامة بمظاهرها لها أصولها النظرية في المعارف الإلهية والفكر الإنساني عموماً، ولها معالمها البارزة الدالة عليها من خلال سيرة الأئمة ﵈ وصفاتهم.

البحث في الإمامة بمظاهرها يشمل البحث في الأصول النظرية للإمامة في المعارف الإلهية، وفي الفكر الإنساني، ويشمل أيضاً الدراسة التحليلية لسيرة الأئمة ﵈ وصفاتهم وأخلاقهم.

والمقصود بالدراسة التحليلية

أننا نبحث عن دلالات السيرة ودلالات الصفات ونسبتها إليهم ﵈. وتبدأ الدراسة التحليلية هذه منذ وفاة الرسول الأعظم ﷺ حتى وفاة الحسن العسكري ؑ، كانت خلالها سيرة الأئمة واضحة ومعروفة. بعد ذلك تبدأ الغيبة الصغرى ثم الغيبة الكبرى، ولكي تتضح مع المسيرة التاريخية للأئمة ﵈ ينبغي تقديم دراسة لفلسفة الغيبة ودلالتها، وكيف

---

١. بمناسبة مولد الإمام الحسن العسكري ؑ في يوم الجمعة ١٦/٩/١٩٩٤ ـ ١٠/ ربيع الثاني/ ١٤١٥ – مسجد الشيخ خلف ـ النويدرات.

تستطيع الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى أن تشارك في تحقيق الأهداف التي أرادها الله عزّ وجلّ من سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

وتشمل «الدراسة التحليلية» أيضاً الامتداد الطبيعي للأئمة عليهم السلام في عصر الغيبة وهم الفقهاء، ثم تشمل مرحلة الظهور بصفتها النتيجة النهائية (وَالعَاقِبَةُ للمُتَّقِيْنَ). وبحث ظاهرة الإمامة يفتح آفاقاً جديدة لبحث عقيدة الإمامة، وبحث خط الإمامة يفتح آفاقاً أخرى لتقييم هذا الخط.

ثم أشار الأستاذ إلى سعة هذه الدراسة وأهميتها، ولكنه أشار إلى بعض الخطوط الرئيسية في البحث، ونحن نعرضها باختصار:

❋ الأصول النظرية للإمامة في المعارف الإلهية

(أ) الله جلّ جلاله يقول: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[١]. هذه الآية تبين لنا الرؤية القرآنية للإمامة، فالإمام حسب هذا منظور الآية معيّن من قِبل الله عزّ وجلّ، وهي أيضاً عهد من الله عزّ وجلّ لهذا الأمام، وأنه يجب أن يكون معصوماً أيضاً (قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)، الظالم لغيره والظالم لنفسه على

١. سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

السواء، وذلك حسب المفهوم القرآني للظلم.

(ب) واقع إمامة أهل البيت عليهم السلام:

* النصوص الدالة على إمامة أهل البيت عليهم السلام مثل: حديث الثقلين، آية الولاية (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ)، وبإجماع المفسرين أنها نزلت في علي عليه السلام.

* النصوص الدالة على عصمة أهل البيت عليهم السلام: آية التطهير (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[١].

(ج) عدم وجود فهم للأصول النظرية في مدرسة الخلفاء الخط المقابل لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، مثل: الشورى:

(١) لا دلالة في النصوص الإسلامية الخاصة بالشورى في أنها تمثل الأساس في اختيار الحاكم الشرعي، وإنما لها دلالتها في إدارة الحكم.

(٢) لا واقع (في تجربة الخلافة الإسلامية) لاختيار الحاكم الشرعي عن طريق الشورى.

(د) إن خط إمامة أهل البيت عليهم السلام فيه المصداقية إلى كثير من أحاديث الرسول (ص) والآيات القرآنية، وتنعدم هذه المصداقية في خط الخلافة

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(المقابل) مثل:

(١) الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، والأمام أحمد، وأبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك (الصحاح والمسانيد في مدرسة الخلفاء)، فضلاً عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام: (الخلفاء من بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش «أو» اثنا عشر نقيباً «أو» اثنا عشر خليفة «أو» كعدة الشهور). مصداقية هذا الحديث واضحة في إمامة أهل البيت عليهم السلام، ولا يوجد فهم محدد من قِبل مدرسة الخلفاء لهذا الحديث.

(٢) الحديث الصحيح الوارد بأكثر من صيغة (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) و(من مات وليس في رقبته بيعة مات ميتة جاهلية). حينما تسأل الإنسان المخالف من هو إمام زمانك، الذي إذا مت ولم تعرفه مت ميتة جاهلية، وكان مصيرك إلى النار؟ فإنه لا يعرف الجواب. أما الإنسان الموالي لأهل البيت فإنه يعرفه.

(هـ) عند البحث في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام نجدهم اثني عشر إماماً هم أفضل أهل زمانهم، حتى حسب تقييم المخالفين، بل المعادين لهم.

(و) عدم وجود معلم للإمام من أهل البيت عليهم السلام، ويتضح ذلك أكثر في حياة الإمام الجواد وحياة الإمام علي الهادي عليه السلام، حيث توليا زمام

الإمامة ما بين سبع وعشر سنوات، والقرآن الكريم يتضمن ما يوافق ذلك، قوله تعالى مخاطباً يحيى عليه السلام: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)[١]. وفي المقابل نجد خط مدرسة الخلفاء، حيث الخلفاء الفاسقون من بني أمية وبني العباس، نجدهم ما بين شارب خمر أو لاعب بالطنبور.. إلخ.

---

١. سورة مريم، الآية: ١٢.

استشراف مرجعية أهل البيت عليهم السلام

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني والتبريك إلى مقام إمامنا وسيدنا ومولانا وشفيع ذنوبنا في يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقام ولي أمر المسلمين الإمام السيد علي الخامنئي (حفظه الله تعالى وسدد خطاه)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى عوائل الشهداء، وإلى المعتقلين وعوائلهم، وإلى كافة المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وإليكم أيها الأحبة، بمناسبة عيد الغدير الأغر.

أيها الأحبة الأعزاء، الإسلام ـ كما هو في الحديث، وبإجماع المسلمين ـ

هو قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فمن قال هاتين الكلمتين، دخل في الإسلام، وأصبح له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم.

قال الرسول الأعظم الأكرم (ص): «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس»[٢].

وقد اختلف المسلمون بعد رحيل الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وأصبحوا فرقا ومذاهب عديدة مختلفة فيما بينها، تميّزت من بينها مدرسة أهل البيت عليهم السلام حيث ينظر الأئمة من أهل البيت وشيعتهم إلى مدرستهم على أنها الامتداد الطبيعي لدعوة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، وأنها الإسلام كله، وليست مذهبا كسائر المذاهب الإسلامية، وهذا ادعاء خطير ليس في وسع غيرهم أن يدعيه؛ لأن جميع المدارس الكلامية والفقهية التي

---

١. كنز العمال: ج١ ح٣٧٣.

٢. الكافي: ج٢ ص٢٥.

يتبعها المسلمون من غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام لم تكن موجودة ـ على أقل تقدير ـ في العهد الأول للصحابة، فلم يتعبدوا بشيء منها، فلا أحد يستطيع أن يثبت بأن التعبد بأحدها واجب على المسلمين. أما الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فهو اجتهاد في داخل المدرسة نفسها، فهو نوعيا كاجتهاد الصحابة على عهد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله تماما، والفرق هو في الدرجة فقط.

المسألة الأم للاختلاف

وأرغب في هذه الليلة المباركة، أن أسلط الضوء على المسألة الأم للاختلاف بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبين المذاهب الإسلامية المختلفة، وبعض ما يرتبط بها من المسائل المهمة، وهذه المسألة، هي: المرجعية الشرعية للمسلمين بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، ويمكن التعبير عنها بسهولة كبيرة في السؤال التالي:

ممّن نأخذ الإسلام؟ ولمن نرجع بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله؟

الأجوبة لدى المسلمين على هذا السؤال شتى لا أريد الدخول فيها، وإنما أريد الجواب في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وجوابهم: كما كان المسلمون يرجعون إلى القرآن الكريم وإلى الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله ويأخذون

الدين منهما، يجب عليهم الرجوع إلى القرآن الكريم وإلى أهل البيت عليهم السلام لأخذ الدين منهما، قول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[١].

بينما يقول غيرهم بالرجوع إلى القرآن الكريم، وإلى سنة الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وإلى الصحابة. ولي محاضرة قديمة تتبعت فيها النصوص الواردة في مصادر الحديث لمدرسة الصحابة، وقمت بترتيبها في تسلسل منطقي، وانتهيت إلى نتيجة محددة، وهي: أن المصادر توجب مرجعية أهل البيت صلى الله عليه وآله دون غيرهم.

الجدير بالذكر أن حياة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام قد امتدت حتى زمن الغيبة مدة (٢٥٠ سنة) تقريبا، كانت الأحوال فيها متغيرة، وتعرّض فيها الأئمة للتضييق والتشريد والاعتقال وفرض الإقامة الجبرية والقتل ونحوها، وفيهم من تولى الإمامة وعمره سبع سنين، وكان بعيدا عن أبيه مثل الإمام الجواد عليه السلام ومع ذلك كله، لا نجد بينهم اختلاف في عقيدة أو

---

١. صحيح الترمذي: ج٢ ص٣٠٨.

مفهوم أو حكم شرعي، وكل ما صدر عنهم يتفق تماما مع ما صدر عن الرسول الأعظم الأكرم ﷺ، وأن الفقهاء يتعاملون علميا مع مجموع النصوص التي صدرت عنهم جميعا وعن الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وبدون تفريق كوحدة واحدة لا تتجزأ ولا تختلف فيما بينها. وهذه ظاهرة غريبة لا مثيل لها في حياة الناس العاديين، ولا تفسير لها إلا أن يكون علمهم هو من عند الله سبحانه وتعالى، لا من عند أنفسهم ولا من عند غيرهم، قول الله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)[1]، والظاهرة دليل قطعي على عصمتهم.

فالإنسان العادي يغير آراءه تبعا لتطور وزيادة معرفته، ولا يكون له رأي واحد في جميع المسائل الفكرية والعقائدية والشرعية لا يتغيّر طوال عمره.

ولا يوجد شخصان يتفقان في جميع الأفكار والمفاهيم والعلوم، حتى بين الآباء وأبنائهم، والأساتذة وتلاميذهم. بينما نجد أن وضع الصحابة ـ من هذه الجهة ـ هو كوضع سائر الناس العاديين، فهم يختلفون فيما بينهم في العلم والمعرفة، ويغيّر الواحد منهم رأيه تباعا لتطور علمه ومعرفته، وقد

---

١. سورة الكهف، الآية: ٦٥.

كفّر وقاتل بعضهم بعضا، فلا يمكن أن يقاس علم الصحابة بعلم أهل البيت عليهم السلام بأي حال من الأحوال. وإن المسلمين يختلفون حول فهم القرآن والسنة، فلابد من وجود حجة لله على الناس في فهم القرآن والسنة، قول الله تعالى: (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[١].

أبعاد مرجعية أهل البيت عليهم السلام

وفي واقع الأمر فإن مرجعية أهل البيت عليهم السلام لها أبعاد عديدة ومتنوعة، أهمها أربعة:

البعد (١) التبليغ عن الله سبحانه وتعالى

فمنهم يؤخذ الدين الحق، كما كان يؤخذ عن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، ويدل عليه بوضوح تام حديث الثقلين السابق الذكر، وهو حديث متواتر بمعناه في مصادر الحديث لدى مدرسة الصحابة.

البعد (٢) ولاية الأمر أو الحكم

فهم ولاة أمر المسلمين بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، كما كان الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله ولي أمرهم في عهده الشريف المبارك، ويدل

---

١. سورة النساء، الآية: ١٦٥.

عليه بوضوح تام حديث الغدير، قول الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «أيها الناس! من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه»[١]، وهو حديث متواتر بمعناه في مصادر الحديث لدى مدرسة الصحابة.

الجدير بالذكر أن المرجعية في التبليغ والمرجعية في الولاية لا تنفصلان، فمن ثبتت له المرجعية في التبليغ، تثبت له المرجعية في الولاية والحكم، وقد جمع الرسول الأعظم الأكرم ﷺ لنفسه بين المرجعيتين، فهذا هو الأصل في الرؤية القرآنية، ويدل عليه قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)[٢]، بخلاف ما ذهبت إليه بعض الفرق الصوفية من التفريق بين الولاية على القلوب التي هي ولاية نعمة العلم والحكمة ويسمونها بالولاية الباطنية، والولاية على الأجسام التي هي ولاية الحكم ويسمونها بالولاية الظاهرية،

---

١. الغدير: ج١ ص١١.

٢. سورة النساء، الآية: ٥٩.

واعتبروا أن الولاية الباطنية هي الولاية الحقيقية والأهم والأعظم، وقد فرضها الله سبحانه وتعالى لأهل البيت عليهم السلام ولم يفرض لهم الولاية الظاهرية، واعتبروا هذا التفريق بين الولايتين: (الباطنية والظاهرية) هو الصراط المستقيم والسبيل للجمع بين النصوص وبين ما جرى به القلم على أرض الواقع[١].

البعد (٣) الأسوة الحسنة

فهم الأسوة الحسنة للناس بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، والاقتداء بهم في السلوك والعمل هو الطريق إلى تهذيب النفس وتكميلها والوصول إلى الكمال الإنساني وتحصيل السعادة الحقيقية، كما كان الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله قدوة حسنة للناس في حياته، قول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا)[٢].

البعد (٤) إقامة القسط والعدل بين الناس

حيث إن الغاية العظمى المجتمعية من بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام

---

١. كتاب علي بن أبي طالب إمام العارفين، أحمد بن محمد بن الصديق الحسني: ص٦٦ ـ ٦٨.

٢. سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

وإنزال الكتب السماوية، هو إقامة القسط والعدل بين الناس، قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[١]، وإن السبيل لتحقيق هذه الغاية بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله هو الرجوع إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وإن كمال تحقق هذه الغاية سوف يكون على يد الحجة القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث يقيم دولة العدل الإلهي العالمية في آخر الزمان، قول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «لتملأن الأرض ظلما وعدوانا، ثم ليخرجن رجل من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وعدوانا»[٢].

وهذه الأبعاد الأربعة يدل عليها مفهوم الإمامة، فالإمام..

يبلغ عن الله سبحانه وتعالى.

ويتولى أمر المسلمين.

ويكون القدوة الحسنة إليهم في العمل والسلوك وتهذيب النفس وتكميلها.

---

١. سورة الحديد، الآية: ٢٥.

٢. عقد الدرر: ص٧٦ ح١٧.

وهو السبيل إلى إقامة القسط والعدل بين الناس، وتحقيق الأمن والرخاء والتقدم والازدهار في المجتمع والدولة.

ويجب التمييز بين المرجعية والقيام بالمهام، فالمرجعية العليا الوحيدة للمسلمين في جميع الأبعاد بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله هم الأئمة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام، ولكن الآخرين يشاركونهم في القيام بالمهام المختلفة في جميع الأبعاد.

فالعلماء يشاركون في التبليغ وإعطاء القدوة الحسنة من أنفسهم.

والوزراء والقادة يشاركون في الحكم والإدارة.

والناس جميعا يشاركون في القيام بالقسط والعدل بين الناس.

استشراف مرجعية أهل البيت عليهم السلام

وإذا حاولنا أن نستشرف مرجعية أهل البيت عليهم السلام فيما يعود علينا في ساحة السلوك والعمل والمواقف في الحياة، نجد بأن الشيعي الموالي لأهل البيت عليهم السلام الذي يقول بمرجعيتهم العليا له في الحياة والسير إلى الله ذي الجلال والإكرام، يجب أن يقوم بأربع مهام رئيسية، وهي:

(١): الاجتهاد في البحث عن الحقيقة وتحصيل الإسلام الصحيح

وانتهاج الصراط المستقيم في الحياة والتبليغ به، قول الله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)[١].

(٢): البحث والتحري لمعرفة القيادة الإسلامية الشرعية وطاعتها المطلقة وعدم مخالفتها في شيء، قول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»[٢]، وفي نص آخر: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[٣]. وتتمثل القيادة الشرعية في الأئمة الأطهار عليهم السلام، ثم في الفقهاء العدول ولاسيما الولي الفقيه، قول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»[٤].

(٣): الاجتهاد في تربية النفس وتهذيبها وتكميلها، وهو المعنى الدقيق للتشيع الذي حرص أهل البيت عليهم السلام على بيانه، قول الإمام الصادق عليه السلام:

---

١. سورة الفاتحة، الآية: ٦ ـ ٧.

٢. البحار: ج٢٣ ص٧٦.

٣. كنز العمال: ج١ ص١٠٣ ح٤٦٣.

٤. المرجعية والقيادة، الحائري: ص١٤٨ ـ ١٤٩.

«شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة»[١].

(٤): الاجتهاد في رفض الظلم ومقاومته، ودعم العدل ومساندته، والمبالغة في العمل به والسعي لإقامته بين الناس وتثبيته بينهم، قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ)[٢].

قوامين: تعني المبالغة في القيام، والشهادة: تعني الحضور، فالمؤمنون مطالبون:

بالحضور الفاعل في كل ساحات العمل والجهاد من أجل الله سبحانه وتعالى.

وأن يبالغوا في رفض الظلم ومقاومة الظالمين، قول الله تعالى: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)[٣].

والعمل بالعدل والسعي من أجل إقامته بين الناس.

---

١. البحار: ج٦٨ ص١٦٧.

٢. سورة النساء، الآية: ١٣٥.

٣. سورة هود، الآية: ١١٣.

وقضية الحضور الفاعل للمؤمنين في كل ساحات العمل والجهاد من أجل الله سبحانه وتعالى، والعمل بالعدل والسعي لإقامته، قضيتان لا تنفصلان، فليس هناك حضور للمؤمنين في الساحات لا يرتبط بالعدل والسعي لإقامته بين الناس، وكل حضور لا يرتبط بالسعي لإقامة العدل، فهو حضور ليس لله عز وجل، ولا يعبّر عن الرؤية الإسلامية القرآنية.

أيها الأحبة الأعزاء، أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله الغفور الرحيم لي ولكم ، وأعتذر لكم عن كل خطأ وتقصير، وأستودعكم الله الحافظ القادر من كل سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الإمامة بين المنهجين الذاتي والموضوعي[1]

أعوذ بالله السميع العليم، من شر نفسي الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

اللهم صلّ على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

السلام عليكم أيها الأحبة، أيها الإخوة والأخوات في الله ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أرفع أسمى التهاني والتبريكات إلى مقام إمامنا وشفيع ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وإلى مقامات مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها، وإلى كافة المؤمنين والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإليكم أيها الأحبة، بمناسبة المولد السعيد للسبط المجتبى الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

---

١. بمناسبة مولد الإمام الحسن عليه السلام. في قرية بني جمرة ـ المأتم الغربي. اليوم: مساء الجمعة ـ ليلة السبت. بتاريخ: ١٤/ رمضان/ ١٤٣٠هـ. الموافق: ٤/ سبتمبر ـ أيلول/ ٢٠٠٩م.

قال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

هذا الحديث ورد في مصادر الحديث لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ولمدرسة الخلفاء، وهذا يعني اتفاق المسلمين على أن الرسول الأعظم الأكرم ﷺ هو من أطلق وصف الإمامة على الحسنين، ولم يطلق على أحد من الخلفاء والأصحاب سواهما إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أطلق المسلمون هذا الوصف مقيدا على غيرهم مثل: الإمام مالك والإمام أحمد، والمراد أنه إمام في الفقه والحديث، فإمامته مقيّدة على غرار إمام الصلاة، أما إمامة أمير المؤمنين والحسنين فمطلقة، ولهذا دلالته لمن يطلب الحقيقة في معرفة مقام أهل البيت عليهم السلام.

وليس هذا موضوع حديثي في هذه الليلة المباركة، وإنما أردت فقط التبرك وتحريك الفكر في هذه المسألة، أما موضوع الحديث، فهو: «الإمامة بين المنهجين الذاتي والموضوعي».

الإمامة والمنهجان الذاتي والموضوعي

قول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إمامان قاما أو قعدا» يدل على أن الإمام الشرعي قد يقوم وقد يقعد في مواجهة الظالمين،

فالحكم الشرعي ليس متعلقاً بذات القيام أو القعود، وهما ليسا مطلوبين في نفسيهما،

ولكن السؤال:

هل شرعية المنهج والموقف وصوابيتهما تنبع من ذات الإمام، فما يراه شرعيا وصائبا فهو كذلك، وما يراه غير شرعي وخاطئ فهو كذلك، أم تنبع الشرعية والصوابية من الشؤون الموضوعية المتعلقة بالموضوع؟

الجواب: إن الاعتقاد بالموضوعية من الثوابت في الرؤى الإسلامية ـ بحسب مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ في مختلف مجالات المعرفة، فمثلا:

- الحق هو ما طابق الواقع، وليس ما يراه الإنسان صواباً فهو صواب، وما يراه خطأ فهو خطأ، أو ما يرى فيه منفعة فهو صحيح، وما يرى فيه مضرة فهو خطأ.
- والعدل هو الإنصاف والاستقامة على طريق الحق والبعد عن المحظور، والعدل في الجزاء أن يكون موافقا للعمل، قول الله تعالى: (جَزَاء وِفَاقًا)[١]، ولهذا رفضت مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرأي القائل: بأن العدل هو ما

---

١. سورة النبأ، الآية: ٢٦.

يفعله الله عز وجل، فلو أدخل المؤمنين الصالحين إلى النار، وأدخل الكافرين والفاسقين إلى الجنة، فليس في ذلك مخالفة إلى العدل!

- والجميل هو ما يتوفر على صفات موضوعية، مثل: الوحدة، والاعتدال، والتناسب، والانسجام بحيث تجعل منه شيئا جميلا وتولد في النفس الشعور بالبهجة والرضا، وليس ما يراه الإنسان جميلا فهو جميل بغض النظر عن صفاته الموضوعية، وما يراه قبيحا فهو قبيح بغض النظر عن صفاته الموضوعية.

وهذا ينطبق على الأطروحات والمناهج العملية والسلوك والمواقف للمعصوم وغيره، فشرعيتها وصوابيتها لا ينبعان من ذات الإمام، وإنما من الشؤون الموضوعية المتعلقة بالموضوع، قول الله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)[١].

فشرعية القيام والقعود وصوابيتهما ينبعان من الشؤون الموضوعية وليس من ذات الإمام، بحيث يكون القيام أو القعود شرعيا وصائبا لمجرد أن الإمام فعله، ولا علاقة لذلك بالشؤون الموضوعية.

---

١. سورة الحاقة، الآية: ٤٤ ـ ٤٦.

وأرى في القول بأن الشرعية والصوابية في الأطروحات والمناهج العملية والسلوك والمواقف أنهما ينبعان من ذات الإمام يؤدي إلى:

• تهافت أطروحات الأئمة عليهم السلام وسيرتهم.

• ويسقط حجيتها.

• ويجعل الاقتداء بهم في دائرة غير المعقول وغير الممكن.

إلا أن الحديث يدل على شرعية وصوابية سلوك الإمام ومواقفه دائما، وهذا لا يعني أن الشرعية والصوابية ينبعان من ذات الإمام، وإنما يعني أن الإمام بما هو معصوم:

• يكون ـ بشكل دائم ـ صائبا في تشخيص الحق في الأطروحات والمناهج، والعدل والمصلحة في السلوك والمواقف، وذلك على أساس موضوعي.

• وأنه يمتلك من الشجاعة والنضج بحيث يلتزم بما هو شرعي وصائب، ولا يخالفه إلى غيره مهما كانت الصعوبات والتضحيات.

وقد وضع لنا أهل البيت عليهم السلام قاعدتين

القاعدة (١) للتعاطي مع المعصومين

قول الرسول الأعظم الأكرم في علي عليهما السلام: «علي مع الحق

والحق مع علي»، فالمعصوم دائما على الحق، والاختلاف معه يدل إما على الخطأ في الفهم والتشخيص أو على الضعف في الالتزام، فعلى كل من يختلف مع المعصوم أن يراجع نفسه ويصحّح خطأه. وليس ذلك من التقليد الأعمى، وإنما العقل يحكم بأن قول المعصوم وفعله دليل على الحق في الأطروحات والأقوال، والصواب والعدل في السلوك والمواقف، فقول المعصوم وفعله بمنزلة الأدلة والبراهين التي يطلبها العقل لإثبات الحق في الأطروحات، والعدل والصواب في المناهج والسلوك والمواقف.

القاعدة (٢) للتعاطي مع غير المعصومين

قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعرف الحق تعرف أهله»، فغير المعصوم مطالب بأن يقيم الدليل ويأتي بالبرهان على صحة أطروحاته وصوابية منهجه ومواقفه، وتقبل منه على هذا الأساس، ولا يصح القول بأن الأطروحة صحيحة والمنهج أو السلوك أو الموقف صائب لأنه من فلان بدون دليل وبرهان.

ومما يؤسف له:

سعي بعض المؤمنين لفرض المنهج الذاتي في بعض الساحات الإسلامية، فيدعون لقبول الأطروحات والمناهج والمواقف لأنها من فلان، ورفض

الأطروحات والمناهج والمواقف الأخرى لأنها من غيره، فالشرعية والصوابية لديهم تنبع من الشخص وليس من الشؤون الموضوعية المتعلقة بالموضوع، مما يؤدي إلى إهمال البحث في شرعية وصوابية الأطروحات والمناهج والمواقف بشكل موضوعي، وقد نزل البعض بالشرعية إلى حالة شبيهة بالصكوك الكنسية في العصور الوسطى، فإذا أثبت الباحث أو المحاور خطأ أطروحة أو منهج أو موقف ما، يرد عليه أصحاب هذا المنهج: لنا شرعية في هذه الأطروحة أو هذا المنهج أو هذا الموقف، وأعتقد:

- أن الأخذ بهذا المنهج يدل على السذاجة في التفكير، ولا دليل عليه من عقل أو دين، حتى مع الأخذ بالرأي القائل بأن الإمام مفوّض في التشريع؛ لأن هذا الرأي يستند إلى الاعتقاد بتطابق إرادة المعصوم مع إرادة الرب الجليل، وليس فيه دليل على المنهج الذاتي.
- وأن نتائجه كارثية على الوعي والتربية ومصالح العباد، وتؤدي إلى التخلف والفساد.

وأحب أن أؤكد بخصوص الولاية الشرعية: أنها حق، وهي للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، ثم من بعده للأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام، ثم للفقهاء العدول المتوفرين على كافة الشروط في عصر الغيبة الكبرى، إلا أن الولاية الشرعية لا تعطل المنهج الموضوعي. فينبغي للعاملين:

• توفير الغطاء الشرعي الولائي لعملهم.

• والبحث بشكل موضوعي في شرعية وصوابية الأطروحات والمناهج والسلوك والمواقف.

الفهرس